الليبيون القدماء

تحدث هيرودوت عن ليبيا بوصفها القارة الثالثة من قارات العالم المأهول على نحو ما فهم سابقوه ومعاصروه[1] . وهى عنده تمتد من حيث تنتهى حدود مصر الغربية ، وقد حددها بما يلى بحيرة مريوط[2] ، الى رأس سولوجوس (وهو رأس كانتن أو سبارتل) جنوبى طنجة على المحيط الاطلنطى[3] . وقد جعل هيرودوت بحيرة تريتونيس (وهى خليج قابس بتونس على الأرجح) حدا فاصلا بين مجموعتين من الليبيين ، واحداهما مجموعة تعيش الى الغرب من هذه البحيرة وتتألف من زراع ألفوا حياة الاستقرار ، الثانية تعيش الى الشرق من البحيرة وتتألف من بدو رعاة[4] ومدار التفرقة عنده ليست على أساس اختلاف الجنس ولكن على أساس اختلاف نوع حياة كل منهما عن الأخرى . وقد حدث هذه التفرقة بالبعض الى القول بوجود ليبيين غربيين وليبيين شرقيين ، وعلى هذا الأساس حددوا موطن الليبيين الشرقيين بما يتفق تقريبا مع حدود ليبيا الحديثة[5] . وتاريخ هؤلاء الليبيين الشرقيين القديم هو موضوع هذا البحث . وهو محاولة لابراز شخصيتهم التاريخية ابتداء من عصور ما قبل التاريخ حتى أواخر العصر الرومانى .

مرت ليبيا بوصفها اقليما من أقاليم شمال افريقيا بأكثر من عصر من عصور ما قبل التاريخ يوم أن كانت الظروف المناخية والنباتية فى معظم الأحوال تهيىء البيئة الصالحة لمعيشة الانسان الأول[6] ، وكانت أيضا غير منعزلة عن البيئات المحيطة بها[7] مما جعلها تتأثر بها وتؤثر فيها .

وتدل المخلفات الأثرية على أن حضارة العصر الحجرى القديم الأسفل سادت شمالى طرابلس فى موقع بئر دوفان بالقرب من أحد مصبات رافد من

روافد وادى مردم على بعد ١٠٠ كم من الساحل[٨] ووجدت فى منطقة توكرة ببرقة آلات من النوع المعروف باسم الفأس اليدوية وهى الآلات التى تميز بها هذا العصر[٩] . وقد تناثرت فى برقة عينات مماثلة كشفت عن وجود صناعة أشوليه[١٠] .

وعندما كانت أوربا فى أوج عصر جليد القورم (٤٠٫٠٠٠ — ١٨٫٠٠٠ ق.م. تقريبا) هاجر انسان الحضارة الموستيرية ، وهى تمثل حضارة العصر الحجرى القديم الاوسط ، من أوربا الى شمال أفريقيا وقد دلت على ذلك مخلفات حضارة هذا الانسان المنتشرة فى هذه المنطقة من افريقيا حتى وادى النيل[١١] . وقد عثر على مخلفات انسان هذا العصر فى الهضبة الممتدة من السلوم الى طبرق ، وفى المنطقة الخصبة من الجبل الاخضر على بعد عدة أميال الى الغرب من طبرق ، وفى منطقة الحافة الشمالية لبحر الرمال جنوبى الجبل الأخضر وفى جنوبه الشرقى . وتتناثر هذه المخلفات على طول ساحل برقة وتبرز بشكل واضح بالقرب من خليج غزالة بجوار درنة[١٢] . ولعل أهم مواقع التجمعات البشرية فى هذا العصر ، هو موقع الحاج كريم على الضفة الشرقية لوادى جحام قبل التقائه بوادى درنة بمسافة ٢٥٠ كم وعلى بعد ست كيلومترات ونصف من الساحل . وكان الانسان المقيم فى هذا الموقع ، كما تدل مخلفاته ، يحصل على الظران اللازم لصناعاته الحجرية من موقعين قريبين من درنة . وكان ينتقى قطع الظران بعناية ودقة مما مكنه من تحقيق قدر كبير من النجاح فى اتقان صناعة آلاته[١٣] .

وتقدم مخلفات الحيوانات الدليل على أن مجتمع الحاج كريم كان يقتنيها لأكل لحومها . وأهم هذه الحيوانات الغزال والبقر والجاموس وحمار الوحش والسلاحف البرية وأنواع من الخراف . وبعضها كبير الحجم وكان يحتاج الى مهارة فى مطاردتها وصيدها[١٤] .

ويضاف الى موقع الحاج كريم مواقع أخرى تقع الى الغرب من درنة مثل وادى النجا[١٥] وعين مارا[١٦] والأثرون[١٧] ووادى حولة الى الغرب قليلا من أبولونيا (= سوسة)[١٨] ووادى سليب بطوكرة[١٩] .

وعلى بعد عدة أميال الى الغرب من درنة قامت صناعةشبيهةبصناعةالمواقع السابقة فى كهف (هوا الفتايح) قد يعود تاريخهـــا الى عام ٤٣٠٠٠ ق.ب. وترجع أهمية هذا الموقع الى اكتشاف حفرية لفك انسان ، وهى أول حفرية من هـــذا النوع من العصر الحجرى القديم الأوسط فى شـــمال أفريقيا . ومن ناحية أخرى هناك شبه واضح بين انسان هذا الكهف وانسان النياندرتال فى فلسطين . واذا أضفنا الى ذلك ، التشابه الواضح بين صناعة الانسان فى المنطقتين ، فان كل ذلك يدل على ترجيح وجود اتصال بين جنوب غرب آسيا وشمال شرقى ليبيا فى العصر الحجرى القديم الأوسط . وقد تكشف هـــذه الظاهرة عن تحركات بشرية ربما تكون قد انتقلت من الغرب الى الشرق ، أو من الشرق الى الغرب ، أو أن انسان ليبيا وانسان فلسطين قد تفرعا عـــن انسان ثالث . على أى حال فان وجود عينات من صناعة أسيوية فى برقة بعد هذه الفترة من العصر الحجرى القديم الأوسط بقليل ، ووجود عناصر أفريقية فى فلسطين فى زمن مقارب يظهر حقيقة هامة وهى أن الاتصال كان ميسرا بين المنطقتين فى أواخر عصر البليستوسين[٢٠].

والى الغرب من درنة أيضا وعلى ساحل برقة عثر فى منطقة رأس عامر[٢١] على مخلفات انسان الحضارة العاطرية (نسبـــة الى بئر العاطر فى جنـــوب تونس) ، وهى حضارة متطورة عن الحضارة الموستيرية[٢٢] ، ونشأت فيمـــا يرجح فى شمال غرب أفريقيا وانتشرت فى منطقة أطلس ومنها انتقلت الى طرابلس ونجد آثارها فى وادى مردم على السفوح الشرقية لجبل نفوسة وعلى الحافة الشمالية لهذا الجبل فى وادى غان[٢٣] ومن ثم انتقلت الى برقة حيـــث اتخذت محلات لها فى رأس عامر مناطق أخرى مثل (حقفة الطيرة) جنوبى بنغازى[٢٤] امتدت آثارها الى واحة سيوة والواحة الداخلة ثم استقرت فى الواحـــة الخارجة . ومعنى ذلك أن الجماعات البشرية صاحبة هذه الحضارة كانـــت على درجة كبيرة من المهارة وعلى جانب كبير من الحيوية اذ وجدت فى نفسهـــا الجرأة على التنقل من جبال أطلس مجتازة ليبيا حتى أن عناصر منها وصلت الى الواحة الخارجة[٤٣] .

وقد ظهرت فى شمال أفريقيا بعد ذلك حضارة شبيهة بالحضارة الأورنياسية وهى تمثل احدى فترات حضارة العصر الحجرى القديم الأعلى فى اوربا وسابقة لها فى الزمن[٢٥] . وفى الفترة ما بين عامى ١٥,٠٠٠ ، ١٢,٠٠٠ ق.م. تقريبا بدأت حضارة وهران (وهى من حضارات العصر الحجرى القديم الأعلى) تنتشر فى منطقة تمتد على الساحل من المغرب الى خليج قابس . وكان أصحاب هذه الحضارة قد قدموا الى هذه المنطقة من جنوب غربى أوربا . وفى الوقت نفسه كانت المرحلة الأولى من مراحل حضارة كهف الدبة (فى منطقة وادى كوف) قد استقرت فى ذلك الوقت ربما نتيجة لهجرة قادمة من الشرق واستمرت مجتمعات خليجى سرت الصغير والكبير تباشر صناعة العصر الحجرى القديم الأوسط التى قام الدليل على وجودها فى جنوبى الدلتا فى مصر على الأقل .

وفى الفترة ما بين عـــامى ١٢,٠٠٠ و ١٠,٠٠٠ ق.م. انتشرت صناعـــة مرحلة متأخرة من حضارة الدبة فى برقة ومنها انتقلـــت الى شرقى الجزائر وتونس لتستقر فى منطقة يسيطر عليها أصحاب حضارة وهران الأوائل . فى حين ظلت حضارة وهران سائدة فى كل منطقة ساحل المغرب .

وفى الفترة ما بين عامى ١٥,٠٠٠ و ٩,٠٠٠ ق.م. ، وهى تقابل المرحلـــة الأخيرة من حضارة الدبة توغلت حضارة وهران الأولى شرقا حتى بلغت برقة لتحل محل حضارة الدبة . وتدل مخلفات كهف (هوا الفتايح) على أن حضارة وهران وصلت فجأة الى هذا الموقع وهذا يدل على وجود تحركات بشريـــة قوية فى المنطقة . واستطاعت حضارة وهران أن تجد طريقها الى الدلتا حيث أقامت لنفسها محلات هناك ووصلت الى أنحاء أخرى من مصر . ومحلات هذه الحضارة قائمة فى وادى ميدامود بالقرب من الأقصر وبعض مناطق الفيوم وبعض المناطق الصحراوية البعيدة مثل واحة سيوة وجبل العوينات وعلى سطح الهضبة الواقعة الى الغرب من الواحة البحرية وواحة الفرافرة وكـــوم أمبو وقاو . وزاحمت حضارة وهران أيضا محلات حضارة الدبة فى قفصـــة الواقعة فى أقليم قسطيلة شمال شط الجريد بتونس ولتصبح الحضارة هناك حضارة قفصية صرفة .

وفى الفترة ما بين عامى ٩٠٠٠ و ٥٠٠٠ ق.م. انتشرت حضارة قفصة العليا الى جنوب شرق المغرب وانتشرت شمالا لتؤثر فى صناعات وهران المعاصرة على الساحل ، وما لبثت أن قامت لهذه الحضارة محلات فى طرابلس. ولم يتوقف انتشارها عند هذا الحد بل تقدمت شرقا وساعدت على قيام الحضارة فى سرت ثم انتقلت الى برقة لتحل محل حضارة وهران وذلك حوالى عام ٨٠٠٠ ق.م. ولم تذهب الحضارة القفصية الى أبعد من ذلك . وكانت مؤثرات من الشرق قد وصلت أيضا الى كهف هوا الفتايح[٢٦] .

وقد عثر مؤخرا على كهف يقع فى وادى جراجا وهو أحد روافد وادى الكوف وينتهى الى البحر على بعد ١٣ كم الى الغرب من أبولونيا ويبعد عن قورينى (= شحات) بحوالى ثلاث كيلومترات ونصف . ويمكن مشاهدة عدد من الرسوم تمثل حياة مجتمع من مجتمعات العصر الحجرى القديم مصورة على جدران الكهف ، من بينها صور الأغنام الافريقية وهى الودان ، وقد انقرضت من الجبل الاخضر والمنطقة الساحلية ولا تزال موجودة فى الدواخل ومناطق الصحراء ، وصورة لأنواع من البقر والثيران . ويرجح أن تاريخ هذا الكهف يقع ما بين الألف السابعة والسادسة ق.م. وعلى صخور جبال الهروج والسود عثر على صور مشابهة[٢٧] .

والأدلة ليست كثيرة على وجود العصر الحجرى الأوسط فى ليبيا . وان كانت هناك أمثلة على صناعات هذا العصر متناثرة فى ليبيا حتى منطقة الجبل الأخضر[٢٨] وهو فترة هامة فى تاريخ شمال أفريقيا اذ عاصرت الفترة بين تراجع الجليد وبين ظهور جماعات الزراعة والرعى . وأدى تراجع الجليد نحو الشمال الى زحزحة كل المناطق المناخية . وحدثت فترة جفاف نسبى فى شمال أفريقيا وترتب على ذلك هجرة بعض سكانها الى أوربا[٢٩] .

وانتقلت ليبيا من العصر الحجرى القديم الى ما قبيل العصر الحجرى الحديث ، وينهض شاهدا على ذلك كهف (حقفة الطيرة) ، وتشبه مخلفات الانسان فى هذا الكهف مخلفات انسان كهف هوا الفتايح[٣٠] .

وفى المنطقة الساحلية التى تتوسط بين برقة وطرابلس والبالغ طولها ٦٥ كم عثر على محلات الصناعات فى العصر الحجرى ومن هذه المحلات موقع لمطار بريطانى كان مقاما عند القوس الرخامى **Marble Arch** وتحتوى هذه المحلة على آلات حجرية قزمية وأدوات دقيقة وبعض بقايا من قطع العظام وقواقع بحرية وبقايا بيض النعام . وعلى هذه المحلة غربا محلة أخرى فى سرت ويشاهد بها نفس مخلفات المنطقة السابقة تقريبا ويلاحظ أن بيض النعام مزخرف بخطوط مما يرجح وجود مجتمع من جامعى الطعام على طول الساحل الجنوبى لخليج سرت لعله كان يعتمد على ما كانت تقدمه له البيئة البحرية من غذاء . ومخلفات الانسان فى هاتين المحلتين تعود الى العصر الحجرى الحديث • ونظرا لرسم الخطوط على قشر بيض النعام فان ذلك يعتبر ظاهرة حضارية هامة ويجعل من الأوفق اطلاق اسم حضارة سرت على هذه المنطقة [٣١] .

وفى طرابلس تتعدد محلات العصر السابق على العصر الحجرى الحديث اذ عثر على مخلفات من صناعة العصر الحجرى القديم الأوسط بالقرب من بئر دوفان وعلى بعد ١٥ كم الى الجنوب من غريان وعلى الجانب الجنوبى لوادى غان[٣٢] .

وفى بداية العصر الحجرى الحديث استمر الجفاف فى شمال افريقيا وسادت الظروف الصحراوية وكان على الانسان ، وهو فى هذه المرحلة الانسان العاقل **Homo sapiens** أن يبادر الى مغادرة الصحراء وأن يسعى الى الاستقرار حيث موارد المياه . وآثار انسان هذا العصر كثيرة فى برقة والمحلات الكثيرة لحضارة هذا العصر والمنتشرة بكثرة على الساحل تحتفظ بالادوات التى اعتاد انسان هذا العصر استخدامها والتى تشبه ما عثر عليه فى الصحراء فى الداخل . وهذه ظاهرة تلفت النظر اذ أن ذلك يعنى أن الصحراء والساحل شملتهما معا وحدة حضارية واحدة[٣٣] . وأصبحت هناك مجتمعات مستقرة مثل مجتمع العوينات فى جنوب الصحراء الليبية قرب التقائها بحدود مصر حيث خلف الانسان رسوما تمثل هذا العصر ونرى فيها الحصان والعربة[٣٤] مما يذكرنا

بما قاله هيرودوت عن استخدام الجرامنتيس لهما وان كان ذلك فى العصور التاريخية[٣٥] والجرامنتيس هم أهل فزان ، حيث عثر على صور مرسومة على الصخر وتعود الى العصر الحجرى الحديث[٣٦]. فهل يعنى هذا وجود اتصال حضارى على طول الصحراء الجنوبية .

وفى طرابلس تتوفر الأدلة على وجود محلات العصر الحجرى الحديث فى سهل جفارة وبعض مناطق من جبل نفوسة . وفى المنطقة الممتدة من غريان الى مزدة[٣٧] .

ولم تقتصر مخلفات انسان العصر الحجرى الحديث على منطقتى برقة وطرابلس بل اننا نجد آثار هذا الانسان فى منطقة فزان بالقرب من تاسيلى فى المنطقة المنخفضة بين حجار — تيبستى (تمو) وجنوب مرتفعات طرابلس ومن أهم هذه المواقع موقع In Habeter III حيث يمكن مشاهدة رسوم محفورة على الصخر تمثل صور الزراف ، وهى الظاهرة الغالبة على هذا الموقع ، والى جانبها وحيد القرن والتيتل . ويلاحظ أن الصيادين يلبسون أقنعة لها رؤوس ابن آوى ويحملون أسلحة بسيطة لعلها عصى . ويبدو أنهم كانوا يلبسون أحزمة أو مئزرا يلتصق به من الخلف ما يشبه ذيل الحيوانات .

وفى جبل عكاكوس عدة مواقع هامة من بينها Tel Issaghen ويمكن أن تشاهد بين الصور المنقوشة على الصخر نوعاً من الفيلة Bubalus Antiquus وصوراً لصيادين يحملون السهام ويلبسون جلد وحيد القرن وأقنعة للرؤوس ومناظر لبقر أو جاموس . وتظهر أيضا بين الرسوم صورة لصياد يتحلى بذيل حيوان . وترى صورة طريفة تبين كيفية اصطياد الفيلة اما باستخدام عصى الرماية ذات الطرف المقوس أو بقذفها بعصى غليظة .

وتكشف صور أخرى فى موقع فى وادى ديرارات أنه كان فى الماضى يتمتع بنصيبة وافر من المياه الدائمة اذ أنه الى جانب الزراف ووحيد القرن والجاموس يمكن أن نرى فرس البحر .

ويلاحظ وجود صور للحصان والعربة فى رسوم الصخور وهى صور تتكرر على صخور الحافة الشمالية للصحراء حتى المغرب[٣٨].

وقد لاحظ نفر من العلماء المهتمين بدراسة عصور ما قبل التاريخ وجود بعض أوجه الشبه بين مواطن حضارة العصر الحجرى الحديث فى مصر ومواطن هذه الحضارة فى ليبيا وخاصة فى برقة . من ذلك أنه من المرجح لديهم من تتبع انتشار الآلات الحجرية الخاصة بهذا العصر أن شعبا شبيها بشعب الفيوم والبدارى كان يعيش فى الواحات وحول موارد الميـاه الدائمة وينتشر فى القسم الجنوبى من مصر من وادى النيل حتى الواحة الخارجة وفى قسمهـا الشمالى من حلوان حتى سيوة . ومظاهر الحضارة الغالبة ليبية ولذلك تظهر آلات الفيوم القزمية كعنصر شاذ بين الآلات السائدة بين هؤلاء القوم[٣٩] . وقد دفع ذلك بعض المؤرخين الى القول بأن أصحاب الصناعات القزمية فى الفيوم انما أتوا من جنوب الصحراء الليبية الى الخارجة ثم الى الفيوم والى غيرهما من المواطن التى استطاعوا النزول فيها[٤٠] فى حين أن البعض يرى أن حضارة البدارى حوالى عام ٤٥٠٠ ق.م. انتشرت فى شمال افريقيا وتركت اثرا واضحا فى الصيادين الليبيين وذلك قبل أن تتحول ظروف المناخ والنبات الى الظروف الصحراويـة الواضحة[٤١] . وما أن تزايد الجفاف حتى جـاءت العناصـر الليبية لتستقر فى وادى النيل . واذا أضفنا الى ذلك أن سكان البدارى كانوا يحلون شعورهم بوضع الريش فيها فان هذا يرجح وجود أثر ليبى واضح فى حضارة البدارى[٤٢]. وقد ثبت من فحص الهياكل العظمية أن سكان قرية (مرمدة بنى سلامة) فى جنوب غربى الدلتا ، وحضارتهم هى حضارة العصر الحجرى الحديث ، كانوا فرعا من سكان البحر الأبيض من ذوى الجماجم التى تميل الى الاستطالـة وجباههم عريضـة ، وهم فرع من حضـارة انتشـرت على شاطىء أفريقيا الشمالى ووصلت الى أوربـا حوالى عـام ٣٠٠٠ ق.م.[٤٣] .

وحضارة نقادة الاولى أو العمرة (نسبة الى العمرة بجنوب مصر) وهى أحدث من حضارة البدارى تتضح فيها المؤثرات الخارجية القادمة من الغرب وقد اختفت السمة الزنجية التى كانت ظاهرة بين المصريين فى البدارى ويعلل ذلك باختلاط المصريين بالليبيين فى غربهم وهم من دم حامى[٤٤] .

ويفسر التشابه القائم بين الحضارات المصرية الممثلة فى الفيوم ومرمدة بنى سلامة بغرب الدلتا والصحراء الليبية ، فى رأى البعض ، بـأن الثقافـة الحامية كانت سائدة فى كل هذه المناطق . وفى رأى البعض من علماء الاجناس أن شعبة من الجنس الحامى السامى قد استقرت فى شمال افريقيا والصحراء الكبرى قبل عام ١٠٠٠٠ ق.م. ثم خرجت هجرة من هذه الشعبة بعد أن تم تخصصها الحضارى فى الفترة ما بين ١٠٠٠٠ ، ٨٠٠٠ ق.م. الى الشرق فنشرت حضارتها فى وادى النيل وغرب آسيا حتى بلاد ما بين النهرين . ومعنى هذا ان كلا من حضارة بابل ومصر انما نشأت فى الأصل فى شمال أفريقيا والصحراء الكبرى[٤٥] وهذا الرأى يجب أن يدرس فى ضوء ما نعرفه عن تحركات الجماعات البشرية فى هذه الازمنة الضاربة فى القدم . لأنه مما سبق نرى أن هذه الفترة بين عامى ١٠٠٠٠ ، ٨٠٠٠ ق.م. تقابل مرحلة انتشار حضارة وهران القادمة من الجزائر الى وادى النيل . ولكن اقامتها فى مصر لمدة طويلة جعلها تتخذصفات جديدة وترسى قواعد حضارة تختلف عن الحضارة التى أتت بها من مواطنها الأولى .

على أى حال فالأدلة كافية على وجود اتصال بين غرب الدلتا فى العصر الحجرى الحديث والمناطق المجاورة وبين سكان الواحات وشمالى الصحراء فى شرق ليبيا شمـال بحـر الـرمـال الليبى ، والحضـارات المختلطـة فى هـذه المنـاطـق الصحـراويـة التى وجـدت فى أواخـر الالف الخامسة أو الرابعة ق.م. وفضلا عن ذلك فان الاحتكاك الحضارى واضـح بين مجتمعات ليبيا ومجتمعات وادى النيل. والاتصال قائم بين الواحة الخارجة وسيوة والفيوم وبين الجغبوب والعجيلة وكذلك كان الاتصال قائما فيما يرجح بين مصر ومناطق الساحل فى برقة ولكنه لم يتجاوزها الى ما وراء خليج سرت. ولم يتوقف هذا الاتصال الحضارى بل استمر لمدةعدةقرون بعد ذلك. ويقدم كهف هوا الفتايح فى الجبل الاخضر الدليل على وجود المؤثرات المصرية بعد النصف الثانى من الالف الخامسة ق.م.[٤٦] .

وفى عصر ما قبل الاسرات وهو العصر الذى التزم فيه المصريون وادى

النيل بصفة نهائية وعرفوا استخدام النحاس وزادت عنايتهم بالزراعة ، كانت حضارة نقادة أو جرزة قد بلغت أوجها . ويرجح أنها عمت كل شمال افريقيا لعدة آلاف من السنين وأنه ليس من المستبعد ، تبعا لذلك ، ان يعثر يوما ما فى برقة على مخلفات هذه الحضارة[٤٧] . وازاء وجود عناصر ليبية واضحة فى هذه الحضارة فان البعض يرى أنها ليبية الأصل وان كان البعض الآخر يرى أنها حضارة افريقية خالصة اصحابها من الجنس الحامى الذى انتشر فى شرق وادى النيل وغربه . ولما كانت بعض رسـوم الصخور فى فزان تعكس بعض التاثيرات الفنية المصرية من عهد ما قبل الاسرات ، حسـب مـا يرى بعض المؤرخين ، فانه لا بد وان تكون هناك علاقة بين الثقافتين[٤٨] . وربما كانـت هناك تأثيرات متبادلة عن طريق العوينات .

ونخلص الى القول بأن شمال افريقيا فى العصر الحجرى قد انقسم حضاريا الى قسمين ، وأحدهما هو القسم الغربى بما فى ذلك طرابلس افريقى فى طابعه، ويتصل بحضارات العصر الحجرى الحديث فى النيجر والسـودان وأعـالى النيل ، والقسم الثانى وهو القسم الغربى فى شمال بحر الرمال الليبى وشماله الشرقى ، ويمتد من الجبل الأخضر شرقا الى الفيوم وجنوبـا الى الواحـة الخارجة . وقد ساده طابع بدائى لحضارة مجتمع منتج للطعام اتسمت معالمه بصورة مستمرة ابتداء من أواخر الالف الخامسـة ق.م. ويعزى هـذا الى الاحتكاك الحضارى بين الصيادين الوطنيين الذين كانوا يستخدمون الأسلحة القزمية ، والجماعات المنتجة للطعام الوافدة من جنوب غرب آسيا . وهـذا الطابع الخاص المميز لهذه المنطقة ، الذى كان واضحا فى حضارات الصيـد المتأخرة ، استمر يدعم من كيانه حتى انه ظل قائما فى العصر التاريخى[٤٩] .

وبعبارة أخرى أنه بينما كانت طرابلس منجذبة حضاريا الى افريقيا ، كانت برقة على علاقة وثيقة بمصر . وابتداء من عصر ما قبل الأسرات فى مصر، أصبح لدينا شواهد أثرية ثابتة تعين على التعرف الى الجماعات الليبية ومدى اتصالها بسكان وادى النيل .

عثر بجبل العركى تجاه نجع حمادى فى الصحـراء الشرقية بمصر على

مقبض عاجى لسكين، يعود تاريخه الى منتصف الألف الرابعة ق.م. وقد صورت على أحد وجهى المقبض معركة جرت على البر والماء بين فريقين، تميز أحدهما بان أفراده كانوا يرسلون شعورهم الطويلة ويجعلونها تنسدل على جانب الرأس على هيئة جديلة ، ويتخذون قرابا يستر العورة ، وان كان يشاركهم فى الظاهرة الأخيرة أفراد الفريق الآخر وهم من المصريين . والشعر الطويل المنسدل والجديلة والقراب تقرب أصحابها الى هيئة الليبيين الذين صورهم عليها المصريون فى العصور التاريخية[50] .

وعلى لوحة أو صلاية تعرف باسم صلاية صيد الاسود يمكن مشاهدة فريقين من الصيادين أثناء مطاردة الأسود . ويلاحظ أن رجلين من الصيادين يحملان لواءين تعلو كلا منهما هيئة الصقر ، ورمز المعبود حور ، ولعلهما بذلك يرمزان لأكبر أقاليم غرب الدلتا فى فجر التاريخ . ويلاحظ أيضا أنه يتدلى خلف كل رجل ذيل ذئب أو ذيل ابن آوى ، وان كل رجل وضع ريشة أو ريشتين فوق رأسه . وبدت شعور القوم طويلة فضلا عن أنهم يطلقون لحاهم . كل هذه المظاهر ترجح ان القوم من الليبيين[51] .

وتتكرر فى صلاية أخرى تعرف باسم صلاية الأسد والعقبان صور أشخاص يلبسون قراب العورة ، وقد ظهر الى جانبهم أيضا لواءان للمعبودين حور وتحوتى[52] .

وفى صلاية ثالثة يظهر ملك وهو يهم بضرب زعيم خصومه ، وأمامه علامتان تعبران عن اسم منطقة ، يحتمل أن تكون (وع) أو (عش) . والمرجح أنه اسم اقليم يتألف من صورة خطاف وحوض ماء . ولعل الخطاف كان رمزا لاقليم يقع فى اقصى شمال غرب الدلتا عند حدود الصحراء الليبية[53] .

واذا اقتربنا من عصر ما قبل الاسرات وعندما كانت المحاولات تبذل لتوحيد مصر بشطريها ؛ الوجه البحرى والوجه القبلى ، لوجدنا لوحة للملك الوجه القبلى الملقب بالعقرب وقد قسمت الى أربعة صفوف أفقية . وقد ظهرت فى الصفوف الثلاثة الاولى صور ثيران وحمير وكباش ، وفى الصف

الرابع صورة لشجرة يظن أنها من نوع شجر الزيتون. وكتب أمام الشجرة علامة تصويرية تعتبر من أقدم العلامات الكتابية ، وتدل على كلمة تحنو[٥٤] ولعل المقصود بها الاراضى الشمالية الشرقية من الصحراء الليبية المجاورة لحدود الدلتا[٥٥] أو لعل الملك يكون قد خاض حربا أو معركة ضد الليبيين المقيمين فى هذا الاقليم القريب من مصر وغنم منها هذه الغنائم والتى صورها على لوحته تلك . والمهم أن هذا هو أقدم ذكر فى الآثار المصرية لشعب ليبى عرفه المصريون باسم التحنو . وهو أحد المجموعات الكبرى التى انقسم اليها الليبيون فى العصور القديمة .

وقد عاد اسم التحنو الهيروغليفى للظهور مرة أخرى على اسطوانة من العاج عثر عليه فى مدينة هيراكونبوليس (الكوم الاحمر شمال ادفو بصعيد مصر) ، وتحمل اسم الملك نعرمر ، وقد ظهر الملك فى هذه اللوحة وهو يضرب جماعة من الأسرى نقش فوقهم اسم تحنو[٥٦] . ونتساءل هل نفهم من هذا الشاهد أن الليبيين كانوا من بين سكان الدلتا الذين كان ينبغى لنعرمر محاربتهم أثناء محاولته توحيد البلاد فى مملكة واحدة ؟ اذا سلمنا أن ثمة عناصر ليبية قدمت من ليبيا واستقرت فى غربى الدلتا ، فانه يتحتم علينا ان ترجح أن الليبيين التحنو كانوا بالفعل عنصرا متميزا بين سكان الوجه البحرى. ونرى على آثار الملك عجا خليفة الملك نعرمر اشارات كثيرة الى حروبه مع الليبيين والى تشييده بعض المعابد ، وبخاصة للربة نيت ، وكانت نيت هذه ربة ليبية كان مقر عبادتها فى مدينة صا الحجر فى غرب الدلتا . وفضلا عن ذلك كانت زوجة الملك تدعى نيت ـــ حتب وربما كانت هى الأخرى من نفس هذه المدينة[٥٧] . وقد تكرر اسم التحنو فى نصوص الأسرتين الثانية[٥٨] والثالثة (٢٧٧٨ ـــ ١٧٢٣ ق.م.)[٥٩] . بوصفهم جماعات كان ينبغى على بعض فراعنة هاتين الاسرتين محاربتها والتصدى لوقف هجماتها .

وقد قاد الملك سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة (٢٧٢٣ ـــ ٢٥٦٣ ق.م.) حملة ضد الليبيين وسجل حجر بالرمو الغنائم الضخمة التى غنمها فى هذه الحملة وهى ١١٫٠٠٠ أسير و ١٣٫١٠٠ رأس من الماشية[٦٠] .

ولعل أهم النصوص التى تتحدث عن التحنو هى نقوش الملك (سحورع) والملك (ونيى ــ أوسر ــ رع) وهما من ملوك الأسرة الخامسة (٢٥٦٣ ــ ٢٤٢٣ ق.م.) والتى سجلت على جدران معبديهما فى أبوصير[٦١] . وقد جاء فى نقوش سحورع عبارة « ضرب تحنو » . وقد رسمت صوُر الثيران والحمير والاغنام وقطعان من الماعز التى غنمها الملك ، وفوقها وتحتها تشاهد صــور أسرى مكبلين نقش فوقهم اسما اقليمين هما « باش » و « وبكت » وهمـا فيما يرجح اقليمان من بلاد تحنو . وترى كذلك خلف أسرة أمير تحنو الــه الغرب والاله عش سيد بلاد تحنو وهما يقدمان للملك كــل خيرات البــلاد الاجنبية . وهذه الصور على جانب كبير من الأهمية اذ تسمح بدراسة الطابع الجنسى الذى يميز تحنو وشكل ملابسهم . ويظهر الرجال والنساء فى الصور قوما طوال القامة سمر البشرة ، وشعرهم أسود طويل متموج ينهــدل الى الخلف فى جدائل كثيفة تتدلى الى ما فوق الكتف . وتنتصب فوق الجبهــة خصلة من الشعر وربما كانت نوعا من الزينة يتحلى بها القوم ويشبهها البعض بالصل المقدس الذى يبدو منتصبا فوق جبهة الفرعون المصرى . ووجــوه القوم نحيفة بارزة الوجنات وشفاههم غليظة وللرجال لحى قصــيرة تحــدد شكل الفك بشكل ملحوظ وتنتهى بطرف مدبب . ويلاحــظ أن الرجــال والنساء على السواء يلبسون لباسا واحدا . ويرتدى كل من الرجــل والمرأة شريطــين عريضــين مصنوعــين من الجلــد ويتقاطعــان على الصــدر . ويتمنطق كل منهما بحزام مزين بخطوط عمودية وأفقية وينتهى من الأمــام بقراب العورة . وتحيط الرقبة بنيقة مرتفعة نوعا ما تنزل منها بعض الأشرطة. وكان الرجل من التحنو يتحلى بذيل الحيوان .

ويلاحظ أن الاطفال لا يرتدون حزاما او قرابا للعورة أو ذيل حيوان . وهذه الملابس لا تجد فيها قطعة واحدة حيكت للوقاية أو المحافظة على الجسم من تقلبات الجو ، ولذلك فانه يرجح أن اللباس كان يهدف الى خدمة أغراض تتصل بالسحر[٦٢] .

ويرى بعض المؤرخين أن هناك بعض أوجه شبه بين ملابس ملوك مصر

وملابس شعب التحنو. ذلك لأن الفرعون كان يتزين بذيل الحيوان باعتباره من امارات الملك ، وخصلة الشعر عند التحنو تماثل الصل المقدس على جبين الفرعون ليحميه من شر أعدائه . وقد استند البعض الى أوجه الشبه هـذه للقول بأن المصريين يرجع أصلهم الى الجنس الليبى ، وأن الليبيين قد توافدوا على وادى النيل واستوطنوه بوصفهم صيادين ورعاة ثم تحولوا الى حيـاة الزراعة فصاروا زراعا مستقرين[٦٣] . ويبدو من نقوش ساحورع أنه كان يطلق على رئيس التحنو لقب (حاتى تحنو) أى (أمير تحنو) . ومنح رئيس أجنبى هذا اللقب يعد أمرا غريبا فى بابه[٦٤] . والواقع أن شعب التحنو كان يبدو على الأقل عنصرا يقترب فى أصله من أصل المصريين أبناء عمومته . والشبه واضح فى لون البشرة السمراء والشعر الأسود فضـلا عن أن التحنو يختلفون عن الليبيين يعيشون الى الغرب من مناطقهم والذين سنعرض لهم فيما بعد . من ذلك ، مثلا ، أن التحنو كانوا لا يضعون الريشة المميزة لهذه الأقوام الليبية . وذهب بعض المؤرخين الى أبعد من ذلك بقولهم أن التحنو كانوا فى الأصل مصريين وأقاموا فى الوجه البحرى ثم هاجروا منه فى وقت ما نحو الغـرب وسكنوا اقيم تحنو الذى جعلوه واقعا على الحدود المصرية . والواقـع أن اقليم تحنو كان بالفعل يقع غرب مصر مباشرة كما نفهم من نقوش سحورع ومن نقوش تحتمس وأمنحتب الثالث من ملوك الأسرة الثامنة عشرة والملـك سيتى الأول من ملوك الأسرة التاسعة عشرة . وفى رأى البعض أنه كان يمكـن تحديد الموقع بصورة أدق فقد كان هذا الاسم يطلق غالبا على المكان الذى يجلب منه النطرون ، (الذى كان يستعمل فى مصر القديمة لتحضير طـلاء الخزف والزجاج) ولكن هذه بقعة صحراوية وقد لا تكفى خيراتها عـددا كثيرا من الناس ، فلابد أن اقليم تحنو كان يشمل أيضا بقاعا خصبـة غربى وادى النيل ولعل هذه المنطقة هى الفيوم اذ نشاهد فى نقش من عهد الفرعون منتوحتب أحد رؤساء تحنو معلقا فى حزامه صور سمك . ولما كان الآلـه سبك (التمساح) مقدسا منذ القدم فى الفيوم ، وهو فى نص متأخر يمثل بلاد التحنو . وفى نصوص أخرى ، هو سيد بلاد باش ، وهى حسب نص

سحورع جزء من بلاد التحنو ، فان بلاد التحنو من أجل ذلك ، هى وادى النطرون والفيوم . ويضيف البعض الى ذلك أن اقليم التحنو كان فى الواقع يقع الى الغرب من الدلتا مباشرة . وربما كانت سلالة هؤلاء القوم تقيم فى الدلتا زمن توحيد الوجهين . وكانوا كما أسلفنا قد تصدوا لنعرمر ثم أجلوا عنها الى المناطق السابق ذكرها ، وربما أيضا الى منطقة الواحات وهذه لم تضم الى الوطن المصرى الا فى عهد الملك رمسيس الثالث من الأسرة العشرين، ويفهم من أحد النقوش أن الواحات كانت قبل ذلك تحت اشراف رؤساء أجانب يقومون بدفع الجزية الى فرعون مصر . وقد نستطيع القول أن بلاد التحنو كانت تشمل منطقة الفيوم والواحات ووادى النطرون ومارمريكا (وهى المنطقة الممتدة من السلوم الى درنة)[٦٥] . ولكن اذا سلمنا أن التحنو كانوا يمتون بمثل هذه الصلة الوثيقة بالمصريين ، فبم نفسر هذا الموقف العدائى الذى كان يقفه كل فريق من الآخر ؟ وهل لم يفطن كل منهما الى القرابة القائمة بينهما ؟

والتفسير الذى يبدو محتملا هو أن الفوارق بين حضارة القومين قد أصبحت واضحة لدرجة أن المصريين لم يعودوا يشعرون باشتراكهم مع الليبيين فى أصل واحد . واعتبروا التحنو قوما غرباء بالنسبة لهم . وما كانوا ليسمحوا لهم بمحاولة الاستقرار فى الوادى . وعلى أى حال ينبغى أن يفهم أن اسم تحنو انما هو لفظ جنسى ، فلا يتحول الى اصطلاح جغرافى . وقد ظل هذا الاسم مستعملا بعد الدولة القديمة للدلالة على شعوب الغرب وذلك بالرغم من صفاتهم الطبيعية وبالرغم من ملابسهم التى تميزهم عن غيرهم من الليبيين ، وبالرغم من ظهور جماعات ليبية بأسماء أخرى الا أن اسم تحنو سيظل يتردد فى نصوص العصر الفرعونى ليكون دلالة على ليبيا وعلى الليبيين[٦٦] .

خلال الألف الثالث ق.م. يبدو أنه قد طرأ تغير عميق على سكان ليبيا ، ذالك أنه ظهر وسط الليبيين من التحنو ، من ذوى البشرة السمراء والشعر الأسود ، واخوان المصريين فى الجنس ، شعب جديد تميز بالبشرة البيضاء

والشعر الأشقر . ويبدو أنه قد نجح فى أن يحقق لنفسه مركزا ممتازا قويا فى ليبيا . وقد أطلق المصريون فى نصوصهم على هذا الشعب الجديد اسم التمحو تمييزا له عن شعب التحنو . ومع ذلك فانه سيحدث خلط بين الاسمين. غير أن ظهور اسم التمحو دليل على أن المصريين قد فطنوا الى هذا التغير الجنسى الواضح بين الشعبين[٦٧] .

وأول ذكر للشعب الجديد فى النصوص المصرية انما يرجع الى عهد الملك بيبى الأول من ملوك الأسرة السادسة (٢٤٢٠ – ٢٢٨٠ ق.م.) اذ ذكر العظيم ونى قائد الجيش الذى سار لمحاربة قبائل آسيا أن جيشه كان يضم فرقة مرتزقة من التمحو[٦٨] . ثم جاء ذكرهم بعد ذلك فى عهد الملك مرنرع ، من ملوك هذه الأسرة فى النقوش التى خلفها الرحالة حرخوف على قبره فى الفنتين فى جنوب مصر والتى قص فيها رحلته الكشفية الثانية الى أرض ايام (جنوب وادى حلفا) وقال فيها أنه وصل حتى أرض التمحو الى الغرب من ايام . وقد اتصل بالتمحو مرة ثانية فى رحلته الثالثة الى درب الأربعين ويبدو أن هدفه كان بلوغ دارفور . وقال أنه سافر على درب الواحات ووجدت أن حربا قد استعرت بين زعيم قبيلة ايام ، وبين قبائل التمحو الذين كانوا يعيشون فى غرب مصر . وقال بهذا الصدد « أن رئيس ايام ذهب الى أرض تمحو ليضرب التمحو حتى الركن الغربى للأفق فذهبت فى أثره وأدخلت السكينة على نفسه»[٦٩] .

وقد ورد فى بردية هاريس التى تضمنت هبات رمسيس الثالث الى المعابد المصرية أن هذا الملك قدم حجرين من أحجار (تمحى) من الواوات (اقليم كورسيكو بلنوبة) . ولا تبعد مضارب الواوات كثيرا عن الشلال الثانى وكانوا شعبا زنجيا أو متأثرا بالدماء الزنجية . وحجر (تمحى) يوحى باسم التمحو . ولعله نسب اليهم لأن جماعة من التمحو كانوا يأتون به من الواوات ومن ثم ينقل الى مصر . وكان التمحو هم جيران الواوات من الشمال . ولما كانت أيام جيران الواوات الاقربين فانه يبدو من غير المحتمل أن رئيس ايام كان يدبر أمر مهاجمة التمحو فى واحات مصر البعيدة . ولذلك يرجح أن

كان يدبر أمر مهاجمة التمحو فى واحات مصر البعيدة. ولذلك يرجح أن التمحو اتخذوا موطنا لهم بين أهل النوبة على الشاطىء الغربى للنيل • وقد يعزز هذا الترجيح أننا فى العصر الرومانى كنا نجد جماعات من الليبيين وقد استقروا فى هذه المناطق . وقد قال استرابون الذى شارك فى حملة بترونيوس التأديبية فى النوبة وبلغ جزيرة فيلة ، « فوق مروى توجد بحيرة بسيبو (Psebo)، هى بحيرة كبيرة مأهولة بالسكان الى حد كبير. ولما كان الليبيون يحتلون البلاد الواقعة على الجانب الآخر من النهر فانهم كانوا يتبادلون امتلاك الجزر وجانبى النهر بأن يدفع كل فرين منهما الآخر أو يخضع لسيطرته » وقال أيضا : « الى اليسار (الغرب) من النيل تعيش قبائل نوباى Nubae فى ليبيا وهم شعب كبير العدد ومواطنه تبدأ من مروى، وتمتد حتى ثنية النيل، وهم غير خاضعين للأثيوبيين بل يعيشون مستقلين عنهم موزعين فى عدة ممالك ويرجح بيتس Bates أن النوباى كانوا الى حد ما ليبيين تأثروا بالدماء الزنجية خاصة وأن بطليموس الجغرافى جعل الليبيين الجرامنتيس ينتشرون جنوبا بشرق حتى نوبا Nuba . وربما كانت نوبا تقابل بسيبو . ويبدو أن التمحو زمن حرخوف ، وهم التجار الذين كانوا ينقلون حجر (تمحى)، قد رحلوا نحو الجنوب بعد ان واجهتهم المقاومة فى الاتجاه المضاد ولكن بقوا عنصرا أجنبيا بين الشعوب الأقدم منهم . وليس من المستغرب اذ رأينا على الآثار المصرية ليبيين ذوى ملامح ينضح فيها أثر طفيف للملامح الزنجية[٧٠] .

وقد عثر فى أواسط بلاد النوبة على مجموعة من المقابر عرفت باسم (مجموعة ج) C. Group ، وهى لقوم ليسوا بالمصريين وتؤرخ بالفترة ما بين الأسرتين السادسة والثانية عشرة. ويرجح بيتس أنهم من أصل ليبى وذلك استنادا الى أن جماجمهم تتميز بطابع البحر الأبيض وأن شعرهم مستقيم أو متموج بحيث أنه اذا وجد شعر مفلفل أو صوفى فهذا من باب الاستثناء . والشبه واضح من ناحية أخرى بين جماجم (مجموعة ج) وجماجم عصر ما قبل التاريخ فى مصر • وقد أسلفنا أنه من المرجح أن يكون قد حدث مزج فى ذلك العصر ما بين العناصر الليبية والعناصر التى أقامت فى الوادى مما

نتج عنه الجنس المصرى المعروف فى العصر التاريخى . ويستدل أيضا على أصلهم الليبى من بعض الشواهد الأثرية مثل طريقة الدفن التى يتميز بها الليبيون . اذ توضع الجثة على جانبها الأيمن وتتجه الرأس الى الشرق والركبتان لا تقتربان من الذقن بل يلاحظ أن الأفخاذ تتعامد مع السلسلة الفقرية وأن الأرجل تنثنى عند الركبتين حتى أن الكعبين يلمسان الردفين ، والقبر مستدير أو بيضاوى ذى قطر متسع ، وهذا النوع من المقابر المستديرة التى كانت تختص به هذه الجماعة الليبية فى النوبة فى فترة مبكرة على الأقل من تاريخها ، منتشرة فى شمال افريقيا ويعرف فى الصحراء باسم الرجم . من ذلك المقبرة المستديرة فى جزيرة المراكب فى خليج بومبا ببرقة . والمقبرة المستديرة الكاملة فى القبة ، وفى رأى بيتس أنه لا يمكن انكار أوجه الشبه الواضحة بين مقابر مجموعة ج فى النوبة ومقبرة جزيرة المراكب بالرغم من أن هذه متأخرة تاريخيا عن مقابر النوبة . ويرجع تاريخها الى فترة سابقة على العصر الاسلامى . ولكن هذا المكان من برقة كان منعزلا حتى فى العصر البزنطى عن أى أثر أجنبى ولا يشك بيتس فى أن مقبرة جزيرة المراكب مقبرة ليبية أو بربرية كما يقول ولذلك فانها تعكس المؤثرات القديمة . ويدعم هذا المؤرخ رأيه بأن مجموعة ج من الليبيين بأن احدى الصور المحفورة فى مقابرهم تصور رجلا يلبس الأشرطة المتقاطعة على الصدر وهى ، كما أسلفنا ، ظاهرة تميزت بها ملابس الليبيين فى الآثار المصرية . وتظهر أيضا صورة اثنين من رماة الأسهم . والقوس سلاح ليبى قديم لم يكن أهل النوبة ليعرفوا شيئا عنه حتى فى العصور المتأخرة ، ويمكن أن نلحظ فى الصور أيضا الريشة وقراب العورة وأن الشعر مرجل على هيئة جدائل . وكل هذه سمات ليبية واضحة . ومما يؤكد التفرقة الجنسية بين مجموعة ج وأهل النوبة أن أصحاب هذه المجموعة لا تشترك مع القوم الآخرين فى تحريم أكل السمك اذ عثر فى مقابرهم على خطافات لصيد السمك مصنوعة من النحاس . وقد شاعت بين مجموعة ج بعض العادات الدينية عند الليبيين مثل تقديس الموتى ، وتقديس البقر ، وقد انتشرت هذه الى غرب الدلتا . وقام بيتس بدراسة المخلفات المادية لحضارة

مجموعة ج فوجد أنها تتفق مع مخلفات الليبيين . وانتهى الى القول بأنه اذا كان الليبيون الشرقيون قد سلكوا الطريق الطبيعى المتجه جنوبا من واحة الخارجة الى جوار مدينة الدر واستقروا فى الوادى هناك فان حضارتهم المادية لا يمكن أن تكون قد اختلفت عن حضارة مجموعة ج بأى حال .

وقد خلص بيتس من دراسة مقابر مجموعة ج فى أواسط بلاد النوبة الى نتائج من أهمها أن مقابر مجموعة ج الكثيرة موجودة على الضفة الغربية للنيل فى منطقة ترتبط جغرافيا بالواحات المصرية . والليبيون وحدهم كانوا سكان الواحات . وقد أصبح الليبيون المتمصرون فيما بعد عند الجغرافى (استرابون) هم العنصر السائد بين سكانها . ويؤكد استرابون وجود موطنهم هذا الجنوبى على ضفاف النيل وفى هذا تدعيم لما ذكر (حرخوف) الرحالة المصرى ولو بصفة غير مباشرة .

ويضاف الى ذلك أن الليبيين التحنو كانوا يقيمون جنوبى الدر . ولذلك فان بيتس يميل الى الاعتقاد بأن مجموعة ج تنتمى فى الواقع الى الليبيين التمحو وأنهم استقروا فى منطقة على النهر تقع بين الشلالين الأول والثانى بعد أن فشلوا فى الاستقرار فى عدة مواطن شمال هذا الموقع ، وأنه فى مكان ما فى جوار الدر كانت تقع منطقة سميت خطأ مقاطعة (تحنوت) Tehenut (Tyhnwt) وذلك فى نقش من عهد الملك رمسيس الرابع[71] .

وقد كشفت بعد ذلك فى عام ١٩٢٣ مجموعة من قطع الفخار فى وادى (هوى) . وهذا الوادى يقع على مسافة أربعمائة كيلومتر فى الجنوب الغربى من الشلال الثالث . ووجد أن هذه القطع من الفخار تشبه فخار مجموعة ج فضلا عن أنه عثر أيضا على قبر يشبه مقابر شمال أفريقيا . وهذا ما جعل بعض المؤرخين يقول بوجود صلة وثيقة بين التمحو ومجموعة ج وسكان وادى هوى ، وأن أفراد مجموعة ج أتوا من الغرب من كردفان واستوطنوا منطقة تقع حول الشلال الثانى وذلك للتشابه الواضح بين صناعة الفخار فى منطقة مجموعة ج ومنطقة كردفان سيما وأن الأساطير تسود بين سكان شمال السودان عن نزوحهم من الشمال وانتشارهم حتى غربى بحيرة تشاد

حيث نجد هنا وهناك أفرادا شقر الشعر حمر العيون وأن وادى هوى كـان الطريق الذى سلكته هجرة الليبيين من التمحو ، وأنه بالنسبة للفخار نفسه وصناعته وزخرفته فانه لابد أن يكون قد جلبه قوم من أوربا أو من اقليم البحر الأبيض . ومعنى ذلك أن التمحو كانوا يقيمون فى ليبيا فى منطقة تقع الى الغرب من منطقة التحنو وأنهم انتشروا على طول الضفة الغربية للنيل واختارت طائفة منهم الاستقرار بين الشلالين الأول والثانى[٧٢] .

ويرجح أن التمحو بدأوا تحركاتهم تجاه مصر منتهزين فرصة الضعف الذى حل بها فى عهد الاقطاع الأول ، وبعد سقوط الأسرة السادسة حوالى عام ٢٢٨٠ ق.م. أخذوا فى مهاجمة أراضيها ، وان كانت المصادر المصرية قد سكتت عنها ، وربما كان ذلك راجعا لضعف هذه الهجمات أو عدم خطورتها أو أن ذكرها قد ضاع فى زحمة الأحداث . على أى حال فقد ترك المصرى القديم فى نقوشه ما ينم عن مبلغ احساسه بخطر التمحو اذ جاء فى بردية تعرف باسم (بردية ايبو ور) التى كتبت على لسان شخص حكيم أنه يعتب على أحد الملوك تركه البلاد تتردى وتتعرض لأخطار كثيرة من بينها هجمات الليبيين من الغرب[٧٣] .

وليس هناك من شك فى أن فراعنة الدولة الوسطى (٢١٦٠ ــ ١٥٨٠ ق.م.) قد خاضوا غمار الحرب ضد الليبيين ، من ذلك أننا نرى الملك (منتوحتب الثانى) (٢٠٧٩ ــ ٢٠٦١ ق.م.) يسجل هزيمته لأمير ليبى اسمه (خر ــ وواش)[٧٤] . وينوه هذا الملك بخضوع الليبيين له[٧٥] . ويبدو أن الملك (امنمحات الأول (١٩٩١ ــ ١٩٦١ ق.م.) كان يواجه خطر الليبيين المتجدد اذ أنه أقام على حدود الدلتا الغربية سلسلة من الحصون بقايا واحد منها لا تزال قائمة فى وادى النطرون[٧٦]. وقد وصلتنا بردية تعرف باسم بردية (نفر روهو) ، ويرجح أن كاتبها كان داعية سياسيا للملك أمنمحات الأول ، وقد تحدث عن وقائع حدثت فى عهد الملك (سنفرو) مؤسس الأسرة الرابعة فطلب هذا الملك من رئيس الكهنة وهو (نفروهو) أن يحدثه عن شيىء سيحدث فى المستقبل فقص عليه أن البلاد ستقع فى براثن الفوضى والفتن وأن

الذى سيخلصها من هذه الحالة السيئة انما هو ملك يدعى أمينى (وأمينى اختصار لاسم امنمحات) وعندئذ سينقذ البلاد من الليبيين[٧٧] . والثابت أن هذا الملك أرسل ابنه وشريكه فى الملك (سنوسرت) فى حملة فى أرض التمحو . وقد ذكر أحد قواده (سنوهى) أن سنوسرت عاد من هذه الأرض بعد أن استولى على أسرى من التحنو وكل أنواع الماشية التى يخطئها الحصر[٧٨] . ويتفق هذا النص مع ما ذكره المؤرخ ديودورس الصقلى من أن سنوسرت قد أخضع الجزء الأكبر من ليبيا [٧٩] . ولم يتوقف سنوسرت عن الحرب ضد الليبيين اذ ذكر فى نص آخر أنه أرسل حملة الى الواحات[٨٠] . وبعد ذلك لا تعود نسمع عن أى اشارة لغارات قام بها التمحو أو عن حملات وجهت ضدهم وذلك حتى نهاية عصر الأسرة الثانية عشرة وان كان الملك سنوسرت الثالث (١٨٨٧ ــ ١٨٥٠ ق.م.) قد صور نفسه وهو يهزم أحد الليبيين[٨١] .

وقد سبق أن ذكرنا أن (ونى) قائد الجيش فى عهد الملك بيبى الأول قد ذكر أن جيشه كان يضم فرقة مرتزقة من التمحو[٨٢] . وقد يفسر ذلك بأن التمحو عرفوا طريقهم الى الاستقرار فى مصر بعيدا عن جو المناوشات والاغارات منذ وقت مبكر . ونضيف الى ذلك أن حاكم القوصية فى عهد أمنمحات الأول وكان اسمه (سبنى) قد صور وهو فى طريقه الى الصيد وخلفه تابعه يحمل أسلحته وكلاهما كان يلبس قراب العورة . ويلاحظ أيضا أن سبنى كان يلبس على صدره شريطين متقاطعين وأن تابعه يتحلى بريشة مثبتة فى رأسه . فاذا سلمنا بأن هذا الحاكم من أصل ليبى فانه من المرجح أن تكون أسرته قد دخلت مصر فى العهد الاقطاعى الأول[٨٣] .

ولا تصلنا معلومات ذات قيمة عن الليبيين خلال فترة العهد الاقطاعى الثانى . ولم يرد أى ذكر لهم فى الوثائق القليلة التى وصلتناعنهذهالفترةولكن ابتداء من الأسرة الثامنة عشرة (١٥٨٠ ــ ١٣٢٠ ق.م.) بدأنا نسمععن التمحو. من ذلك مثلا أن الملك أحمس الأول (١٥٨٠ ــ ١٥٥٨ ق.م.) قد أطلق على

احدى بناته اسم «أحموسى حنة تمحو» أى أحموسى «سيدة التمحو»[٨٤] وهذا اشعار بهدوء الحالة فى الواحات وحدود مصر الغربية.

وفى عهد الملك أمنحتب الأول (١٥٥٧ ــ ١٥٣٠ ق.م.) بدأت أخبار الصدام مع التمحو تتردد فى النصوص المصرية . ويبدو أن التمحو كانوا قد استقروا على حدود مصر الغربية وأخذوا يباشرون نشاطا عدوانيا ضدها[٨٥] وقد كتب أحمس بينيخبت ، وهو أحد ضباط الملك أمنحتب الأول أنه قد أسر للملك «ثلاثة أيدى للايموكهك فى الشمال» وربما كانت حقول كهك واقعة فى الشمال الغربى من مصر أو فى منطقة بحيرة مريوط وواحة آمون . وربما تكون قبائل الكهك هذه قد هاجمت بجرأة المقاطعات الغربية من الدلتا فحمل عليها هذا الفرعون حملة صادقة ، وخلد ذكرى انتصاره عليها بصنع لوحة صغيرة من الخشب تصوره ملوحا بسيفه وقد جثم العدو عند قدميه[٨٦] . وعلى عهد تحتمس الأول (١٥٣٠ ــ ١٥٢٠) تجددت الغارات الليبية ولم يتهاون الملك فى صدها وقد ذكر الملك أنه قد هزم قبيلة (اكبت)[٨٧] .

ويبدو أن التمحو وغيرهم من الليبيين قد أخلدوا الى السكينة بعد أن استشعروا قوة الفرعون اذ جاء فى النصوص المصرية أن الليبيين كانوا يقدمون الجزية للملكة حتشبسوت وشريكها الملك تحتمس الثالث . وكانت فى الواقع جزية ضخمة مكونة من كميات من العاج وسبعمائة سن فيل وقطع كبيرة من جلد النمر[٨٨] . وفى معبد الدير البحرى نشاهد منظرا من عهد الملكة حتشبسوت يمثل تسليم كميات من الذهب الى خزائن الاله آمون . وكان الذهب يكيل أمام كاتب خزانة الاله وذلك فى حضور ممثلى الدول التى كانت تخضع لمصر أو تصادقها ، ويظهر فى المنظر ممثل لليبيا[٨٩] . وفى نقوش عثر عليها فى وادى حلفا ويرجع تاريخها الى السنة الثالثة والعشرين من حكم الملك تحتمس الثالث ، ورد ذكر الجزية التى كانت من بلاد تحنو[٩٠] . ويفهم من نصوص أخرى أنه لم يحدث فى عهد الملك ما يمكن أن يشتم منه حدوث اغارات ليبية على حدود مصر الغربية[٩١] . ولكن اثر الأحداث التى ارتبطت بثورة (أخناتون) (١٣٧٠ ــ ١٣٥٢ ق.م.) الدينية انصرف اهتمام فرعون عن

الأمور العسكرية مما شجع ، فيما يبدو ، الليبيين على معاودة الهجوم على مصر ، فكان على حور محب أن يؤكد قوة مصر على حدودها الغربية[٩٢] .

وقد صور الملـك سيتى الأول (١٣١٨ ــ ١٢٩٨) من ملوك الأسرة التاسعة عشرة (١٣٢٠ ــ ١٢٠٠) على مقبرته أجناس العالم الأربعة المعروفة عند المصريين ، ومن بين هذه الشعوب ، شعب التمحو ويتبين من الرسـم أنهم من ذوى البشرة البيضاء والعيون الزرقاء أو السوداء والشعر الأشقر وأن الشعر قد زين بجدائل صغيرة مرسل بعضها على الجبهة والبعض الآخر أسدل على القفاه بريشتين ويرخي لحيته ويطلق شاربه • وتبين الصورة كذلك شكل ملابسهم فهى تتألف من عباءة فضفاضة من الجلد وتغطى الكتف اليمنى وجزءا من أعلى الذراع ، وفى الجانب الآخر وهو الجانب الأيسر عقـدة عريضـة والذراع كلها عارية• وقد زخرفت رقعة العباءة بألوان مختلفة وثبت فى ذيلها شريط مخطط عريض . ويظهر تحت العباءة قراب العورة . والأذرع والسيقان محلاة بالوشم بصور معينة الشكل أو صلبان مستطيلة وكثيرا ما نشاهد فى هذا الوشم صورة العلامة الدالة على الربة نيت[٩٣] .

وفى عهد الملك سيتى الأول (١٣١٨ ــ ١٢٩٨ ق.م.) شن الليبيـون حوالى عام ١٣١٧ ق.م. هجمة خطيرة تميزت بالجرأة . وقد اضطر الملـك أن يقطع حملته فى آسيا ليعود لصد هذه الهجمة ، وربما يكون قد أقام فى العام الثانى من حكمه فى الدلتا ليكون على مقربة من المعركة . وقد صورت أخبار الحرب الليبية على جدران معبد الكرنك . ويرجح أنه أرسل فى أول الأمـر حملة لاستطلاع طبيعة ما يجرى على الحدود . وقد اتضحت صفات العنصر المهاجم بكل دقة من صور القتال والحرب التى سجلت على جدران معبـد الكرنك ، وبالرغم من أن الليبيين الذين هاجموا مصر فى هذه المرة يختلفون عن الليبيين الذين اعتاد المصريون مواجهتم الا أن هؤلاء أطلقو عليهم اسـم التحنو الذى اعتادوا استعماله من قبل . وفى رأى البعض أن العنصر المهاجم لم يكن من الليبيين التحنو أو التمحو بل كان عنصرا هندوأوريبا نزل بسواحل ليبيا[٩٤] .

ويرى البعض الآخر أن المغيرين كانوا من المشوش وان كان اسمهم لم يذكر صراحة وذلك استنادا الى شكل ملابسهم[٩٥] . وعلى أى حال لم يجد الملك صعوبة تذكر فى صد هذا الهجوم[٩٦] .

وازاء هذا الخطر الجديد أقام رمسيس الثانى سلسلة من الحصون فى الصحراء الغربية تمتد لمسافة ٣٤١ كم من راقودة الى زاوية الرخم وتقع على مسافة ١٩٩ كم شرق السلوم . ويرجح أن زاوية الرخم هى أبيس ، خاصة وأن سكيلاكس Scylax (٣٥٠ ق.م.) قال بأن سيادة حكومة مصر امتدت حتى أبيس . فتكون أبيس بذلك هى الموقع الذى يحدد القسم الشمالى من الحدود الغربية لاقليم تحنو . وأهم هذه الحصون ما كان مقاما فى راقودة وماريا (جنوب بحيرة مريوط) . والغربانيات والعلمين[٩٧] .

وقد جاء فى لوحة لرمسيس الثانى ، وهى موجودة الآن فى برج العرب (غربى الاسكندرية) ، أنه قد غزا بلاد الليبو وهذا هو أول ذكر لهؤلاء القوم فى نصوص الصحراء الغربية[٩٨] ، ويبدو أن هذا الملك لم يكتف بذلك بل أنه أقام خط مراقبة فى مارمريكا . وكل هذه الأعمال توحى بأن الأحوال فى ليبيا لم تكن عادية بل هناك شعور بخطر ملح رأى الفرعون من واجبه ضرورة الاستعداد لمواجهته . وقد سجل الملك على نقشين أحدهما فى معبد (بيت الوالى) والآخر فى معبد (بو سمبل) ، انتصاره على التمحو[٩٩] . وان كان بعض المؤرخين يشكك فى حدوث معارك أصلا بين هذا الملك والتمحو لأن صورة انتصاره عليهم فى معبد (بو سمبل) هى صورة طبق الأصل من المنظر الذى تركه أبوه (سيتى الأول) على جدران معبد كرنك[١٠٠] . ولكن هذا لا يمنع من القول باحساسه بخطر ما يجرى فى ليبيا من أحداث قد تهدد أمن مملكته . ولم يكن فى استطاعته تجاهل ما يجرى فى البحر الأبيض ذلك أنه فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر ق.م. (١٢٣٢ — ١١٩٠ ق.م.) وفى الأعوام الأخيرة من حكمه حدثت فى منطقة البحر الأسود وبلاد اليونان تحركات هائلة للشعوب بدت آثارها فى تلك الهجرات الضخمة التى تدفقت على آسيا الصغرى وفى جزر بحر ايجه وفى ليبيا ويبدو أن الملك احتك فعلا

ببعض أقوام البحر الأبيض الذين أقدموا على غزو بلاده من ناحية ليبيا ومعهم قبائل التحنو اذ أنه سجل انتصاره فى لوحة (تانيس) على الليبيين التحنـو وحلفائهم من الشردان ويتضمن النص الاشارة الى سفن الشردان مما يوحى بانه خاض معهم معركة بحرية الى جانب المعركة البرية . وقد جاء فى أحـد المصادر من عصره وهى (ورقة أنسطاسى) الأولى أن جيشه كان يتألف من خمسة آلاف مقاتل من بينهم مائة من المشوش و ١٦٠٠ من جنود كهك . وقد يعد هذا فى رأى بعض المؤرخين من باب ابعاد الخطر بالاستعانة بأولئك الذين كانوا السبب فى وقوعه .

وكانت أخطر غزوة تعرضت لها مصر قد حدثت فى العام الخامس من حكم الملك (مرنبتاح) فى عام ١٢٢٧ . وكان هذا الملك شيخا يناهز الثالثة والستين من عمره . وقد سجلت أخبار هذه الغزوة أربعة مصادر أصلية وهى : نقوش الكرنك الكبيرة ، وعمود القاهرة ، ولوحة أثريب ، وأنشودة النصر . ويقدم المصدر الأول ، وهو نقوش الكرنك وصفا كاملا لانتصا رالملك على الليبيين . وتستوقفنا عبارات معينة من هذا النص ، تصف حالة مصر قبل تولية (مرنبتاح) ، « جزء من أرض مصر لم يعتن به ، وقد ترك ليكون مرعى للماشية بسبب أقوام « الأقوام التسعة » (ويقصد بها الليبيون) ، وقـد تركت خرابا منذ زمن الأجداد ، وكل ملـوك الوجـه القبلى يسكنـون فى أهرامهم . . . وملوك الوجه البحرى ظلوا فى وسط مدنهم محصـورين فى القصر الحكومى لقلة الجنود . . . » وقد ورد فى النص أيضا : « أن رئيس الليبو (مربى بن دد) قد انقض على اقليم تحنـو برماتـه ... (ومعـه) شردانا ، وشكلش ، وأقايواش ولوكا ، وتورشا آخذا كل محارب حسن ، وكل رجال قتال فى بلاده ، وقد أحضر زوجه وأولاده . . . وقد وصل الى الحدود الغربية فى حقول (بر ــ ار) . ويفهم من هذا النص أن رئيس الليبو قـد اجتاح اقليم تحنو المتاخم لمصر وأنه قد تحالف مع القبائل الهندوأوربية من شعوب البحر التى نزلت بساحل ليبيا ، وأنه قد صحب النساء والأطفال ليقيم مع شعبه فى الدلتا ، وأنه قد بلغ فى زحفه موقعا يقال له (بر ــ ار) ولعله كان

واقعا على حافة وادى النطرون الى الشال الغربى قليلا من منف . وقد جمع الملك رجال بلاطه . . . وكان جلالته « ثائرا كالأسد » وخطب فيهم قائلا : « . . انكم تنزعجون كالطيور . . هل ستخرب البلاد . . وأقوام الأقواس التسعة قد أتوا الى أرض مصر ليبحثوا عن طعام لبطونهم . . » وكان عدد الغزاة يتراوح بين ٢٠ ألف رجل و ٢٥ ألف رجل . وحق للملك أن ينزعج ، وهم قريبون الى هذا الحد من منف . فأخذ يضرع الى الاله بتاح . وتراءى له هذا الاله فى منامه وهو يعده بالنصر . . . وتقدم الملك لملاقاة الليبو وحلفائهم واشتبك معهم فى معركة دامت ست ساعات . . ويبدو واضحا من عبارات النص أنها كانت مجزرة بشرية اذ كان القتال بالغ الشدة والعنف . وقد بلغ عدد القتلى (٦٢٠٠) من الليبو و (٢٣٧٠) من رجال جزر البحر وعدد الأسرى (٩٣٦٧) . ووقع فى الأسر نساء الرئيس الليبى وعددهن اثنتا عشرة سيدة وكذلك أولاده . وقد غنم الملك كما جاء فى النص ــ ممتلكات (مريى) وفضته وذهبه وأوانيه البرونزية وأثاث زوجته وعرشه وأقواسه وسهامه ، وكل ممتلكاته التى أحضرها معه من بلاده مشتملة على ثيران وماعز وحمير». وورد فى النص أيضا أن الملك أسر جماعة من الكهك، وأنه قد استولى على (٩١١١) سيفا من النحاس كانت تخص المشوش . وقد جاء فى أنشودة النصر « بلاد التمحو كسرت فى مدة حياته ، وأن الملك قد أدخل الرعب فى قلب مشوش ، وأنه هو الذى جعل الليبو الذين وطأوا أرض مصر ينكصون على أعقابهم . . . » أما مريى نفسه فقد فر تحت جنح الظلام عائدا الى بلاده مع فلول جيشه . وجد فرسان الملك فى متابعتهم . وقد أرسل قائد حصن الغرب تقريرا الى بلاط الفرعون يذكر فيه أن مريى قد مر بسلام . ولكنه ، كما جاء فى نقوش الكرنك وقع عدوا لجنده وأنه قد نصب أحد أخوته مكانه فى زعامة قومه . وجاء فى أنشودة النصر « رئيس الليبو الذى هرب تحت ستار الليل وحيدا والريشة ليست على رأسه» وذكر فى لوحة اسرائيل أن (مريى) الأمير المعادى الذى يرثى لحاله الليبو ، قد هرب تحت جنح الظلام وحيدا بدون ريشة على رأسه . . . وأنه عندما وصل الى وطنه شكا ، وكل انسان

فى بلاده كره مقابلة الأمير الذى اختطف منه الحـظ ريشته » . وجـاء فى أنشودة النصر التى كتبت بعد هزيمة مريى « . . وقد أشرق السرور العظيم على مصر ، وانبعث الفرح من بلدان مصر ، وتحدث الناس عن الانتصارات التى أحرزها مرتبتاح على التحنو .. آه وانه لحسـن أن يجلس الانسـان يتحدث والناس تغدو وتروح ثانية دون وجود أى عائق على الطريق ، وليس هناك أى خوف من قلوبهم . . . وقد تركت المعاقل وشأنها وأصبحت الآبـار مفتوحة ، ومسالكها سهلة ، ومعاقل الأسوار أصبحت هادئة ، ولا يوقـظ حراسها الا الشمس . . . وليس هناك نداء بليل : « قف . . قـف ، بلغـة الأجانب »[١٠٢] .

وواضح من النصوص التى أوردنا بعضها أن الهجوم الذى شنه مريى بن دد أمير الليبو على أرض مصر كان بالغ الخطورة التى زاد منها تحالفه مع المشوش والكهك وشعوب البحر . وهذه هى المرة الأولى التى يذكر فيهـا اسم الليبو ، وقد نص على أن الغرض من هجومهـم على مصر انما هـو الاستقرار بها . ويتضح من أنشودة النصر مدى ما أحس به المصريون من ابتهاج لزوال هذا الخطر الذى بلغ مدينة منف وأوشك أن يحدق بها . ولهذه النصوص أيضا أهميتها بالنسبة لشعب الليبو ، ذلك أن هذا الشعب عـزل أميره لعجزه على تحقيق النصر لقومه ، ونستطيع أن نتبين أيضا من هـذه النصوص مدى أهمية الريشة بالنسبة للرجل من الليبو بصفة عامة وللأمـير بصفة خاصة . وقد فقد مريى مكانته عند قومه عندما سقطت الريشة من على رأسه ، أو على الأقل صورت مهانته على هذا النحو . وقد بلغ من اهتمام الليبو بها أنها أصبحت العلامة الدالة على الغرب فى اللغة المصرية القديمة .

وثمة ملاحظة هامة نتبينها من قوائم الغنائم والأسرى . . « أولاد رئيس الليبو الذين قطعت أعضاء تناسلهم غير المختونة وأحضرت ، ستة رجال . . . وأولاد الرؤساء ، واخوة رئيس الليبو الذين قتلوا ، والذين احضرت أعضاء تناسلهم غير المختونة : ٦٣٥٩ . . . » فى حين أنه كانت تحضر أيدى القتلى المختتنين وقد جرت عادة المصريين بقطع عضو تناسل الرجل الذى لم يختتن

اذا قتل فى المعركة . وكان عدد القتلى يعرف باحصاء عدد هذه الأعضاء لأن عدم الختان كان عندهم قرين عدم الطهارة . فى حين أن عدد القتلى المختتنين يعرف باحصاء أيديهم التى قطعت . وكان الليبو هم الشعب الوحيد من الشعوب الليبية التى لم تكن لتمارس عادة الختان[١٠٣] .

وكان من الممكن أن يكون ما فعله مرنبتاح فى صد غزوة الليبو رادعا لهم ولغيرهم من شعوب ليبيا لولا تدهور الأوضاع الداخلية فى مصر بعد وفاة هذا الملك ، وضعف الروح العسكرية .

وقد شجع كل ذلك الليبيين على تنظيم صفوفهم ، وصادف ذلك اشتداد خطر شعوب البحر ، وأصبحت مصر معرضة للهجوم من أكثر من ناحية . ويهمنا أمر الخطر الجديد الذى اقترن بقيام الأسرة العشرين . وقد كتب (رمسيس الثالث) (١١٩٨ ــ ١١٦٦ ق.م.) ثانى ملوك هذه الأسرة فى بردية هاريس ، أنه قد نظم مصر طوائف كانت تشمل فيما شملت «جنود كهك الذين لا يحصون »[١٠٤] وقال بعد ذلك « نأمل فانى سأخبرك عن أشياء أخرى حدثت فى مصر فى زمن حكمى . فقد كان الليبو والمشوش يسكنون مصر ، ونهبوا مدن الشاطىء الأيمن من منف حتى «كرين» (كارابانا) . (وهى بالقرب من أبو قير) .. وقد وصلوا حتى النهر العظيم على شاطئيه ، وهم الذين نهبوا مدن « جوتوت » (كانوب) خلال سنين عديدة فى أثناء اقامتهم بمصر . . . تأمل ، لقد أهلكتهم . . وأخضعت « المشوش » و « الليبو » و « الاسبت » و « الكيكش » و « الشاى » « والهس » و « البكن » . ومعنى ذلك أن خطر الليبيين قد تجدد ، وأن العناصر المهاجمة كثر عددها . وقد سجل الملك على جدران معبده الكبير فى « طيبة » الغربية ، وهو المعروف بمعبد مدينة هابو تفاصيل الحرب التى تعرف باسم الحرب الليبية الأولى والتى وقعت فى العام الخامس من حكمه (١١٩٤ ق.م.) . وقد كتب الملك : « لقد أتى أهل بلاد « التمحو » مجتمعين معا فى مكان واحد ، ويشملون « الليبو » و « السبد » و « المشوش » . . غير أن خططهم حطمت . . وقد طلبوا رئيسا بأفواههم ، غير أن ذلك لم يكن فى قلوبهم .. وأنه الاله الواحد الممتاز هو

الذى عرف خطة صائبة . . ليجعل أهل الممالك الأجنبية يطلبون بقلوبهم من الملك العظيم أن ينصب رؤساء لهم .. وكان جلالته قد ربى ولدا صغيرا من أرض « تمحو » وقد عضده بقوة ساعديه ونصبه عليهم رئيسا لينظم الأرض . وهذا مالم يسمع به من قبل منذ أن بدأ الملوك » . ويفهم من هذا النص أن الملك رمسيس الثالث أراد أن يفرض على الليبيين ملكا من جنسهم رباه فى مصر ، وأن الليبيين لم يرفضوا ملكا لن يكون الا حاكما مصريا . ومن المحتمل أن هذا التدخل من جانب رمسيس الثالث فى شئونهم كان سبب غضبة هذه الشعوب الليبية وثورتها . وقد نفذ الليبيون المتحالفون الى مصر وتجمعوا فى مكان لعله كان قريبا من فرع كانوب . وكانت خطتهم تهدف الى مهاجمة منف ولكن رمسيس باغتهم بالهجوم وقد تحقق له النصر ، بعد أن ذبح الكثيرين منهم . وأما من أسر منهم فقد وزعوا فيما بعد على الحصون المصرية . وفى أحد مناظر المعبد الكبير نرى كومة من الأيدى وقد كتب فوقها الأعداد (١٢٫٦٦٠) و (١٢٫٥٣٥) و (١٢٫٥٣٢) وكومة لأعضاء التناسل وقد كتب فوقها (١٢٫٥٣٥) و (١٢٫٦٨٠) . وهذه الأرقام يجب أن تقبل بتحفظ نظرا لتهشم النص[١٠٥] .

ويبدو من مراجعة النصوص الخاصة بالحرب الليبية الأولى هذه أن العنصر الغالب عليها هو عنصر الليبو ، وأن قوادهم الذين هلكوا فى تلك الحرب هم « دد » و« مشكن » و « مريى » و «ورمر» و «تثمر» . وقد يكون اسم « مريى » واسم « دد » قد وضعا بين أسماء أمراء الميبو وقادتهم وأنهما نقلا من نصوص مرنبتاح أو تكون أسماء تتكرر لأفراد من نفس هذه الأسرة المتزعمة للريبو . ويتبين كذلك أن هدفهم كان الاستيطان بمصر . ويبدو أنهم نجحوا فى احتلال المناطق الغربية من الدلتا والممتدة من اقليم الشاطىء الغربى للنيل عند منف ، حتى كارابانا ، وهى فى منطقة أبو قير على الأرجح ، أو أنهم على الأقل كانوا يشنون الاغارات على هذه المناطق[١٠٦] . ولم يرد فى النصوص ما ذهب اليه بيتس عن تحالف الليبيين مع شعوب البحر من «الثيكل» «والبيليست»[١٠٧] . والثابت أن هذه الشعوب أغارت على

مصر فى العام الثامن من حكم الملك رمسيس الثالث فى عام ١١٩١ ق.م. وقبل الحرب الليبية الثانية التى نشبت فى العام الحادى عشر من حكمه حوالى عام ١١٨٨ ق.م. والتى ورد ذكرها فى المتن المؤرخ بالسنة الحادية عشرة ، والنقوش على الجدار الشرقى دخل الردهة الثانية لمعبد مدينة (هابو) الكبير ، وقد جاء فيها : « . . . وقد كان رئيس المشوش آتيا من قبل أن يرى ، مهاجرا ، ومعه أهله ، وانقضوا على التحنو الذين أصبحوا رمادا فقد خربت مدنهم وأقفرت ، ولم يعد لبذرتهم وجود ... وقد قال المشوش بصوت مسموع «سنستوطن مصـر» واستمروا فى اختراق حدود البلاد وهناك حاصـرهم الموت .. وقد سار جلالته وقلبه يعتمد على سيد الآلهه لملاقاتهم .. ورئيسهم « مشـشر » بن « كبر » ويمضى النص فيصف الهزيمة التى حاقت بالمشوش والتمحو « . . . وقد أصبح المشوش والتمحو فى حزن ويأس » ، وأنحى المشوش باللوم على الليبو الذين «تسببوا فى ارباكنا واربالث أنفسهم لأننا أصغينا الى نصائحهم » . ويسجل النص ما قالـه المشوش عن نتائج هـذه الحرب « . . وقد أبيدت أرض مشوش دفعة واحدة . أما الليبو والسبد فقد أهلكوا ، حتى أنه لم يعد لبذرتهم أى وجود . وفى قصيدة عن هذه الحرب نقرأ « . . وقد أتى « كبر » والد « مشـشر » يرجو الصلح . . وصاح حتى بلغ صياحه عنان السماء متضرعا من أجل ابنه ، وسيق الى حيث ذبح ، وأسر رجال جيشه ، الذين كانت قلوبهم تعتمد عليه لحمايتهم .» وعلى احـدى اللوحات صور الملك فى عربته وهو يطارد المشوش « الذين أتوا الى مصر مبتـدئين من بلدة «رمسيس الثالث» التى على جبل «وب تـا» (فـوق الأرض » الى بلدة (حوت شعت) وهى (قرية الرمل) ، ويحدد موقـع هاتين البلدتين فى الشمال الغربى من الدلتا . وسجل الملك على لوحة أخرى صورة الغنائم والأسرى ويتبين منها ان عدد الأيدى المقطوعة كان (٢١٧٥) ، وأن قائمة أسرى المشوش قد شملت رئيسهم وبعض رؤسائهم وبعض أفراد منهم ، وعددا من الشبان والأولاد . ومجموع هؤلاء جميعا هو (١٤٩٤) ، وتضاف اليهم بعض النساء والفتيات ويصبح المجموع (٢٠٥٢) . وقد استولى

المصريون على أسلحة المشوش ، ومن بينها (١١٦) سيفا ، طول الواحد منها أربعة أذرع ، و (١٢٣) سيفا طول الواحد منها ثلاثة أذرع ، و (٦٠٣) من الأقواس ، و (٩٢) عربة و (٢٣١٠) جعبة من جعب السهام ، و (٩٢) من عمد العربات ، و (١٨٤) زوجا من خيول العربات والحمير • وفوق الصف الأسفل من المنظر ، ذكر أن أعضاء التناسل للرجال بلغ (٢١٧٥) ، وأن عدد الماشية التى غنمها من المشوش بلغ (١٣٠٩) من الثيران والبقر ، و (٢٨٣٣٨) من الحمير والماعز والغنم والخيل ••»[١٠٨] •

كان مرنبتاح قد أشار الى المشوش عندما ذكر أنه قد استولى على سيوفهم المصنوعة من النحاس ، ولم يكن عددهم كبيرا . أما الآن فقد أصبحوا يزحفون على مصر بأعداد ضخمة ، بغية الاستيطان بها كما صرحوا بذلك هم أنفسهم ، على الأقل ، فيما يقول النص ، وكما تتبين من ضخامة عدد القتلى والأسرى ، وعدد الماشية ولم يوضح دور « كبر » فى هذه الهجرة الجديدة . ولكن يبدو أنه كان الرأس المدبر ، وأنه جمع قبائل الليبيين ، وان كان لم يذكر فى النصوص غير الليبو والسبد ، وأنه أنفذ ابنه على رأس المشوش فى تحركهم هذا الشامل نحو مصر[١٠٩] . ويبدو أن المشوش ، أتوا من مكان بعيد من منطقة تقع الى الغرب من مناطق الليبو ، وهؤلاء كانوا على الأرجح يقيمون فى منطقة برقة ، ويبدو أنهم اجتاحوا فى طريقهم قبائل الليبو ، أو أن الليبو دفعوا عنهم شرهم ، بأن وجهوا هجومهم نحو مصر ، وهذا يفسر لوم المشوش لليبو على نصيحتهم التى أوردتهم موارد التهلكة . ومن ناحية أخرى يبدو أن التحنو ، وهم الذين قنعوا بأن يظلوا مقيمين فى أمن وطمأنينة ، وعلى علاقات طيبة مع المصريين ، ولذلك لم يوافقوا على الانضمام الى المشوش ، فكان جزاؤهم الهلاك على أيديهم . ومن ناحية ثانية . يبدو أن المشوش لم يكونوا غير متحضرين ، بل يستدل من وصف أسلحتهم من سيوف وعجلات حربية . أنهم كانوا مسلحين تسليحا قويا منظما . وكان استعداد الفرعون لملاقاتهم يتناسب مع خطورة هجومهم وقوة سلاحهم[١١٠] . ويلاحظ أن عدد القتلى ذكر مرة مقدرا بعدد الأيدى وهو (٢١٧٥) ، وهذا معناه أن

المشوش كانوا يختتنون . ولكن فى موضع آخر ، ذكـر أن عدد أعضـاء التناسل هو (٢١٧٥) ، أى نفس العدد . وهذا يفسر بأحد أمرين ، أما ان ذكر هذه الأعضاء تزيد فى النص ، واما أنه حقيقة كانت هنـاك طائفـة من الليبيين غير المختتنين ، ولعل هؤلاء كانوا من الليبو ، وهذا هو الأرجح . أما تكرر ذكر العدد نفسه فربما كان ذلك من باب السهو أو عدم الدقة فى اثبات الرقم • وعلى أى حال يبدو أن انتصار مسيس الثالث على المشوش كـان حاسما . اذ لم يرد فى النصوص أن مصر تعرضت بعد ذلك لغزوات ليبية .

وهكذا نرى أن المصريين منذ عهد الملك (مرنبتاح) قد بدأوا يتعرفون على عناصر ليبية جديدة غير عناصر التحنو والتمحو ، وهى عناصر الليبو أو الريبو وقد عرفنا بعضا من أوصاف التحنو والتمحو ، وبقى أن نعرف شيئا عن أوصاف الريبو والمشوش .

فى مناظر الحرب الليبية الأولى نستطيع أن نرى أن الرجال والنسـاء من الريبو زرق العيون ، وأنهم جميعا يلبسون عباءات فضفاضة تلف الجسم، ويظهر منها أحد الكتفين عاريا ، وأنه كان يلبس تحت العباءة قميص يعلو الركبة، وأن الرأس تحليها جديلة طويلة تنزل على الصدغ الى ما بعد الكتف ، وأن شعر الرأس مقسم الى خصل بعضها بنزل على الجبهة وبعضها ينسـدل الى الخلف .

أما ملابس المشوش ، فانها تكاد تتشابه مع ملابس الريبو فيما عدا أن المشوش كانوا يلبسون بدلا من القميص ، قراب العورة . ومن ناحية أخرى تشبه ملابس المشوش ملابس التمحو التى عرفناها من رسوم الملـك سيتى الأول[111] .

بعد هذه الأحداث التى تعرض لها المشوش . كانت عناصر منهم قـد تسللت الى مصر ، واستقرت أسر منهم فى الواحات البحرية على الأرجـح . وكان من بين هذه الأسر أسرة (يويوواوا) • وقد مر بنا أن بعض العناصر الليبية قد عملت فى الجيش المصرى جندا مرتزقة ، ويرجح أن بعض هؤلاء وصلوا الى مناصب هامة فى البلاط الملكى ، والى مراكز القيادة فى الجيش . وليس من

المستبعد أن يكونوا قد ساعدوا بنى جنسهم من المشوش على الحضور الى مصر والاقامة بها فى حاميات الحدود على الأقل . بل ان الجيش المصرى أصبح ابتداء من عصر الاسرة العشرين مؤلفا من الليبيين دون سواهم . وقد منحهم ملوك مصر هبات من الأرض كأجر لهم . وهكذا استطاعوا أن ينشئوا فى البلاد جاليات عسكرية وكان يرأس كل حامية رئيس ليبى يحمل لقب الرئيس الكبير لما • «ما» هى اختصار لاسم مشوش • ويبدو أن طول مقام هؤلاء المشوش فى مصر علمهم كيف يندمجون فى المجتمع المصرى وأن يصطنعوا تقاليده وعادته وذلك بالرغم من احتفاظهم بأسمائهم الليبية وبعادة وضع الريشتين فى شعورهم . ولذلك أصبح لأسرة يويوواوا شأن يذكر فى مقاطعة أهناسية • واستطاع موسن بن ويوواوا أن ينتظم فى سلك كهنة الآلهة حرى شف . وشغل كذلك خلفاؤه منصب الكاهن لهذا الآله . وتجاوزت سلطتهم السلطة العادية للكاهن . وكان أحد أفراد هذه الاسرة وهو شاشانق قد نصب رئيسا على الجالية الحربية الليبية الى جانب احتفاظه باللقب الدينى . وحدث أن مات له ابن يسمى «نمرود» فدفنه فى أبيدوس • وحدث أن اعتدى على قبره فذهب الى الملك بتانيس رافعا شكواه • وجاء الملك بصحبة شاشنق الى طيبة ليستمعا معا الى حكم الآله آمون الذى حكم وحيه بادانة الجناة . وأرسل ترضية للشاكى تمثالا على صورة ابنه ليوضع فى معبد أوزيريس فى أبيدوس . وهذا الحادث يوضح مدى قوة شاشانق وأسرته وأنهم اعتنقوا ديانة المصريين حتى أن شاشانق خضع لقرارات وحى آمون كما فعل أى مصرى • وجمع شاشانق بين لقبه الدينى والعسكرى ليدلل على أنه جمع بين يديه السلطتين الدينية والمدنية فى مصر الوسطى . واستطاع شاشانق بن نمرود بن شاشانق سالف الذكر أن يسيطر على الدلتا . وانتظر حتى توفى بسوسينس الثانى آخر ملوك الأسرة الواحدة والعشرين فاستولى على الملك ولم يظهر أى عداء للبيت المالك وزوج ابنه أسركون من ابنة بسوسبنس ليؤكد أهليته لتوليه العرش المصرى ، وذلك أنه لا يجرى فى عروقه الدم الملكى . وبمساعدة العناصر الليبية كون الاسرة الثاية والعشرين[١١٢] . وتاريخ هذه

الاسرة من صميم التاريخ المصرى الفرعونى وكذلك تاريخ الاسرة الثالثة والعشرين وقد كانت هم الأخرى ليبية الاصل . والذى يهمنا أو رؤساء الجاليات الليبية الأخرى أو رؤساء «ما» قد احتفظوا ببعض الاستقلال تجاه التاج وتقاسموا حكم الدلتا والجزء الشمالى من مصر الوسطى وكانوا جميعا يحملون الريشة علامة رئاستهم وزعامتهم . واستفحلت سلطتهم وعاشت البلاد نتيجة لذلك فى ارتباك وفوضى لم ينقذها منها غير قدوم بعنخى من النوبة ليقضى على هؤلاء الامراء ويقيم حكم الاسرة الخامسة والعشرين[١١٣] .

ونلخص ما أسلفنا فيما يخص الليبيين القدماء الذين عاصروا مصر الفرعونية فنقول انهم انقسموا الى أربع مجموعات جنسية كبيرة وهى : التحنو والتمحو والريبو وهؤلاء اشتق من أسمهم اسم ليبيا ، والمشوش ، والى عدد من القبائل أحصاها بيتس على النحو التالى : ايمو كهك وكهك وكيكش واسبت واكبت ، (وان كان فى رأيه أن الاكبت هم الاسبت ذلك أنه حدث تحريف فى كتابة الاسم) ، وشاى وهس وبكن[١١٤] .

وبعد هذه الفترة من تاريخ الليبيين تكاد مصادرنا تصمت ، فلا تضيف الى معلوماتنا ما عساه أن يكشف عن علاقتهم بمصر ، وان كنا نرجح أن الكثيرين منهم استمروا فى المجيىء اليها ، وأن الأوضاع فى ليبيا نفسهاقدتغيرت، وخاصة بعد أن انكسرت حدة اغارات الليبيين على مصر . ولابد وأن نفترض أن القبائل والمجموعات الليبية أخذت تستقر فى مواطن ومواقع لها فى برقة أو على شواطىء خليج سرت ، أو فى طرابلس على الساحل وفى الداخل معا وأنها أخذت تكيف حياتها مع البيئة التى اختارت الاستقرار فيها ، سيما وأن ضغط شعوب البحر على سواحل ليبيا كان قد ضعف الى الحد الذى لا يمكن ملاحظته على الأقل . وسنرى أن تاريخ ليبيا والليبيين قد تغير بنزول الفنيقيين فى طرابلس وانشاء محطاتهم التجارية على سواحلها ابتداء من نهاية الألف

الثامنة ق.م. ومجيىء الاغريق الى برقة وانشاء أولى مستعمراتهم قوريني (= شحات) فى عام ٦٣١ ق.م.

واذا كانت الآثار المصرية قد حدثتنا هذا الحديث الطويل عن الليبيين ، وعن أصولهم وفروعهم ، فانه كم يكون من المفيد لو تكشفت أرض ليبيا عن آثار تضيف الى هذا الحديث وتوضح ما يكون قد غمض منه . ولا ننسى أن فراعنة مصر ، انما كانوا فى نصوصهم يتحدثون عن قوم كانوا خصوما وأعداء لهم . وهذا يزيد من رغبة المؤرخ فى الحصول على مصادر ليبية فيوازن بينها وبين النصوص المصرية ليطمئن الى صحة معلوماته ودقة أحكامه . وقد حاولت بعثة لجامعة بنسلفانيا فى ربيع عام ١٩٦٣ ، الكشف عن آثار ليبيى عصر البرونز الذين حفظت آثار مصر ذكراهم منذ أوائل عهد الدولة القديمة . وكان الليبيون يعملون فى أواخر العصر البرونزى كوسطاء فى تبادل السلع التى كانوا يأتون بها من أواسط افريقيا أو تأتى اليهم من هناك مع سلع مصر ومنتجات بحر ايجة . وكان الأمل يراود أعضاء هذه البعثة فى العثور على أماكن استقرارهم على الساحل حيث كانت مراكز هذه التجارة النشطة وكانت خطة البعثة تهدف الى التنقيب عن أماكن الليبيين القدماء فى الشريط الساحلى الممتد من بنغازى الى قمينس وفى القسم الشمالى من برقة حيث قامت مراكز الحضارة الاغريقية والرومانية ، ومنطقة الساحل بين أبولونيا (= سوسة) وطبرق ، وفى المناطق الداخلية من الجبل الأخضر . ولكن البعثة لم توفق ، كما كانت تأمل فى العثور على أماكن استقرار الليبيين القدماء ، وخاصة فى سهل بنغازى أو فى منطقة توكرة وشحات وسوسة وفى وادى درنة ، حيث تناثرت محلات العصر الحجرى الحديث ، وحيث المياه العذبة والظروف التى تساعد على قيام الزراعة والحياة المستقرة . ولم توفق البعثة كذلك الى العثور على شيىء يساعد على الاستدلال على أماكن استقرار هؤلاء الليبيين فى كل من منطقة الأثرون أو فى منطقة رأس الهلال ؛ وكلاهما

وقبل أن نمضى فى متابعة دراسة تاريخ الليبيين القدماء فى المرحلة

يعد من أحسن البيئات لقيام هذه الحياة المستقرة لليبيى عصر البرونز[١١٥] .

الجديدة من تاريخهم ، يحسن أن نتوقف قليلا ، للتعرف على بعض مظاهر حضارة الليبيين على قدر ما تسمح به معلوماتنا المستمدة من الآثار المصرية . من أهم المسائل التى يتعرض لها الباحث عند تأريخه لحضارة شعب قديم ، لغة هذا الشعب ومدى قدرته على تسجيل أحداثه بها فى نقوش أو نصوص مكتوبة . وقد أسلفنا أنه لم يعثر حتى الآن على آثار لليبيين فى فترة احتكاكهم بالمصريين . وبالتالى لم يعثر على أى نماذج لنقوش أو غيرها قد تكشف الستار عن طبيعة لغتهم . وقد يعثر عليها مستقبلا وقد لا يحدث . وقد يضعف الأمل فى العثور عليها ، طبيعة الحياة التى كان الليبيون يحيونها من كر وفر واغارة ، وهذا لم يتح لهم فرصة للاستقرار أو لتنمية حضارتهم وثقافتهم . وكذلك غلبت عليهم حياة الرعى والبداوة . فاذا كانوا قد تركوا مثل هذه الآثار ، فانها تكون قليلة ، بل لعلها لم تستطع مقاومة عوامل الطبيعة .

وقد عقد بيتس فصلا ممتعا عن لغة البربر الحاليين ، وفى نظره أنهم سلالة الليبيين القدماء ، وقد أورد نماذج لكلمات من هذه اللغة وقارن بينها وبين كلمات مماثلة فى اللغة الهيروغليفية الفرعونية فى النطق والمعنى وانتهى الى نتيجة هامة ، وهى وجود عنصر ليبى فى لغة المصريين . ويعلل ذلك باختلاط الليبيين بالمصريين فى الدلتا ومصر العليا والواحات . ويلفت هذا المؤرخ نظرنا الى بقاء اللغة البربرية فى بعض الواحات المصرية ، وخاصة سيوة ، ويعتبر ذلك دليلا على استمرار العنصر الليبى الذى عرفته مصر الفرعونية . على أى حال لابد من مزيد من الدراسة لهذه اللغة البربرية ولهجاتها حتى يصبح فى استطاعة عالم اللغة أن يعيد تكوين لغة التحنو أو التمحو أو الريبو أو المشوش[١١٦]. وقد يكون من الطريف أن نشير الى أن هيرودوت ذكر أن كلمة « باتوس » (وهذا هو اسم أول ملك اغريقى فى قورينى (= شحات) ، انما كانت تعنى «ملك» باللغة الليبية[١١٧] . وقد قرن بعض المؤرخين هذا اللقب بالكلمة المصرية بت Bit التى تعنى فى اللغة المصرية القديمة « ملك الوجه البحرى »[١١٨] . وقد تحدث هيرودوت أيضا عن نوع من الفيران كان موجودا بليبيا اسمه

Segeries وقال ان هذا الاسم ليبى ويعنى التلال فى لغة الاغريــق[١١٩] . ومعنى ذلك أنه ربما كانت هناك لغة ليبية محلية على أيام هذا المؤرخ وعلى أى حال لن تحل المشكلة الا اذا عثر على نماذج مكتوبة بهذه اللغة .

واذا أردنا أن نتعرف الى الحياة الاقتصادية عند الليبيين فى الفترة التى نحن بصددها ، فان ماذكر على الآثار المصرية كاف لتبين أن الليبيين قد ألفوا حياة الزراعة . وأقدم اشارة الى ذلك وردت فى نصــوص الأسرة التاسعــة عشرة ، اذ جاء فى نص أنشودة النصر التى أشادت بمرنبتاح «.. وأسفاه على ليبيا . لقد أصبح أهلها لا يعيشون بحالتهم الطبيعية يمرحون فى الحقول » . وقال هذا الفرعون أنه أخذ كل عشبة تأتى من حقول ليبيا ، وأنه لم يعــد هناك فوق أرض الليبو « أى حقل صالح ليكفى اعالة السكان . » وكانت أرض الليبو تنتج القمح ، لأن هذا الفرعون قال انه « نهب كل مؤن رئيس الليبو من القمح . . »[١٢٠] .

والى جانب الزراعة ، عرف الليبيون الرعى . وهذا واضح من كثرة ما ذكر فى النصوص الفرعونية عن الماشية التى غنمها الفرعون وذلك من وقت مبكر يعود الى عهد الدولة القديمة . وفى كل غزوة كانت الجماعات الليبيــة من تحنو أو تمحو أو ليبو أو مشوش ، تأتى معها بعدد ضخم من الماشيــة والماعز الى جانب البقر والثيران والخيل والحمير[١٢١] .

وقد ورد ذكر جلود النمر ، التى كانت القبائل الليبية تقدمها جزيــة لحتشبسوت ملكة مصر . وتعددت الاشارات الى ملابس الليبيين المصنوعة من الجلد . ووضح لنا مدى اهتمام الليبيين بريش النعام ولم يقم أى دليــل على استئناس الليبيين لمثل هذه الحيوانات . ولذلك فانه من المرجح أن يكون الصيد هو وسيلتهم للحصول عليها[١٢٢] .

والى جانب الزراعة والرعى والصيد ، نعرف أن الليبيين كانوا يقدمون لحتشبسوت سن الفيل . ونعرف أيضا أنه قد عثر فى جزيرة كريت على تمثال لقرد مصنوع من العاج وعلى بعض الأختام العاجية أيضا ، وأنه قد عثر فى مقابر الاتروريين على بيض النعام ، وأن الليبيين كانوا يقدمون الذهب كنوع

من الجزية للملكة حتشبسوت وشريكها فى الحكم الملك تحتمس الثالث ، وأن التمحو كانوا ينقلون الى بلاد النوبة حجر التمحى ، وهو من الأحجار الكريمة • كل ذلك يجعلنا نرجح أن الليبيين كانوا يلعبون دور الوسط فى نقل كل هذه السلع من دارفور ووداى ومنطقة تشاد . وكان بعضها يذهب مباشرة الى مصر كجانب من الجزية المفروضة على الليبيين ، أو كسلع تجارية عبر بلاد النوبة . وكان الليبيون ينقلون هذه السلع الى سواحل برقة ، ومنها كانت تصدر الى جزيرة كريت أو ايطاليا وبعض أقاليم البحر الأبيض[١٢٣] . ولعل الليبيين من ناحية أخرى كانوا يحصلون على بعض عباءاتهم الجلدية المزخرفة من الشردان ، والأوانى الذهبية والفضية والبرونزية والسيوف النحاسية من آسيا الصغرى أو من بحر ايجة ، ذلك لأنه ليس لدينا الدليل على وجود معادن بأرض ليبيا كانت تسمح بقيام مثل هذه الصناعات . وهذا مما يقطع بأصلها الأجنبى . وتصور بعض الرسوم المنقوشة على الصخر فى جبل عكاكوس ، جنوب فزان ، قوافل يحرسها أصحابها وهذا يعنى أن الليبيين كانوا ، منذ عصور ما قبل التاريخ ، يعملون فى نقل التجارة وتبادل السلع مع غيرهم من الشعوب[١٢٤] .

وتساعدنا النصوص المصرية بعد ذلك على دراسة المجتمع الليبى بصفة عامة ، ونظام الأسرة الليبية القديمة بصفة خاصة . واذا كانت مصادر العصر اليونانى تقطع بأن الليبى قد عرف تعدد الزوجات ،فان المصادر المصرية تكشف عن وجود هذه العادة عند الليبيين القدماء • وقد ذكر فى نقوش الكرنك من عصر مرنبتاح أن مريى أمير الليبوكان يصحب معه نساءه وعددهن اثنتا عشرة سيدة • وذكر فى نصوص أخرى أنه كان يصحب معه زوجه وستة أولاد ، كانوا فى الواقع رجالا بالغين • ومن غير المقبول أن تكون هذه الزوجة أماً لهم والا لكانت من كبر السن بحيث لا تستطيع مصاحبة زوجها • لذلك فانه من المرجح أن تكون هى السيدة الأولى فى حريم الأمير الليبى • وجاء فى نصوص رمسيس الثانى أن كبر بن دد ، أحضر معه ابنه وزوجه وأسرته • ولكن فى نص آخر أشير الى نسائه وبذلك تكون الزوجة التى ذكرت هى

السيدة الأولى فى الحريم • وثمه شواهد أخرى نقف عليها من لوحة حاربسن (من الأسرة الثانية والعشرين) وقد سجل هذا الملك ، وهو ينحدر من أسرة ليبية شجرة نسبه • وتتبين أن كل رجل من هذه الأسرة كان يتخذ زوجة واحدة • ولعل ذلك يفسر بأن هذه الأسرة ، بحكم اقامتها فى مصر ، كانت قد تأثرت بالعادات المصرية فلم يتخذ رجالها سوى زوجة واحدة ، أسوة بالمصريين ، أو أن الزوجة التى ورد ذكرها كانت السيدة الأولى فى حريم ضم عددا من الزوجات • وفى لوحة بعنخى نقرأ أن الملك نمرود (وهو ليبى من المشوش) أرسل زوجته الملكة (نس تنت) الى زوجات الملك بعنخى لتلتمس العفو عنه « • • ولما دخل بعنخى قصر نمرود أمر بأن تمثل فى حضرته كل زوجات الملك وبناته •••» وهذا النص يقطع بتعدد زوجات هذا الملك الليبى الأصل[١٢٥] •

ولا يعنى تعدد الزوجات ، انحطاط مركز المرأة ، ذلك أن المرأة الليبية تظهر فى صور الآثار المصرية ، وهى تلبس ملابس الرجل وتتحلى بنفس زينته • وهذا فى حد ذاته دليل على علو مكانتها فى المجتمع[١٢٦] •

واذا انتقلنا من مجتمع الأسرة الى مجتمع القبيلة ، وجدنا أنه كان يرأس القبيلة زعيم أو رئيس من أسرة معينة تحتكر لنفسها زعامة القبيلة • وكان هذا الزعيم ينحى عن مكان الرئاسة اذا ثبتت عدم كفاءته ، ويعهد بمنصبه الى أحد أعضاد الأسرة الآخرين ، كما حدث فى حالة الأمير مريى بن دد ، الذى ولى أخوه مكانه • ومن نصوص الملك رمسيس الثالث ، نعرف أن هذا الملك أمر أن يحضر اليه «الأسرى العشرة» • ويرجح أن هؤلاء العشرة كانوا يشكلون مجلسا استشارياً يتعاون مع رئيس القبيلة فى ادارة شئونها • وقد تكررت فى نصوص هذا الملك أيضا عبارة «رؤساء المشوش» وأشير فى نصوص الأسرة الثانية والعشرين الليبية الى «زعماء أرض مشوش ،» الرئيس الأعظم للمشوش «ورئيس الرؤساء» • ولما كنا نرى فى الصور التى حفظتها جدران المعابد فى مصر بعض المشوش يتحلون بريشة واحدة وآخرين يتحلون بريشتين ، فان ذلك ، فيما يرجح يعتبر علامة على تباين المركز الاجتماعى •

وربما كان من علامات الرئاسة كذلك الى جانب الريشة اتخاذ ذيل الحيوان حلية وزينة ولعلها كانت تميز الرئيس عن عامة الليبيين[١٢٧] .

وقد أشرنا ، ونحن بصدد الحديث عن المجموعات الليبية من تحنو وتمحو ، وربيو ، ومشوش ، الى أن كل طائفة تميزت بطريقة لبسها . وكان أبسط أنواع اللباس ما شاهدناه على سكين جبل العركى . ولا يخرج هذا اللباس عن كونه أشرطة من الجلد وقراب العورة . وقد تكرر هذا اللباس عند التحنو ، وان كان أفضل قليلا ولكن لا يخرج فى جوهره عن ذلك . أما عند التمحو فالملابس أرقى كثيرا . وقد أسلفنا ، أنها كانت تتألف من عباءة فضفاضة من الجلد ، زخرفت رقعتها بألوان مختلفة ، وثبت فى ذيلها شريط مخطط . والى جانب ذلك احتفظ التمحو بقراب العورة . وأسلفنا أيضا أن الريبو كانوا يلبسون تحت العباءة ، بدلا من قراب العورة قميصا يعلو الركبة ، وأن ملابسهم تكاد تشبه ملابس المشوش ، غير أن هؤلاء عادوا الى استعمال قراب العورة . ويبدو أن استعمال التمحو والريبو والمشوش للعباءة الجلدية المزخرفة كان تقليدا لشعوب البحر الأبيض ، وخاصة العناصر النازحة من آسيا الصغرى ، وجاءت الى أرض ليبيا ، مثل الشردان . ومن المرجح أنهم كانوا يحصلون على عباءاتهم من هؤلاء القوم . أما قراب العورة ، فلم يكن استعماله مقصوراً على الليبيين وحدهم . اذ كان مستعملا عند المصريين فى عصرى ما قبل وما قبيل الأسرات ، واحتفظ به ملوكهم فى عصر الدولة القديمة . وكان هذا القراب مستعملا كذلك فى جزيرة كريت . ولكن هذا القراب أصبح يميز ملابس الليبيين ويجعل هؤلاء يتميزون به عن سكان بقية الشمال الافريقى . وكان لبسه يقتصر على البالغين من الرجال والنساء . وقد ذهب المؤرخون فى تفسير لبس قراب العورة مذاهب شتى . فمنهم من قال أن لذلك علاقة بعادة الختان ، وأن لبسه علامة على أن صاحبه قد اختتن ، وربما يؤيد ذلك أن الريبو ، وكانوا لا يمارسون عادة الختان ، كانوا يلبسون عوضا عن القراب ، القميص القصير الذى أشرنا اليه آنفا ، وكان المصريون يقطعون أعضاء التناسل الخاصة بالقتلى منهم ، فى حين كانوا

يقطعون أيدى قتلى التحنو والتمحو والمشوش ، وهؤلاء كانوا يختتنون والمعروف أن المصرى كان يمارس عادة الختان ، ويحترم خصمه الذى يحتتن . ومنهم من قال ان لهذا القراب دلالة سحرية وأن له اتصالا بالشعائر أو المعتقدات الدينية . ولم يكن الليبيون ، فى نظر فريق آخر من المؤرخين يتخذون هذا القراب من باب الحياء ، بل انه كان يعد بمثابة اشعار الى أن صاحبه قد بلغ سن البلوغ وأنه أصبح أهلا للزواج وهذا يفسر عدم لبس الأطفال لهذا القراب . أما لبس المرأة له فانه أيضا علامة على اختتانها وطهارتها وأهليتها للزواج[١٢٨] .

وكان الليبيون ينتعلون النعال أو الصنادل ، وان كانوا يظهرون فى صور الآثار المصرية ، حفاة الأقدام . غير أننا نقرأ فى نصوص الكرنك من عهد مرنبتاح «أنهم تركوا ملابسهم ومتاعهم وكذلك نعالهم[١٢٩]» . ونادراً ما نجد الليبيين يلبسون رداء للرأس بالرغم من شدة حرارة الشمس . وأحيانا كان المشوش يغطون رؤوسهم بنوع من الشيلان ، يثبتونه على الرأس بعصابة أو شبكة . وتظهر فى صور مدينة هابو سيدة ليبية تلبس طاقية على رأسها . وفى لوحة للملك تحتمس الرابع يظهر رجل يلبسها كذلك[١٣٠] .

ويظهر الليبيون فى الصور المصرية وهم يتحلون بريش النعام ، ويلبسون الحلق والأساور على أذرعتهم والبنيقة المحيطة بالعنق . ولعل الريشة كانت أبرز ما كان الليبى يتحلى به . واذا كانت لا تظهر أحيانا ، فان ذلك لأن الرسام لا يجد فى المساحة التى يرسم فيها صورة الليبى متسعا لرسمها . وقد مر بنا أن الريشة ، انما كانت من علامات الرئاسة وسقوطها علامة ذل وعار . ولا توضح الصور كيف كانت الريشة تثبت فى الرأس . ولعلها كانت تثبت فى عصابة تحيط بها .

ويلفت النظر طريقة تصفيف الشعر ، وترتيبه فى جدائل ، على نحو ما تظهر فى الصور المصرية . ومن الطريف أن بيتس لاحظ أن العلامة الهير وغليفية الدالة على الغرب (أمنت) عبارة عن شكل يماثل غطاء الرأس ، ونعلوه

ريشة وينزل منه ما يشبه الشريطين • وهما غير متساويين فى الطول ، ولعلهما يمثلان جديلتين من جدائل الشعر[١٣١] •

ويطلق الرجل من الليبيين ، على اختلاف المجموعة الجنسية التى ينتمى اليها ، لحيته بشكل منسق • وقد تكون اللحية أحيانا كثة ، وقد تكون خفيفة تحيط بالوجه وتنتهى بطرف مدبب • ونشاهد على بعض الصور أن الرجل كان يطلق شاربه • ولكن عادة اطلاق الشوارب لم تكن عادة شائعة عند كل الليبين •

وقد سبق أن لاحظنا أن الرجل من التحنو كان يتحلى بذيل الحيوان ، وذلك منذ عصر ما قبل الاسرات المصرية • وقد أسلفنا أن بعض فراعنة الدولة القديمة كانوا يتحلون أيضا بهذا الذيل باعتباره من امارات الملك •

وقد رأينا أن قوائم الغنائم كانت تضم أوان من الذهب والفضة والبرونز ، سيوفاً من النحاس • ولماكانت ليبيا فقيرة فى المعادن فان ذلك يعنى أن الليبيين كانوا يحصلون عليها من شعوب البحر الأبيض ، ولا يعنى أنهم كانوا يجتازون عصر المعادن • وكانت سيوف المشوش عبارة عن نصل من المعدن مثبت فى مقبض من الخشب ، قد يبلغ طوله ثلاثة أمتار • وكان السلاح الرئيسى لليبيين القوس والنشاب • وفى نص الملك مرنبتاح ، أن مريى انقض برماة السهام • وأن الرئيس الليبى خلف وراءه قوسه وسهامه وجعبته • وقد غنم مرنبتاح مالا يقل عن ألفى سهم • ولا يقل عدد السهام والجعاب التى غنمها رمسيس الثالث عن (٢٣١٠) قطعة • ولا يعرف شكل السهم الذى كان الليبيون يطلقونه من أقواسهم ، اذ أننا نرى دائما القوس ملقى على الأرض أو معلقا على كتف المحارب الليبى ، أو ممسكا به فى يده . ومع ذلك فانه من المرجح أن رؤوس السهام كانت مصنوعة من الظران بعد تقسيته بالنار ، وذلك فى ضوء ما ذكره هيرودوت من أن رؤوس سهام الليبيين العاملين فى جيش الملك الفارسى فى القرن الخامس ق•م• اذ قال أنها كانت من الحجر • ومعنى ذلك أن سهام العصر الحجرى الحديث ظلت مستخدمة فى العصور التاريخية • والى جانب السهم كان الليبيون يستخدمون الخنجر وعصا الرماية[١٣٢] • وكان

الريبو والمشوش يقاتلون فى عرباتهم الحربية وقد غنم منها رمسيس الثالث اثنتين وتسعين عربة • وهى تشبه العربات المصرية الى حدما مع وجود بعض الفوارق الطفيفة . وكان الليبيون يستعملون العربات منذ عصور ما قبل التاريخ ، وان كانت تبدو بسيطة لم تدخل المعادن فى صنعها ، كما نشاهدها فى رسوم تيبستى ، التى يعود تاريخها الى العصر الحجرى الحديث . وكانت تجرها فى الغالب الثيران • وقد رسم الفنان المصرى العربات الليبية على نسق العربات المصرية . ويفسر ذلك اما بأنه لم يلتزم الدقة فى الرسم ، واما أنه كان يسجل فى رسمه بالفعل نوعا من العربات كانت تقارب فى صنعها العربات المصرية . ولا نستبعد أن يكون الليبيون قد أدخلوا عددا من التحسينات على صناعة عرباتهم بعد احتكاكهم بشعوب البحر أو بالمصريين ، سيما وأنهم استعاضوا بالخيل عن الثيران فى جرها • ويبدو من طريقة رسم الخيول الليبية فى الصور المصرية أن أصحابها قد أحسنوا تدريبها ، اذ كان الليبيون يركبونها دون أن يسرجوها[١٣٣] •

وكان جنود الريبو والمشوش يعسكرون فى خيام مصنوعة من الجلد ويحفظون المياه فى قرب من الجلد ويضعون سهامهم فى جعاب من الجلد كذلك[١٣٤] •

ويلاحظ بصفة عامة أن أسلحة الليبيين كانت هجومية ، ولم تكن دفاعية ، اذ لا تظهر فى الصور المصرية ، الدروع أو الخوذات أو غيرها من وسائل الدفاع عن النفس[١٣٥] •

ومما يكشف عن بعض مظاهر الحضارة المادية للريبو ، ما جاء بصدد غزوة مريى بن دد ، من أنه « فر تاركا أثاث زوجه وعرشه . . » وهذا يعنى أنه كان للريبو فى مساكنهم فى ليبيا أثاث ، وأنهم كانوا يعرفون الكراسى اذ كان رئيسهم يتخذ لنفسه عرشا[١٣٦] . وقد عثر فى غدامس على صورة ، ربما كانت معاصرة لأواخر عصر الدولة الحديثة فى مصر • وتمثل الصورة السيدة ، وهى جالسة على مقعد ، وقد وضعت قدميها على مسند للأقدام[١٣٧] • ولنا أن نتصور أن مساكنهم كانت لا تخلو من الأوانى الفخارية أو المعدنية وقرب المياه

والأسبتة ، وأنه كان لديهم أدوات تستخدم فى كافة أغراض الحياة اليومية ، مثل الابر والأكياس الجلدية ومخارز لصنعها، وأوانى لحفظ اللحم المجفف[١٣٨] .

وتكشف الآثار أيضا عن وجود بعض الآلات الموسيقية مثل الصاجات. والطبلة ذات الجانبين ، التى كانت تعلق فى العنق بوساطة شريطين ، والبوق والنفير والقيثارة الصغيرة قائمة الزاوية . وكانت لليبيين ، فيما يبدو ، رقصات تشبه تلك التى كان يؤديها الجنود الليبيون المرتزقة فى الجيش المصرى فى لوحة رقص التمحو[١٣٩] .

وربما ساعدتنا لوحة غدامس التى أشرنا اليها على استجلاء بعض النواحى الفنية عند الليبيين القدماء . وهذه اللوحة تصور السيدة ، وهى تجلس على مقعد غير ذى ظهر ، وتضع قدميها على مسند ، وتلبس ثوبا طويلا، وشعرها مرجل بطريقة غريبة ، ويدها اليمنى ممتدة الى الأمام ممسكة بسعفة نخل أو ريشة نعام . وخلفها تقف سيدة أخرى أقل منها حجما ، ولعلها كانت وصيفة أو تابعة وأمام السيدة الجالسة نصف قوس . واللوحة مهشمة فيما يلى القوس ولا يظهر غير ساعد لشخص ما . وفى رأى بيتس أن هذا الرسم يعكس التأثير الفنى للدولة الحديثة فى مصر ، وأنه يذكرنا بمناظر دينية مصرية ، وأن المقعد والمسند شبيهان بالمقعد والمسند المصريين ، وأن القوس يشبه فى طريقة رسمه المقاصير فى المعابد المصرية . وهذا رأى لا بأس به ، اذ أنه من المعروف أن غدامس كانت بحكم موقعها ملتقى تأثيرات حضارية أجنبية ، وأنه كان لها حضارة خاصة معاصرة لحضارة قدماء المصريين ، حتى أن البعض يرجح أن سكانها فى بداية العصر المسيحى كانوا من عنصر مصرى استقر فى الواحة منذ عصور ضاربة فى القدم . ويبدو أن هذه الصورة قد رسمت للتعبير عن غرض دينى . ولعلها تمثل احتفالا دينيا تواجه فيه السيدة وتابعتها ربا أو روحا فى المقصورة [١٤٠].

ويلاحظ أنه لم يعثر على مبان لليبيين فى العصور التى نتحدث عنها . وقد يعلل ذلك بأن هؤلاء القوم كانوا يشيدون مبانيهم من أنواع من الحجارة لم تستطع مقاومة عوامل الفناء . ويلاحظ أيضا أن ظاهرة المدن منعدمة فى ليبيا

القديمة . وقد أسلفنا أن الليبيين من الريبو أو المشوش كانوا يتخذون خياما مصنوعة من الجلد . وقد استمر استعمالهم لهذا النوع من الخيام حتى فترة متأخرة[١٤١] .

واذا انتقلنا بعد ذلك الى دراسة دين القوم ومعتقداتهم التى كانوا يتوارثونها ، لوجدنا أنه كان من الطبيعى بالنسبة لليبيين ، وفى مثل البيئة التى عاشوا بها مزارعين ورعاة وصيادين ، أن يكونوا قد عبدوا مظاهر الطبيعة من سحب وعواصف وآبار وأشجار . وكل هذه كانت عندهم منازل للأرواح . وكان طبيعيا كذلك ، وفى بيئتهم تلك أن يهتموا برصد النجوم[١٤٢] .

وقد ورد ذكر بعض الآلهة الليبية فى الآثار المصرية ، مثل الاله عش الذى ظهر اسمه فى نقوش الأسرة الخامسة . ومن الطريقة التى ذكر بها فى نصوص الملك سحورع يبدو أنه كانت لهذا الاله مكانة سامية فى ليبيا . ولكن لا يعرف شيىء أكثر من ذلك عن طبيعته ووظيفته[١٤٣] .

ولعل الليبيين كانوا قد تأثروا بعبادة الإله المصرى آمون ، الذى كان معبده فى واحة سيوة مقصد الكثيرين من أرجاء العالم القديم . ويبدو أن عبادته انتشرت داخل ليبيا ، اذ كان له معبد فى واحة أوجله . وكانت توجد على ساحل سرت محلة يقال لها آمونكلا ، وأخرى تسمى آمونوس أو آمونيس فى الخرائط الرومانية ، وثالثة فى منطقة مذبح الأخوين كان الاغريق يعرفونها باسم آمونوس هالوس Ammonos Halous ورابعة يقال لها معبد أمونوس بالقرب من طبرق . ويوجد حاليا جنوب بنغازى موقع يقال له تل آمون . وكان من الطبيعى أن يشعر أهل الصحراء من البدو ، وهم يتنقلون من واحة الى واحة ، بحاجتهم الى التماس الحماية من اله يبسطها لهم ويكون لهم هاديا ومرشدا وصديقا يعينهم ببركاته فى تنقلهم عبر الصحراء . وهو الاله الذى يكشف عما يجهله الناس وينبئهم به .

وقد قال بيتس أنه كان فى واحة سيوة ، قبل أن تضم الى مصر الفرعونية اله ليبى ، قرنه المصريون بمعبودهم آمون ، ذلك الاله الذى

أصبح بفضل سيادة طيبة رب مصر بأكملها • ولم يعرف للاله الليبى اسم • ولم تعرف طبيعته الا من صورته المصرية أو الاغريقية • وهو اله واحة امونيوم (= سيوة) . وعزز بيتس رأيه بأن هيرودوت تحدث عن الاله الطيبى باسم الآله زيوس ـ آمون ، وعن الاله اصرى باسم الاله زيوس الطيبى • وفى رأى بيتس أن الاله زيوس آمون الليبى اكتسب شهرة واسعة فى العالم القديم ، باعتباره مصدر وحى . وكان الكبش هو رمزه وحيوانه المقدس . وهو فى هذا يشبه الاله آمون المصرى . وقد انتشرت عبادة الاله الليبى فى سيوة فى شكله المصرى[١٤٤] • وقد رفض شامو Shamoux التسليم برأى بيتس ، لأن كل ما يذكر عن عبادة الليبيين لمثل هذا الاله محض فرض، لأننا نجهل تماما كل شيىء عن مثل هذا الاله عند الليبيين ، بل اننا لا نكاد نملك أى معلومات دقيقة عن معتقدات الليبيين الدينية[١٤٥]•

ويرى بيتس أن بعض علامات الوشم انما هى فى الواقع رموز دينية • من ذلك مثلا أن الوشم ، الذى على هيئة الصليب ، يرمز الى اله الشمس ، وأن بعض العلامات الأخرى ترمز الى المعبودة «نيت»• والمعروف أن عبادة « نيت » كانت قد استقرت فى مدينة « سايس » بغرب الدلتا منذ عصر ما قبيل الأسرات . وقد وصفت « نيت » بأنها « أم الشمس » والبقرة التى تحمل الشمس ، وهى بذلك ربة السماء • وقد قال بلوتارخوس أنه يوجد فى مقصورة هذه الربة نقش يقول «أنا هو ما هو كائن ، وما سيكون ، وما قد وجد ، وأن أحدا لم يرفع ثوبى . والثمرة التى وضعتها هى الشمس » . من هذا يتضح أن « نيت » كانت ربة عظيمة من ربات الطبيعة ، وأن صفة العذرية من أبرز صفاتها ، مما جعل الاغريق يقرنونها بربتهم «أثينا» • فهى اذن ربة الطبيعة وربة السماء[١٤٦]•

ونظرا لوجود أوجه الشبه الكثيرة بين العبادات الليبية والعبادات المصرية ، فان ذلك جعل البعض يرجح وجود تأثير متبادل بين المصريين والليبيين فى مجالات العبادة والدين •

أسلفنا أنه بعد أن نجح الليبيون ، والمشوش بصفة خاصة ، و التسلل الى مصر والاندماج فى أهلها وتمصرهم ، وقيامهم بتأسيس أسر حاكمة ، أن العلاقات بين الليبيين والمصريين دخلت فى دور هادىء ولم يرد فى مصاردنا ما نستطيع أن نتعرف منه على مزيد من المعلومات عن الليبيين . وقد أسلفنا أيضا أن ثمة تغيراطرأ على الأحوال فى ليبيا نفسها وذلك عندما استقر الفينيقيون فى طرابلس منذ أواخر الألف الثامنة ق.م. وقيام الاغريق بتأسيس مستعمرتهم الأولى « قورينى » فى برقة فى عام ٦٣١ ق.م.

ونتابع الآن الحديث عن القبائل الليبية . وخير مرجع لنا هو المؤرخ هيرودوت ، الذى يظن أنه زار قورينى وكتب عن ليبيا ، وذلك بعد عام ٤٤٩ ق.م.[١٤٧] ، كتابه الرابع Libykoi Logoi . ويبدو أنه جمع بعض المعلومات عن القبائل الليبية من أهل جزيرة ساموس ، عندما كان مقيما بها منفيا بعيدا عن وطنه . وكانت لهذه الجزيرة علاقات وثيقة بقورينى وأهلها . ولعله كان قد وقف بنفسه عند زيارته لها على معلومات أخرى . غير أن ذلك لا يمنع من القول بأنه نقل عن « هيكيتايوس » جانبا من معلوماته التى ضمنها كتابه[١٤٨] . ونظرا الى أهمية ما كتبه هيرودوت ، آثرت أن أنقل عنه هنا بعض فقرات الكتاب الرابع الذى تحدث فيها عن القبائل الليبية[١٤٨] .

فقرة ١٦٨ : والآن فيما يتعلق بالمناطق التى يقيم بها الليبيون ، كانت قبائل الأدورماخيداى Adyrmachidae تقيم قريبا جدا من مصر ، وقد أخذوا عن المصريين أغلب عاداتهم . ولكن ملابسهم كانت مثل ملابس بقية الليبيين . وكانت السيدة من نسائهم تلبس حلقات من البرونز حول ساقيها . واعتادت المرأة منهم اطالة شعرها . .[١٤٩] .

وقد اعتادت القبيلة أن تعرض على الملك كل العذارى المقبلات على الزواج . وكان الملك يفض بكارة كل فتاة تروق له . وتصل أماكن اقامة هذه القبيلة الى ميناء يقال لها ميناء بلونوس Plynos (= سيدى برانى)[١٥٠] .

فقرة ١٦٩ : وتلى هذه القبيلة ، قبيلة الجيليجاماى Giligamae

وكانت تسكن المنطقة الواقعة الى الغرب من قبيلة الأدورماخيداى حتى جزيرة أفروديسياس Aphrodisias (= جزيرة كرسة الى الغرب من درنة)[١٥١] ، وبينهما تقع جزيرة بلاتيا Platea (= جزيرة المراكب[١٥٢] التى استعمرها أهل قورينى • وعلى الشاطىء فرضة يقال لها مينيلاوس Menelaus (= ميناء صغير الى الشرق من خليج بومبا)[١٥٣] ، وأزيريس Aziris (= وادى الخليج)[١٥٤] التى كان أهل قورينى قد استقروا بها . ومن هنا تبدأ أرض السلفيوم ، التى تمتد من جزيرة بلاتيا حتى مدخل خليج سرت • وهذه القبيلة تشبه فى عاداتها ، عادات قبيلة الأدورماخيداى •

فقرة ١٧٠ : والى الغرب من الجيليجاماى ، قبيلة الأسبوستاى Asbystae ، الذين يقطنون الى الداخل من مدينة قورينى ، ولكن مواطنهم لا تصل الى الشاطىء ، لأنه مواطن أهل قورينى . وكان هؤلاء الأسبوستاى يقودون العربات التى تجرها أربعة من الخيل . وهم فى ذلك يبزون غيرهم من الليبيين ، وقد اصطنعوا معظم عادات أهل قورينى .

فقرة ١٧١ : والى الغرب من قبيلة الأسبوستاى ، قبيلة الأوسخيساى Auschisae ، وهم يقيمون فى الداخل فيما يلى برقة (= المرج) ويتصلون بالشاطىء عند يوسبيريدس (= بنغازى) . وفى وسط أرض الأوسخيساى ، تقيم قبيلة البكاليس Bakales الصغيرة ، والتى تتصل أرضها بالبحر عند توخيرا (= توكرة) ، وهى مدينة فى اقليم برقة (= المرج) • وعاداتهم هى نفس عادات القبيلة التى تقيم فى الداخل فيما يلى قورينى (ويقصد الأسبوستاى) .

فقرة ١٧٢ : ويلى الأوسخيساى الى الغرب ، اقليم النسامونيس Nasamones الآهل بسكانه . وقد اعتاد هؤلاء القوم أن يتركوا قطعانهم فى الصيف ، بجوار البحر ، ويذهبوا الى منطقة فى الداخل ، يقال لها أوجلة ، ليجنوا البلح من النخيل الذى ينمو هناك بكثرة واضحة . وجميع النخيل مثقل بثمره • وهم يقتنصون الجراد ثم يجففونه فى الشمس •

وبعد طحنه ينثرونه على اللبن ويشربونه • وكان من عادة الرجل منهم اتخاذ عدد من الزوجات • وكان الاتصال بالنساء مشاعا ، مثلما كان الحال عند قبائل الميساجيتاى Messagetai وكانوا يغرسون عصا أمام أماكن اقامتهم ، ومن ثم يباشرون النساء • وكان الرجل من النسامونيس ، عندما يتزوج للمرة الأولى ، فانه يجب على عروسه ، وبحكم العرف ، أن تضاجع كل فرد من أفراد الجماعة كلها ، كلا بدوره • وكان كل رجل بعد مباشرتها ، يقدم لها الهدية التى أحضرها معه من منزله • وفيما يتعلق بالقسم واستطلاع الغيب ، فانهم كانوا يضعون أيديهم على قبور أولئك الذين عرف أنهم كانوا أكثر الناس عدلا وطيبة خلق • وبهؤلاء الناس كانوا يقسمون • أما عن عاداتهم عند استطلاع الغيب فانهم يذهبون الى مقابر أسلافهم ، وبعد أداء الصلوات يرقدون • وأى منام يتراءى لهم فى نومهم يحملونه على محمل الوحى • وكانوا يعطون المواثيق ويأخذونها بأن يشرب الواحد منهم من يد الآخر • واذا لم يجدوا سائلا ، فانهم كانوا يستعيضون عنه بأخذ تراب الأرض ولعقه •

فقرة ١٧٣ وعلى حدود النسامونيس موطن البسولوى Psylloi الذين فنوا على النحو التالى: حدث أن رياح الجنوب جففت صهاريجهم ، التى يحتفظون فيها بالماء • وكانت كل مواطنهم الواقعة فى منطقة سرت عديمة المياه• وبعد أن تشاوروا فيما بينهم ، زحفوا جنوباً ، (وانى لأقص القصة كما يرويها الليبيون) ،وعندما وصلوا الى الصحراء الرملية ، هبت عليهم ريح عاتية من الجنوب ، ردمتهم جمعيا • وبذلك هلكوا عن آخرهم واستحوذ النسامونيس على أراضيهم •

فقرة ١٧٤ : وفيما يلى هؤلاء الى الداخل ، يسكن فى الجنوب ، الجرامنتيس (وصحة اسمهم الجامفازا نتيس Gamphasantes)[١٥٥] فى أرض الوحوش ، وكانوا يفرون من منظر الناس ، وينفرون من صحبتهم ، ولم تكن لهم أسلحة حرب ، ولا يعرفون كيف يدافعون عن أنفسهم •

فقرة ١٧٥ : وهؤلاء يقيمون فيما يلى ، اقليم النسامونيس الى الداخل • أما المنطقة المجاورة لاقليم النسامونيس ، وفى اتجاه الغرب ، فقد كانت موطن

الماكاى Macai الذى كانوا يحلقون رؤوسهم ، بأن يتركوا شوشة من الشعر لتنمو فى أعلى الرأس ، ويزيلون الشعر من على الجانبين • ويحملون فى الحرب جعب المياه المصنوعة من جلود النعـــام • ويجرى نهر كينوبس Kinyps الى بحرهم قادماعبر أراضيهم من تل يقال لـــه تل الحسان • وهذا التل كثيف فى أشجاره فى حين أن ليبيا ، التى تحدثت عنها عارية منها • ويبعد التل عن البحر بمائتى فرسخ •

فقرة ١٧٦ : والى الغـــرب من هـــؤلاء الماكاى ، قبيلـــة جيندانيس Gindanes حيث كانت كل امرأة تضع حول ساقيها حلقات من الجلد ، لأن المرأة (هكذا يقال) ، تضع حلقة بعدد الرجال الذين يتصلون بها ، وتلك التى يكون لها أكبر عدد من هذه الحلقات تعتبر خير نساء القبيلة ، لأن معظم رجالها يؤثرنها بحبهم •

فقرة ١٧٧ : ومن أرض الجيندانيس تندفع رأس من اليابس فى البحر ، وعليها يعيش أكلة اللوتس (النبق) وهو غذاؤهم الوحيد • وثمرة اللوتس كبيرة مثل التوت البرى ، وطعمها حلو مثل طعم البلح • ولا يأكلها أكلـــة اللوتس فقط ، بل يصنعون منها خمرهم أيضا •

فقرة ١٧٨ : ويلى هؤلاء على طـــول الساحل الماخلويس Machlyes الذين يستعملون اللوتس أيضا ، ولكن بدرجة أقل من القوم الذين سبق الحديث عنهم • وتصل مواطنهم الى نهر عظيم ، يقال له تريتون ، الذى يصب فى بحيرة تريتون العظيمة ، حيث توجد بها جزيرة تسمى فلا Phla ويقال أن وحياً بشر أهل لاكونيا بأن تكون لهم مستعمرة على هذه الجزيرة •

فقرة ١٨٠ : يلى هؤلاء الماخلويس قبائل الأوسيس Ausees ويفصلهم عنهم نهر تريتون ، ويقيمون على سواحل بحيرة تريتونيس وبينما الماخلويس يرسلون شعرهم الطويل لينسدل الى الخلف ، فان الأوسيس يسدلون شعرهم من أمام • وكانوا كل عام يقيمون عيداً للربة أثينا • وفى الاحتفال بهذا العيد تنقسم فتياتهم الى فريقين يتقاتلان بتراشق الحجارة وبالهراوات • وهكذا (كما

يقولون) يمجدون هذه الربة الوطنية ، التى نسميها نحن أثينا على نحو ما كان يفعل أسلافهم . وتعتبر الفتيات اللائى يمتن متأثرات بجراحهن غير محافظات على عذريتهن . وقبل أن تشرع الفتيات فى القتال يختار القوم جميعا أجمل فتاة ، ويلبسونها خوذة كورنثية ، وعدة حرب يونانية ، ثم يركبونها عربة تسير بها على شواطىء البحيرة . ولا أستطيع أن أقطع بالقول بأى نوع من أنواع الدروع كانوا يجهزون بها فتياتهم ، قبل أن يستقر الاغريق بالقرب منهم . ولكن فى ظنى أن الدرع المستعمل كان درعا مصريا . لأننى أقول أن الاغريق أخذوا درعهم وخوذتهم من مصر . أما بالنسبة لأثينا ، فيقولون أنها ابنة بوسيدون وبحيرة تريتونيس . ولسبب ما غضبت من أبيها ، ووهبت نفسها لزيوس ، الذى جعل منها ابنته . هذه هى قصتهم . والاتصال بين الرجال والنساء مشاع ، وهم لا يتزاوجون وانما يفعلون كما تفعل السوائم . وعندما يكبر ابن المرأة ، فان الرجال يجتمعون فى مدى ثلاثة شهور ، وينسبون الولد لمن هو أشد به شبها بين الرجال .

فقرة ١٨١ : تحدثت عن كل الليبيين الرعاة ، الذين كانوا يعيشون على ساحل البحر . والى الداخل بعيدا توجد بلاد ليبيا التى ترتادها الوحوش . ولكن بعد الأرض التى تعيش فيها هذه الوحوش ، هناك شريط من الرمال ، يمتد من طيبة فى مصر الى أعمدة هرقل . وعلى مراحل كل مرحلة منها تستغرق عشرة أيام ، توجد أكمات من الملح فى نجاد رملية . ويعلو كل نجد ، نبع يقذف من وسط الملح بماء بارد عذب . وحولها يقيم القوم الذين تقع مضاربهم بعيدا فى الصحراء والى الداخل من أرض الوحوش . واول جماعة ليبية يقابلها المسافر القادم من طيبة ، وبعد أن يقطع مرحلة عشرة أيام من ذلك المكان ، هى جماعة الأمونيين الذين يعتنقون عبادة الآله زيوس فى طيبة ، لأنه كما سبق أن قلت ، لصورة زيوس رأس كبش . وعندهم أيضا نبع ماء آخر . والماء يكون دافئا عند الفجر ، ولكنه يزداد برودة فى وقت انعقاد السوق ، ويصبح باردا جدا فى وقت الظهيرة . وفى هذا الوقت يروون مزارعهم وبتقدم النهار تقل برودة الماء . وعند غروب الشمس تكون قد

ازدادت دفئا ، وترتفع درجة حرارتها حتى تبلغ أقصى درجة لها فى منتصف الليل ، وعندئذ تغلى وتفور . وبعد منتصف الليل تأخذ فى البرودة حتى يحين الفجر . وهذا النبع يسمونه نبع الشمس .

فقرة ١٨٣ : وبعد مسيرة عشرة أيام من أوجلة يقابل المسافر نجدا آخر من الملح ، وينابيع مياه ، ونخيل ذات ثمر ، كما هو الحال فى أماكن أخرى . والذين يعيشون هناك يقال لهم الجرامنتيس **Garamantes** وهم شعب كثير العدد ، يضعون التراب على الملح ثم يزرعونه . ومن هنا تبدأ أقصر الطرق التى تؤدى الى مواطن آكلة اللوتس بعد مسيرة ثلاثين يوما . وثيران الجرامنتيس ترعى وهى تسير القهقرى . وسبب ذلك انحناء قرونها الى الأمام . ولذلك فهى تسير متجهة الى الخلف أثناء رعيها وهى لا تستطيع أن تسير الى الأمام لأن قرونها تنغرس فى الأرض . وفيما عدا هذا فثيرانهم تشبه بقية نوعها ، فيما عدا أن جلدها أسمك وأشد صلابة عند لمسه . ويستقل هؤلاء الجرامنتيس عرباتهم التى تجرها أربعة من الخيول أثناء مطاردتهم سكان الكهوف الأثيوبيين لأن هؤلاء ، عندما يجرون على أقدامهم ، يكونون أسرع من أى رجال انتهت الينا القصص عن سرعتهم . وهم يقتاتون على الثعابين والسحالى وغيرها من الزواحف ، ولا يشبه حديثهم حديث أى شعب آخر فى العالم . وهو يشبه صوت الخفافيش .

فقرة ١٨٦ : هكذا من مصر الى بحيرة تريتونيس يعيش الليبيون الرعاة ، الذين يأكلون اللحم ويشربون اللبن . ولا يقربون لحم البقر ولا يعنون بتربية الخنزير . وذلك لنفس السبب الذى من أجله يفعل المصريون ذلك . وتعتبر نساء قورينى أنه من الخطأ أكل لحم البقر بسبب ايزيس ، الربة المصرية ، بل وهم يقدسونها بالصوم واقامة الحفلات . وترفض نسوة مدينة برقة (= المرج) أكل الخنزيروأكل البقر أيضا .

فقرة ١٨٧ : يقول هيرودوت ، أنه الى الغرب من بحيرة تريتونيس ، يقيم ليبيون ليسوا ببدو أو رعاة ، وليست لهم نفس العادات ولا يعاملون أبناءهم

على نحو ما يفعل الرعاة من الليبيين ، لأنه من عادة هؤلاء (ولا أستطيع أن أجزم على وجه الدقة ما اذا كانت هذه هى عادة الجميع) أن يأخذوا أولادهم عندما يبلغون سن الرابعة فيعمدون الى حرق عروق فروة الرأس وأحيانا عروق أصداغهم بالشحم الذى يوجد فى صوف الخراف وذلك حتى لا يتأثر الأولاد بالافرازات التى تنزل من الرأس . وهم يقولون ان ذلك يجعل أولادهم أكثر صحة وعافية . وفى الحقيقة اننا لا نعرف شعبا على هذا القدر من الصحة مثل الليبيين • ولا أستطيع أن أقول على وجه التحديد أن السبب فى ذلك يرجع الى هذه العادة ، ولكنهم أكثر الشعوب صحة بالتأكيد . واذا توجع الصبى من ألم الحرق ، فان الليبيين وجدو لذلك علاجا ، بأن يرطبوا موضع الحرق ببول الماعز ، هذا ما يقوله الليبيون أنفسهم •

فقرة ١٨٨ : طريقة تقديم البدو للقرابين هى أن يقطعوا جزءا من أذن الضحية لبشائر المحاصيل ، ويلقون بها فوق مسكنهم ، وبعد ذلك يلوون رقبة الضحية الى الخلف • ولا يقدمون القرابين لأى اله سوى رب الشمس ورب القمر . ولكن المقيمين حول بحيرة تريتونيس يقدمون القرابين لأثينا أساسا ، ثم بعد ذلك الى تريتون وبوسيدون •

فقرة ١٨٩ : ويبدو أن الثوب الذى يكسو تماثيل أثينا ودرعها انما أخذه الاغريق عن السيدات الليبيات ، فيما عدا أن ثوب السيدة الليبية مصنوع من الجلد ، وأهداب دروعهن المصنوعة من جلد الماعز ليست بثعابين ، ولكنها مصنوعة من أشرطة من الجلد ، وفيما عدا هذا فان عدة أثينا تشبه عدة الليبيات والاسم Aegis يكشف عن أن الثوب الذى يكسو تماثيل بالاس Palls انما جاء من ليبيا لأن النسوة الليبيات اعتدن لبس جلد الماعز ذى الأهداب بعد نزع الشعر منه ، فوق ملابسهن ، ويلونونه باللون الأصفر . وغير الاغريق اسم جلود الماعز هذه الى اسم ايجيس Aegis وبالاضافة الى ذلك ، فى ظنى ، ان الانشاد الدينى انما أتى أول الأمر من ليبيا ، لأن نساء هذه البلاد ينشدن بصوت غاية فى الروعة والطرب . ومن الليبيين تعلم الاغريق قيادة العربات التى تجرها الخيل .

فقرة ١٩٠ : يدفن البدو الليبيون موتاهم على طريقة الاغريق فيما عدا النسامونيس فانهم يدفنون موتاهم وهم جلوس ، ويعنون بأن يجعلوا الرجل منهم وهو يجود بروحه فى وضع الجلوس حتى لا يموت وهو مستلق على ظهره . ومساكنهم مصنوعة من نوع من سيقان النبات يلتف حوله نوع من البوص . ويمكن نقل المسكن من مكان الى مكان . هذه هى عادات الليبيين .

وفى الفقرة ١٩١ من كتابه يعقد هيرودوت مقارنة بين الليبيين المقيمين شرق بحيرة تريتونيس ، والليبيين المقيمين غربها ، وهؤلاء يسمون الماكسويس **Maxyes** ويقول انهم يزرعون الأرض ويمتلكون المنازل . ويستطرد الى المقارنة بين حيوانات شرق ليبيا وغربها .

ويضيف هيرودوت فى الفقرة ١٩٧ أنه كان يسكن ليبيا أربعة شعوب ، شعبان منها أصليان وهما الليبيون فى الشمال والأثيوبيون فى الجنوب ، وشعبان غريبان عن ليبيا هما الفينيقيون والاغريق .

هذه هى الشعوب أو القبائل الليبية كما تحدث عنها هيرودوت ، وواضح انقطاع الصلة بين أسمائها وأسماء تلك القبائل التى عرفناها فى النصوص المصرية . ولكن فى رأى بعض المؤرخين ، استنادا الى بعض أوجه الشبه فى الملابس وطريقة ترجيل الشعر ، ان التمحو فى العصور الفرعونية هم الأجداد الذين منهم انحدر مباشرة ليبيو العصر الكلاسيكى ، وأنه يمكن التوفيق بين أسماء الليبيين فى العصرين مع شيىء من التحفظ . فقبيلة الاسبت عند الفراعنة ربما كانت قبيلة الأسبوستاى ، وقبيلة البكن ربما كانت قبيلة البكاليس . ومجموعة المشوش ربما كانت الماكسويس المقيمة غربى بحيرة تريتونيس . وقد يعزز هذا الرأى أن التماثيل التى عثر عليها فى قورينى ، من العصرين اليونانى والرومانى ، لأفراد من الليبيين انما كانت تحتفظ بنفس ملامح الليبيين التى حفظتها الآثار المصرية[١٥٦] . ويضيف مؤرخ آخر ، نقلا عن بعض المصادر الأدبية أن الاغريق المستعمرين فى قورينى كانوا يرقصون مع فتيات شقراوات وأنه كان يعمل فى بلاط كليوباترة ليبيون بيض البشرة ، وأن الليبيين حول بحيرة تريتونيس كانوا كذلك . وأنه كان يوجد بين الليبيين قوم من ذوى

العيون التى لها زرقة البحر[١٥٧] . وقد يقوى من هذه الفكرة اقبال المستعمرين الأوائل على الزواج من ليبيات[١٥٨].

وأول شعب ليبى نقابله فيما يلى مصر غربا هو شعب الأدور ماخيداى ، وقد ذكر هيرودوت أن موطن اقامتهم كان قريبا جدا من مصر ، ومعنى ذلك أنه كان يمتد من حدود مصر الغربية مباشرة حتى ميناء بلونوس (= سيدى برانى) . وهذا يعنى أن الأدورماخيداى قد حلوا محل التحنو فى هذه المنطقة الواقعة بين مصر ومارمريكا .

وبالمثل نستطيع القول ان قبيلة الجيليجاماى قد احتلت موطن التمحو . ويكون الأسبوستاى والبكاليس والأوسخيساى قد احتلوا فى منطقة الجبل الأخضر موطن الريبو . واذا سلمنا أن الأسبوستاى هم الاسبت وأن البكالس هم البكن وهؤلاء كانوا فرعا من الريبو فان معنى ذلك أنه لم يحدث تغيير فى موطنهم . ونضيف أن قبائل النسامونيس والماكاى والجينداليس والماخلويس قد انتشرت على خليج سرت ، ربما فى نفس المناطق التى كان يقيم فيها المشوش . واذا سلمنا أن المشوش هم الماكسويس فان ذلك قد يعنى أنهم نزحوا عن اقليم سرت ليستقروا غرب بحيرة تريتونيس[١٥٩] .

وبصفة عامة فان معلوماتنا عن القبائل الليبية تحسنت بفضل هذه المعلومات التى أوردها هيرودوت فى كتابه الرابع .

ويهمنا أن ندرس العلاقة بين ليبيى برقة والاغريق الذين حلوا بينهم ، والعلاقة بين طرابلس والفينيقيين الذين نزلوا بسواحلها .

قال هيرودوت فى الفقرة (١٥٨) من الكتاب الرابع بعد أن تحدث عن استقرار أهل ثيرا فى أزيريس (وادى الخليج) انهم أقاموا فى هذا المكان ست سنوات وأنهم فى السنة السابعة أقنعهم الليبيون ، متوسلين اليهم ، بترك هذاالمكان قائلين لهم انهم سوف يقودونهم الى مكان أفضل . ومن ثم تولوا قيادة الاغريق من أزيريس متجهين بهم شطر الغرب وراعوا فى سيرهم أن يدركهم الليل وهم يمرون بمكان يقال له ايراسا Irosa ، لعله أم الرزم ،

وهو أخصب مكان فى بلادهم ، حتى لا تقع عليه أعين الاغريق اثناء سيرهم ، حتى انتهوا بهم الى مكان يقال له نبع أبوللون وقالوا لهم «هنـا أيهـا الاغريق هذا المكان مناسب لاقامتكم لأنه توجد هنا فتحة فى السماء» .

وواضح أن الليبيين الذين قادوا اغريق ثيرا الى نبع أبو للون انمـا هم الجيليجاماى (راجع فقرة ١٦٩) . ويبدو أنهم حرصوا على اخراج الاغريق من مواطنهم والذهاب بهم الى مواطن جيرانهم الأسبوستاى حيث نبع أبوللون. ولم يبخل عليهم الأسبوستاى بالمساعدة فى انشاء مستعمرتهم قورينى فى عام ٦٣١ ق.م. وقد كان باتوس منشىء المستعمرة (وهو معاصر للملك ، بسماتيك الأول مؤسس الأسرة السادسة والعشرين فى مصر) قد صحب معه عـددا من اغريق ثيرا لا يزيد على المائتين ، وذلك عند أول مجيئهم الى بلاتيا . وليس من السهل أن تتصور أن مثل هذا العدد القليل كان يستطيع أن يستمر محافظا على كيانه وعلى مستعمرته التى أنشأها فى أرض جديدة ، دون أن يدعم بوافدين جـدد ، ويبدو أن الاغـريق بادروا بالزواج من سيدات ليبيات ذلك لأنهم لم يصحبـوا معهم نسـاء من ثـيرا . وقـد يـؤكد هذه الحقيقة ما ذكره هيرودوت من أن نساء قورينى امتنعن عـن أكل لحـم البقر مثل النساء الليبيات ، وكن مثل الليبيات أيضا فى تقديس ايزيس بالصيام لها واقامة الحفلات من أجلها . وكانت العلاقات بين أهل قورينى وجيرانهـم الليبيين على ما يرام . وقد ذكر بنداروس فى قصيدته البوثية التاسعة ان أحد أبناء تيليسكراتيس القورينى قد تقدم الى ملك الجيليجاماى طالبا يـد ابنته . وكان عليه أن يشترك مع غيره من الاغريق والفرسان الليبيين فى سباق يحظى الفائز فيه بالفتاة جائزة له . وكان الفائز هو أليكسيداموس الاغريقى وقد حياه الفرسان الليبيون تحية النصر والفوز[١٦٠] . وقد مضت العـلاقات طيبة بين الجانب الاغريقى والليبى طوال عصر باتوس الأول . ولكن عندمـا عمد باتوس الثانى (من عام ٥٨٣ الى ما بعد عام ٥٧٠ ق.م.) الى تدعيم العناصر الاغريقية فى المستعمرة باغراء الاغريق من شتى أرجاء بلاد الاغريق للقدوم الى قورينى ووزع عليهم أراض اغتصبها من الليبيين[١٦١] ، كان لابد

أن تسوء العلاقات بين الليبيين والاغريق ، ويقول هيرودوت ان الليبيين ومعهم ملكهم **اديكران** **Adicran** ذهبوا الى مصر والتمسوا مساعدة ملكها أبريس • وقد جند أبريس جيشا كبيرا من المصريين لنجدة الليبيين • والتقى هذا الجيش بأهل قورينى عند ايراسا جبث درات الدائرة على المصريين لأن هؤلاء كما قال هيرودوت لم تكن لهم نفس خبرة الاغريق[١٦٢] • والتجاء الليبيين الى المصريين كان أمراً طبيعيا ، خاصة وأن الأسرة السادسة والعشرين كانت من سايس ، ومن المحتمل جداً أن يكون ملوكها من أصل ليبى ، وكان جيشهم يضم عناصر ليبية[١٦٣] • ولم يكن فى وسع أبريس أن يزود الليبيين بالجند المرتزقة من الاغريق الذين كانو عماد جيشه ، وذلك خشية انضمامهم الى بنى جلدتهم من اغريق قورينى[١٦٤] • وقد ترتب على هزيمة الليبيين مع حلفائهم فى ايراسا أن ثبت الاغريق أقدامهم فى برقة ، واضطروا الليبيين الى الخضوع لهم • ولكن هذا الخضوع لم يطل اذ سرعان ما تجدد الصراع بين الليبيين وأهل قورينى وذلك على عهد الملك أركيسيلاوس الثانى (وهو معاصر للملك أمازيس وهو أيضا من ملوك الاسرة السادسة والعشرين فى مصر) • وقد نشب بين هذا الملك واخوته خلاف خرجوا على أثره من قورينى الى موطن قبيلة الأوسخيساى الليبيـة حيث أنشـأوا بمساعدتها مدينة برقة (= المرج)[١٦٥] • ولم يكون من الصعب استمالة هذه القبيلة لأن الليبيين لم ينسوا بعد ثأر ايراسا ، وكانوا من ناحية اخرى قد ضاقوا ذرعاً باحتكار ملوك قورينى لنبات السلفيوم[١٦٦] • وقد حانت الفرصة المناسبة عند ما تقدم الملك اركيسيلاوس الثانى «ومعه الجيش فى أرض الليبيين الذين استقبلوا أخوته والذين قاموا بالثورة أيضا • وقد فر هؤلاء خوفا من الليبيين الشرقيين وقد سار اركيسيلاوس فى اثرهم حتى وصل وهـو يطاردهم الى «لويكون» **Leukon** حيث عقد الليبيون العزم على مها جمته ، والتحموا معه فى المعركة ، ومن ثم كروا جميعا على أهل قورينى ، وتغلبوا عليهم ، وذبح من اهلهـا سبعة الآف من المشاة الثقيلة •••»[١٦٧] وبذلك ثأر الليبيون لهزيمة ايراسا • ولكن هيرودوت لم يذكر لنا ما الذى عاد على الليبيين من هذا الانتصار ،

ولم يتحدث مثلا عن استرجاعهم لأراضيهم ، وان كنا لا نستبعد أن يكون أخوة الملك قد أرضوهم بطريقة أو بأخرى . ويطلق بعض المؤرخين على الحرب التى خاضها الليبيون ضد باتوس الثانى الحرب الليبية الأولى . وذلك فى سلسلة الحروب الليبية أو حروب مارمريكا التى لم تتوقف حتى الفتح العربى[١٦٨] .

ولما اشتد الصراع بين الملكية ممثلة فى الملك باتوس الثالث والأرستقراطية ممثلة فى أخوته وبين أهل ثيرا الذين استأثروا بكل الامتيازات ، والاغريق الوافدين الى قورينى احتكم أهلها لوحى دلفى . واطاعة لهذا الوحى استدعى المشرع ديموناكس من أركاديا ليضع دستوراً للمدينة . ويهمنا منه ما جاء بشأن تقسيم السكان الى ثلاث قبائل ، تضم الأولى منها أهل ثيرا والبيرى أو يكوى Preioikoi [١٦٩] . وقد اختلف المؤرخون فيمن يكون هؤلاء البيرأويكوى ، فمنهم من قال انهم الليبيون الذين أسهموا فى انشاء المستعمرة ، وقد حان الأوان لمنحهم نفس الحقوق التى كانت لأهل ثيرا ، ويكون لهم نفس الوضع القانونى فى المدينة[١٧٠] خاصة وأن هيرودوت قد قال أن قبيلة الاسبوستاى ، وهى التى عاونت فى انشاء المستعمرة قد تأغرقت[١٧١] ، وأن الدستور البطلمى للمدينة قد نص على منح حقوق المواطنة لابناء السيدات الليبيات من آباء اغريق من مواطنى قورينى[١٧٢] والفريق الثانى يقول ان المقصود بهؤلاء البيرى أو يكوى الجماعات الهلينية التى قدمت حديثا الى برقة والتى لم تستطع أن تحصل على الحقوق السياسية التى كانت للطبقة الممتازة من أهل ثيرا المستعمرين الأوائل الذين أرادوا ان يحتكروا لأنفسهم كافة الامتيازات بوصفهم أنهم هم الذين انشأوا المستعمرة . وهذا التفسير فى رأيهم يتمشى مع ماألفته المدن الاغريقية من قصر حقوق المواطنة على المنحدرين من أصل اغريقى واضح . سيما وأن البرى أو يكوى فى اسبرطه وأرجوليس وتساليا وكريت يقصد بهم الاغريق الذين كانو ايقيمون فى الريف ولهم منظمات دستورية . وان كان وضعهم الدستورى يقل عن وضع المواطنين الكاملين . هذا بالاضافة الى أن أفراد طبقة البيرى أو يكوى فى لاكونيا كانوا رجالا أحراراً ، من

حقهم حمل لقب اللاكيد يموينيين والخدمة فى الجيش مع الاسبرطيين فى فرق المشاة الثقيلة ولما كان ملوك قورينى قد اشتبكوا فى حرب مع الليبيين فانه ينبغى فى رأى هؤلاء المؤرخين أن يستبعد احتمال قبول الليبيين فى هيئة مواطنى المدينة[١٧٣] • وهذا الرأى الأخير ينبغى ألا يعنى استبعاد الليبيين كعنصر من عناصر سكان المدينة ، ذلك لأن تماثيل قورينى ، كما أسلفنا ، تكشف وجود عنصر وطنى بين سكانها • فضلا عن أن نقوش المدينة تحمل بعض الاسماء الليبية مثل باكال وألازير • واذا جاز لنا القول بأن حقوق المواطنة منحت لبعض الأفراد بصفتهم الشخصية ، فهل لا يمكن القول بأن الليبيين الذين أسهموا بالفعل فى انشاء المستعمرة وتزوج الاغريق من نسائهم ، قد ضموا الى عداد المواطنين ، ولم يكونوا بالكثرة التى تحول دون ضمهم الى بناء المدينة السياسى ؟ ولا عبرة هنا بالاعتراض بأن مظاهر الدين كانت كلها اغريقية صرفة ، ذلك أن هناك أثراً دينيا ليبيا واضحا فى تحريم نساء قورينى أكل لحم البقر والخنزير تقديسا لايزيس الربة المحببة عند الليبيين • واذا كان الدستور البطلمى قد أدخل فى عداد المواطنين أبناء السيدات الليبيات من آباء قورينائيين ، فان هذا الدستور يكون قد أقر وضعاً قائما أو صحح من وضع خاطىء • هل يمكن افتراض أن الليبيين كانوا أصلا مواطنين فى نفس مرتبة أهل ثيرا وفى عداد طبقتهم منذ البداية فلا داعى للالحاح على مناقشة وضعهم فى طبقة البيرى أو يكوى التى ضمها ديموناكس للقبيلة الأولى ؟ وفى هذه الحالة لابأس من قصرها على الاغريق الجدد • ولوكنا قد ظفرنا بدستور مدينة برقة لكنا قد عرفنا منه الى أى مدى أمكن ادخال العنصر الوطنى فى المدينة ، ذلك لأن هذه المدينة نشأت فى أرض ليبية ، وشارك أهلها فى الصراع ضد ملوك قورينى • ولعلهم عانوا كما عانى الاغريق من حصار الفرس لمدينتهم، وذلك الحصار الذى دام تسعة أشهر ، ومن انتقام فريتمى لمصرع ابنها باتوس الرابع • وقد أبعد من أهل مدينة برقة من تبقى منهم حيا الى باكتريا بعد استرقاقهم • وقد منحهم الملك الفارسى مدينة فى هذا الاقليم ليسكنوا فيها فاطلقوا عليهااسم برقة[١٧٤] • وعند انسحاب الفرس من برقة فى طريق العودة الى

مصر وقعوا فى أيدى الليبيين الذين ذبحوا منهم المتخلفين والشاردين ليستولوا على ملابسهم وأسلحتهم • ولعل الفرس قد عانوا من هذه الهجمات ولحقتهم خسارة فادحة[١٧٥] •

وقد كان ملك قورينى باتوس الرابع قد اعترف بالتبعية للملك الفارسى قمبيز فى عام ٥٢٥ق٠م• وقد بسط الفرس سيطرتهم على القبائل الليبية وخاصة بعد مجيىء هذا الجيش الذى فتح مدينة برقة ووصل الى مدينة يوسبيريدس[١٧٦] ، ذلك أن جيش الملك خشايارشا (اكزركسيس) كان يضم فرقة ليبية يلبس أفرادها الملابس المصنوعة من الجلد ، وكان سلاحهم الوحيد رمحا قصيرا زاد من صلابته تقسيته بالنار [١٧٧] • وكان الجيش الفارسى يضم أيضا فرقة من العربات الحربية التى يقودها ليبيون[١٧٨] •

ويدافع شامو عن موقف مدينة قورينى أثناء الحروب الفارسية بأنه لم يكن فى استطاعتها مثل مدينة مساليا (مرسليا) أن تشترك مع المدن الاغريقية الاخرى لتوقف زحف الفرس فى بلاد الاغريق ، وذلك لبعدها من ناحية ولخضوعها لسيادة الفرس من ناحية أخرى • ويرى أن الذين اشتركوا فى جيش الفرس انما هم الليبيون الوطنيون ، وليسوا اغريق المدينة • وأن قورينى ما كانت لتخون قضية الاغريق[١٧٩] •

وليس هناك ما يدعو الى كل هذا الحماس فى الدفاع عن قورينى الذى لا يؤكده أى مصدر ، ولا نستبعد أن تكون هناك فرقة عسكرية من اغريق المدينة الى جانب فرقة الليبيين العاملة فى جيش خشايارشا حتى ولو كان هيرودوت قد خص الليبيين بالقول بأنهم اشتركوا فى الجيش الفارسى • واذا كانت قورينى قد خانت قضية الاغريق فعذرها فى ذلك أنها كانت ترزح تحت الاحتلال الفارسى وهو نفس العذر الذى التمسه شامو لأهل قورينى لعدم اسهامهم فى الدفاع عن الاغريق ضد زحف الفرس فى بلادهم •

وقد شمل الحكم الفارسى المصريين والليبيين معاً فلا ندهش اذا قرأنا عند هيرودوت أنه فى عام ٤٦٠ ق٠م• على عهد الملك ارتاخشاشا (أرتاكسركسيس

الأول) (٤٦٤ — ٣٢٤ ق.م. هبت فى مصر ثورة تزعمها أمير ليبى محلى يدعى ارت حرارو (ايناروس) بن بسماتيك. واسمه يوحى بأنه كان من فرع الاسرة السادسة والعشرين القديمة وكان أميراً على الليبيين فى المنطقة الممتدة من ماريا (على بحيرة مريوط) حتى فاروس . وقد حالفه أمرتى (امير تايوس) وهو ايضا من سايس . وقد نجح ايناروس فى طرد جباة الضرائب وجند فرقاً من الجنود المرتزقة . ولم تلبث الثورة أن عمت مصر بأكملها . ثم طلب ايناروس المساعدة من أثينا التى بادرت الى تأييده وأرسلت أسطولا من ثلثمائة سفينة ، وكانت الحرب سجالا بين الفرس وبين الثوار فى الدلتا وانتصر ايناروس فى القتال العنيف الذى دار عند پاپريميس . وقد شهد هيرودوت بنفسه ميدان المعركة واستطاع أن يميز قتلى الليبيين بصلابة جماجمهم . ولما دارت الدائرة على ايناروس أسر وأحضر الى سوسا عاصمة الفرس حيث حكم عليه بالموت . وعلى ختم اسطوانى للملك الفارسى ارتاخشاشا صور الزعيم الليبى وهو يذبح . وكان لايزال يرتدى تاج مصر المزدوج[180] .

وفى عام ٤٤٩ عقد الصلح بين أثينا والفرس ، وهدأت الثورة فى مصر . ولم ير الوالى الفارسى بأساً من وضع ثانوراس **Thannyras** بن ايناروس على رأس الاقليم الذى كان يحكمه أبوه ووضع باسيريس بن أمير تايوس محل أبيه ، بالرغم مما لقيه الفرس من عنت على يد ايناروس وأمير تايوس[181] .

وثمة حدث هام ينبىء عن علاقة قرطاجة بقبيلة الماكاى الليبية . ويتلخص هذا الحدث فى أن دوريوس بن أناكساندر يداس ملك اسبرطة غضب لأنه لم يخلف أباه فى عرشها ، فجاء الى ليبيا يريد أن ينشىء مستعمرة بها ، فقاد حملة ضخمة الى وادى كعام فى عام ٥١٤ ق.م. وبعد سنتين قضاهما مع أتباعه على ضفاف هذا الوادى نجحت قرطاجة بمساعدة الماكاى فى طرده من هذه المنطقة[182] . وذلك أن قرطاجة ما كانت تسمح بأى تسلل اغريقى الى مناطق نفوذهم فى طرابلس[183] .

وحوالى عام ٤٤٠ ق.م. كانت أسرة باتوس قد انتهى أمرها ، ودخلت برقة فى مرحلة من عدم الاستقرار . ويبدو أن القبائل الليبية انتهزت الفرصة

فعمدت الى اثارة المتاعب للمدن اليونانية ؛ من ذلك ان قبيلة النسامونيس ــ فيما يرجح ــ قامت بحصار مدينة يوسبير يدس حوالى ٤١٣ ق.م. وحدث أن ريحا طيبة دفعت بطريق الصدفة القائد الاسبرطى جوليبوس Gylippus وكان فى طريقه الى سيراكوز فحادت به الى شاطىء المدينة ، ففك الحصار عنها[١٨٤] .

وفى نفس الوقت تقريبا كانت قورينى «نتيجة للصراع الحزبى بين الحزبين الارستقراطى والديمقراطى» قد تعرضت لهجوم ثيبرون المغامر الاسبرطى . وتحالفت بعض عناصر المدينة مع الليبيين الذين أعدوا كمينا لقواته فى منطقة توكرة وقتلوا منهم الكثيرين ولكن الليبيين لم يتمكنوا مع أهل قورينى من الصمود أمام هجوم قوى شنه ثيبرون على المدينة[١٨٥] .

واذا كانت برقة قد استمرت نهباً لمثل هذه الأحداث فان مصر كانت هى الأخرى ترزح تحت حكم الفرس وتحاول التخلص منهم ؛ وتغير الوضع بها بمجىء الاسكندر الأكبر اليها فى عام ٣٣١ ق.م. وقد بادرت قورينى بالاعتراف بالتبعية له عندما سمعت أنه قد وصل الى بارايتونيوم Paraetonium (مرسى مطروح) . وبعد وفاة الاسكندر فى عام ٣٢٣ ق.م. أصبح بطليموس بن لاجوس والياً على مصر . وما لبث أن انتهز فرصة الصراع الداخلى فى مدينة قورينى حتى أقدم على احتلالها فى عام ٣٢٢ ق.م.[١٨٦] . وبذلك قدر لمصر ولبرقة أن تخضعا معا لحكم واحد هو حكم البطالمة .

وقبل أن نمضى فى دراسة أوضاع الليبيين فى ظل هذا العهد الجديد نتريث قليلا لدراسة بعض نواحى حياة الليبيين فى ضوء ما ذكره هيرودوت .

كان هيرودوت واضحا وهو يتحدث عن ليبيى برقة من الناحية الحضارية عندما قال ان قبائل الأدورماخيداى والجيليجاماى قد تمصرت أو اكتسبت العادات المصرية فيما عدا تمسكها بملابس الليبيين ، وأن الأسبوستاى والأوسخيساى وربما البكاليس قد اصطنعوا عادات أهل قورينى أو تأغرقوا ؛ ومع ذلك فقد غلبت صفة الرعى والبداوة على الليبيين شرق بحيرة تريتونيس .

وهذا الوصف فى ظاهره قد يبدو صحيحاً ، بالرغم من أنه حدد لكل قبيلة موطنا له حدود واضحة • والوصف صحيح أيضا الى حد ما بالنسبة لقبائل النسامونيس بالرغم من أنه كانت لهم مراكز ثابتة على خليج سرت الا أنهم كانوا يتركون قطعانهم فى الصيف • أما فى الشتاء فانهم كانوا يرحلون الى واحة أوجلة لجنى محصول البلح ، وعلى العكس من النسامونيس كان الماكاى يرتادون الساحل موسم الأمطار بعد أن يحبسوا ما شيتهم فى الحظائر ، أما فى الصيف عندما تقل المياه فى السهل الساحلى الرملى فانهم يذهبون بعيداً الى الداخل ، ربما الى جبل غريان الخصب • وحتى صفة الرعى بالنسبة للبسولوى يجب أن تقبل بتحفظ ، ذلك لأنهم كانوا يمتلكون صهايج للمياه بصفة دائمة، ولم يكن أكله اللوتس يتجولون على نطاق واسع ، اذ كانت منطقة اقامتهم محدودة بجزيرة زوخيس Zuchis الصغيرة أما الماخلويس والأوسيس فقد كانوا يقيمون حول بحيرة تريتونيس فهم بذلك ليسوا أهل رعى بالمعنى المفهوم • وفى الداخل كان الجرامنتيس كما لاحظ هيرودوت يغطون التربة الملحة بطبقة من الصلصال قبل زراعتها ، وكانت لهم ايضا تنقلات موسمية ، ففى أشهر الشتاء كانوا يذهبون الى الداخل التماسا للصيد • ولذلك فإن هيرودوت لم يكن دقيقا فى تعميم صفة الرعى بالنسبة لليبيين الشرقيين[١٨٧] •

وتغلب صفة الرعى بمعناها الصحيح على سكان الدواخل بين القبائل التى حدد هيرودوت مضاربها جنوب مناطق النسامونيس • وكان لطبيعة الأوضاع هناك أثرها الواضح فى حملهم على حياة التنقل انتجاعاً للمرعى ، وربما كانت الصحراء فى هذه المناطق أقل جدبا مما هى عليه الآن، وربما كانت تسمح بتجمعات بشرية أيام الاغريق والفينيقيين • ومع ذلك فهناك اختلاف واضح بين عادات القبائل البدوية التى تعيش على الساحل وتلك التى تعيش فى الداخل • فحيث المطر منتظم والتربة صالحة للزراعة فان الليبى كان ينبذ حياة التجوال ، ويفيد من هذه الظروف ، والا فانه يظل مقيما على حياة الرعى • ولعل هذه الهجرات التى قام بها الليبيون الى مصر وخاصة على عهد الدولة الحديثة ، انما كانت تحدث بضغط من شعوب أخرى كانت تقيم فى الغرب • أما فى عهد

هيرودوت فيبدو أن الهجرات كانت قد توقفت واحتلت جماعات بدوية المناطق الزراعية على الساحل، أما القبائل التى لم يسعدها الحظ فتفوز بمناطق للاستقرار فانها ظلت فى الداخل تتابع حياة التنقل • ولعلها كانت قد جمعت الى الرعى حرفة الصيد • وواضح مما ذكره هيرودوت أن الصحراء كانت تموج بعدد ضخم من الحيوانات المتوحشة[١٨٨] • ونحن نعرف أن مهنة الصيد كانت سابقة لمهن الرعى والزراعة والتجارة . وقد قامت الأدلة على احتراف الليبيين القدماء لهذه المهنة منذ عصور ما قبل التاريخ كما أسلفنا[١٨٩] • وقد استمروا يمارسونها فى العصور التاريخية . ولكثرة وجود الحيوانات التى عددها هيرودوت ، فلا نعجب اذا عرفنا أن الليبيين قد تعلموا صناعة ملابسهم من جلودها الى جانب صناعتها من جلود الحيوانات التى استأنسوها • وكان من الطبيعى أن ينتقل الليبى من مرحلة الصيد الى مرحلة استئناس الحيوان وتربيتـه . وتأتى فى مقدمة الحيوانات التى استؤنست الخراف والماعز والحمير التى تستطيـع ان تتحمل العطش كما أخبر بذلك هيرودوت . وهذه ملاحظة صحيحة اذ انه فى استطاعة الحيوان أن يتأقلم فى البيئة التى يعيش فيها وأن يعتاد ظروفها ، فحتى الخراف والماعز تستطيع أن تعيش وهى فى حالة صحية حسنة بـدون ماء على الاطلاق[١٩٠] • والأدلـة كثـيرة على استئناس الحيوانات فى المناطق الشمالية من ليبيا ، فهناك الماعز والحمير والأغنام فى برقة ، وقد عرفنا من نصوص مرنبتاح استخدام القبائل الليبية للخيل • ثم أن هيرودوت أشار الى خيل الأسبوستاى ، والخيل التى تجر عربات الجرامنتيس والى ثيرانهم التى ترعى وهى تسير القهقرى •

وبالنسبة للقبائل التى كانت تفتقد الحياة المستقرة الناعمة تصبح مراعيها وآبارها مورد حياتها التى تذود عنها حتى الموت . واذا وجدت أن هـذه المراعى وهذه الآبار لم تعد كافية لسد حاجتها فانه لا مناص لها من أن تغير على مراعى جيرانها • ولعل الذى ذكره هيرودوت عن فناء البسولوى من أن الرياح أهلكتهم وعن استيلاء النسامونيس على أماكنهم ليدخل فى هذا الضرب من أنوع التزاحم والتقاتل على موارد المياه • أما اذا اشتد الجدب فـان

الهجرات الموسمية التى تحدث هيرودوت عن بعضها تتحول الى اغـارات وقد لا تجدى وسائل الدفاع العادية أمام تدفق جموع البدو وشدة بأسهم وقدرتهم على الحركة. وقد أفاضت النصوص المصرية من عهد الدولة الحديثة فى الحديث عن ضخامة عدد المغيرين من الريبو والمشوش وسجلت ما كان يشعر به المصريون من خوف وقلق ازاء هذه الهجمات التى توالت فى موجات متتابعة كادت أن تتداعى تحت قسوة ضرباتها الحصون التى أنشأها الفراعنة من منف حتى مارمريكا . وعلى أى حال كانت القبائل الليبية مضطرة للحفاظ على حياتهـا الى استغلال كل موارد الصحراء الضئيلة . وكانت الهجرات الموسمية من الصحراء الى مناطق التلال والهضبة فى الشمال الظاهرة المميزة لحياة هؤلاء القوم[191] . ولم يكن هناك أى حاجـز طبيعى يفصل الليبيين الرعـاة عـن الليبيين الذين استقروا وألفوا حياة الزراعة . وقد كتب هيرودوت عن قبائل الجرامنتيس وكيف أنه كانت لهم عربات تجرها أربعة من الخيل . وبهـا كانو يطاردون أهل الكهوف من الأثيوبيين وهؤلاء هم على الأرجح التيبو فى التبستى[192] . وقد أكد ما ذكره هيرودوت عن عربات الجرامنتيس الرسوم التى عثر عليها مصورة على الصخر فى وادى (سيجسا) فى قلب منطقـة الجرامنتيس . وكان هيرودوت دقيقا فى حديثه عن الرحلة التى تستغرق ثلاثين يوما من منطقتهم الى أرض أكلة اللوتس ، وهى عنده المنطقة الساحلية بين خليجى سرت الكبير والصغير ، وبذلك يكون هيرودوت صادقا فى تصوير ما كان معروفا على أيامه فى داخلية الصحراء الليبية وتبعا لذلك لابد وأنـه كانت توجد هناك بعض العلاقات بين أهالى الصحراء وسكان الساحل . ولا شك أن وسيلة الاتصال بين الصحراء والساحل كانت تتم بفضل استخدام الثيران فى النقل وفى جر العربات كما كشف عن ذلك الرسوم فى فزان من العصر الحجرى الحديث والتى تظهر بوضوح صور رجال يركبون الثيران ، وثيران تجر العربات . ولكن الثيران ما كانت لتتحمل العطش مدة طويلة ، لذلك يفترض أن حركة النقل من الصحراء الى السواحل كانت تتم أيضا بالاستعانة بالحمير التى كانت فى استطاعتها السير بدون ماء[193] .

وهذا الاحتكاك المستمر بين الصحراء والأرض المنزرعة على الساحل يعنى التجارة . والتجارة تجر الى تبادل الأفكار والمعارف ، وفوق كل شيء الى المعرفة الجغرافية . فمن الشمال تتواتر القصص عن بحر متسع وعن شعوب غريبة تمخر عبابه ، وتأتى من الجنوب المعلومات عن الواحات الكثيرة المزدهرة فى قلب الصحراء . والقصص الذى يثير الدهشة عن تلك الأرض المزدحمة بسكانها الواقعة وراء الصحراء . ولذلك ليس هناك ما يدهشنا عن معلومات هيرودوت عن الجرامنتيس وعرباتهم وطريقتهم فى تغطية التربة المالحة بطبقة من الصلصال ، ثم اعدادها للزراعة . وقد نقل هيرودوت عن بعض أهل قورينى أن النسامونيس اختاروا بالقرعة خمسة من شبابهم « لمعاينة صحراء ليبيا ليروا اذا كان فى مقدورهم أن يروا شيئا أكثر مما رآه من سبقوهم من الرحالة . وليبيا فيما وراء الشعوب التى تصل بلادها الى البحر مليئة بالوحوش . صحراء لا شيء فيها غير الرمال ويتزايد جفافها وصحراء ولا شيء غير الصحراء . وهذه هى قصة هؤلاء الشبان عندما تركوا رفاقهم وقد تزودوا بالماء والمؤن ، رحلوا أولا فى الأرض المأهولة وراء المنطقة التى ترتادها الوحوش ، ثم ارتحلوا فى الصحراء فى اتجاه الغرب ، واجتازوا منطقة صحراوية واسعة . وبعد أيام كثيرة رأوا نخيلا ينمو فى السهل ، وعندما وصلوا اليه وأخذوا فى التقاط ثماره ، جاءهم رجال من الأقزام وساقوهم أسرى . ولم يفهم الفتية من النسامونيس لغتهم ، وما فهم الأقزام لغة النسامونيس . وقد ساق الأقزام الفتية عبر مستنقعات واسعة حتى بلغوا مدينة أهلها فى مثل قامة آسريهم وكانوا سود البشرة ، وهناك بجوار المدينة نهر كبير يجرى من الغرب فى اتجاه مطلع الشمس ، وترى فيه التماسيح . . . »

وقد رجع الفتية سالمين كما أخبر بذلك أهل قورينى وأضافوا أن القوم الذين رأوهم فى هذا المكان البعيد كانوا من السحرة وقد ظنوا أن النهر هو نهر النيل . وأكد هيرودوت هذا الظن . ولكن من الواضح أنه نهر النيجر[١٩٤] .

وعن طريق التجارة اذن كان اتصال اقليم فزان والجرامنتيس والمنطقة

الواقعة بين خليجي سرت الصغير والكبير، وحيث هذا الاقليم العارى من الساحل وغير المضياف الذى كان هيرودوت يطلق عليه اسم اقليم أكلــة اللوتس ، ويسميه القدماء أقليم المراكز التجارية الفينيقية Emporia وتقع عليه وعلى مسافات متقاربة المدن الثلاثة : صبراته ، وأويا (طرابلس) ولبتس ماجنا • ولم يكن هناك أى سبب سياسى أو استراتيجى خاص للتجمع فى مثل هذه المراكز . وكان لا يمكن لهذه المراكز الثلاث أن تحقق هذا القدر من الاتساع والرخاء لولا أنها كانت بوابة الصحراء التى ينتهى عندها طريق الجرامنتيس • وقــد أسلفنا أن أهل قرطاجة تمكنوا بمساعدة الماكاى من القضــاء على المستعمرة التى أنشاها دوريوس الاسبرطى فى وادى كينوبس (كعام) ، وهذا اشعار بأهمية منطقة سرت ، وبحرص قرطاجة على أن تحول بكل ما تستطيع من قوة دون تسلل الاغريق الى هــذه المنطقة حتي لا يسلكــوا طريــق الجرامنتيس الى فزان . ولذلك جعلت بين منطقة نفوذها فى طرابلس ومنطقــة نفوذ الاغريق فى برقة مذبح الأخوين الفيلينى حداً فاصلا • وهذه المراكز التجارية الفينيقية تقع على خليج عميق كونه البحر ، وهذا الخليج يتغلغــل فى الصحراء ، مما ترتب عليه قصر المسافة بين البحر وأواسط افريقيا . وطريق الجرامنتيس هو أقصر طريق الى فزان والى الأقاليم الواقعــة فيما وراءهــا وخاصة منطقة تشاد . وكان الجرامنتيس فى رأى بعض المؤرخين يحملــون الى الساحل عدداً من السلع لعل أهمها العاج وجلود الحيوانات وريش النعام وبعض الذهب والأخشاب الثمينة وأحجار الملح الممتازة[١٩٥] . وكانت تأتى من الداخل أيضا أحجار ثمينة من أهمها حجر العقيق Carbuncte وكان ثيوفراستوس يعرفــه باســم Anthrax ويسميــه بليــنى Carbunculus وأطلق عليــه الاغريق اسم حجر قرطاجــة ho Karchodonios lithos ، بالرغم من أنه كان يأتى من أرض الجرامنتيس ذلك لانه كان ينقل عن طريق تجار قرطاجة الى الأسواق الخارجية • وكانت هناك سلعة ثمينة أخري هى الذهب ، ينقل عبر طريقين أساسيين هما طريق الجرامنتيس من فزان الى طرابلس وطريــق من النيجر الى سلجماسة فى الغرب •

والى جانب هذه السلع كان العبيد يأتون عن طريق الجرامنتيس كذلك. وقد مر بنا كيف كان الجرامنتيس يقتنصونهم بعرباتهم السريعة •

وفى رأى البعض أن حجر قرطاجة أو العقيق هو الذى أعطى طريق الجرامنتيس كل هذا القدر من الأهمية[١٩٦] .

ويبدو أن الفينيقيين لم يذهبوا بعيداً الى أواسط افريقيا ليقوموا بأنفسهم بجلب ما فيها من سلع وخيرات ، بل اكتفوا بأن ينتظروا فى مراكزهم التجارية على الساحل حتى تأتى القوافل تحت حراسة الجرامنتيس القوية . وفى القرن الخامس قبل الميلاد كان تجار قرطاجة يأتون الى صبراته ليحصلوا على حاجتهم من هذه السلع • ويبدو أن أهل قرطاجة بعد ذلك أرادوا أن يصلوا الى منابع هذه السلع ومصادرها بدون مساعدة الجرامنتيس فأوفدوا البعثات الكشفية لمحاولة الكشف عن الطريق المؤدية الى المراكز التجارية فى أواسط افريقيا[١٧٩] ولكننا لا نعرف من التفاصيل ما يساعد على تبين مدى ما وفق اليه الفينيقيون بهذا الصدد ، وان كان من المستبعد أن يكونوا قد نجحوا فى تحقيق هدفهم نظراً لقوة الجرامنتيس وعدم تسليمهم بسهولة بالتنازل عن احتكارهم للتجارة وسيطرتهم على طرقها .

ولعل الليبيين كانوا يحصلون مقابل السلع التى يحملونها الى الساحل على الفخار الآثينى وأباريق الخمر وقوارير العطور الفينيقية والأدوات الزجاجية من انتاج مصر عن طريق القرطاجيين الذين لعبوا دور الوسيط فى تجارة البحر الأبيض ، ويبدو من المحتمل أيضا أن الليبيين حصلوا على أنواع أفضل من الأقمشة وعلى أسلحتهم البرونزية وأوانيهم الفضية عن طريق القرطاجنيين كذلك[١٩٨] .

ولا شك أن المدن الداخلية مثل غدامس وجاراما (عاصمة الجرامنتيس) قد أفادت من التجارة ، كما أفادت منها مدن الساحل . وذلك أن هذه المدن الداخلية كانت بمثابة مراكز تتم فيها عملية تبادل سلع الشمال مع السلع القادمة من أواسط افريقيا . ولا بد وأن نفترض أنه كان يوجد نظام معين لتنظيم

عملية النقل بالقوافل وتوفير الأمن لها • ومن السهل أن نتصور وجود مراكز ثابتة لتزويد القوافل بما تحتاجه من مؤن وغيرها .

واذا انتقلنا بعد ذلك الى دراسة المجتمع الليبي فى ضوء ما ذكره هيرودوت فى كتابه الرابع لوجدناه يصور الأسرة وقد تميزت بظاهرة تعدد الزوجات ، أو يتهم بعض القبائل بالأخذ بمبدأ شيوعية النساء . وتعدد الزوجات كان عادة شائعة عند الريبو والمشوش ــ كما رأينا ــ على عهد الفراعنة . وهى ظاهرة لم يعتدها مؤرخو الاغريق أو الرومان ، ولذلك أساءوا فهمها ، وبالتالى لم يحسنوا الحديث عنها . من ذلك ما ذكره هيرودوت من أن الرجل من النسامونيس كان له أن يتخذ عدداً من الزوجات وله فى الوقت نفسه أن يتصل بزوجات رفاقه فى القبيلة . وأشار كذلك الى عادة غريبة حين يقول أنه عندما يتزوج الرجل من النسامونيس للمرة الأولى كان على عروسه فى ليلة زفافها أن تضاجع كل رجال القبيلة ، وأنه على كل واحد منهم أن يقدم لها هدية أحضرها معه من منزله • وقد اتهم هيرودوت قبيلة الأوسيس بممارسة شيوعية النساء ، وقال ان الطفل عندما يكبر كان يعرض على مجلس القبيلة الذى يقرر نسبته لأقرب رجال القبيلة شبها به . ولا يتفق هذا القول مع ما ذكره هيرودوت نفسه عن اهتمام هذه القبيلة بالمحافظة على عذرية فتياتهم . ويرجح هذا ما نفهمه من أن الفتاة اذا لقيت مصرعها متأثرة بجراحها فى الحفل الذى يقام حول بحيرة تريتونيس للربة أثينا ، فان ذلك يعد دليلا على أنها فرطت فى عذريتها ، وأن موتها هو الجزاء الحق لاعتدائها على مقدسات قومها . ولكن شيوعية النساء عند بعض علماء الأنثروبولوجيا مرفوضة تماما . ولم تكن هذه العادة فى رأيهم لتوجد حتى بين أشد الشعوب بدائية ، ولا يمكن لمجتمع سوى أن يقبل هذا الوضع الا اذا كان مجتمعا منحرفا . ولابد وأن نسلم بوجود نوع من العلاقة أو الصلة بين الأبوين تدوم طويلا أو قليلا حتى بعد ولادة الطفل . ويرفض هذا الاتجاه ما ذكره هيرودوت وغيره عن شيوعية النساء ، ويصر هذا الفريق من العلماء على وجوب الاعتراف بوجود تنظيم معين تقوم عليه الأسرة وفى ظله يرتبط الابن بالأب ويعرف الابن

من والده[199] . وقد ذكر هيرودوت عادة غريبة أخرى انفرد بها الأدورماخيداى دون بقية الليبيين ، وهى أنه كان من الضرورى عرض فتيات القبيلة المقبلات على الزواج على ملك القبيلة ليختار من تروق له منهن فيزيل بكارتها • وقد يكون لهذه العادة اتصال بالناحية الدينية وأساسها الخوف من تحمل مسئولية فض بكارة الفتاة ، فلا بد من ترك هذه المهمة لملك القبيلة الذى لابد وأن كانت له سلطات دينية بالنسبة لأفراد القبيلة[200] • من المحتمل أن هيرودوت أو من نقل عنهم قد فهموا خطأ ما كان يحدث فى القبيلة ، اذ ربما كان الملك يختار لنفسه زوجات من بين فتياتها حديثات السن ، قادرات على القيام بخدمته • وقد ذكر هيرودوت عادة أخرى عند قبائل الجندانيس ، وهى أن المرأة عندهم كانت تلبس فى ساقيها حلقات من الجلد بعدد الرجال الذين اتصلوا بها ، ومن الصعب قبول هذا القول الا اذا اعتبرنا أن الفتاة كانت عن طريق اتصالها بالرجال تجمع ما يكفى ليكون صداقا لها تقدمه لمن يتقدم للزواج منها[201] .

على أى حال يجب أن نتحفظ ما أمكن عند قراءة كل ما كتبه هيرودوت عن العلاقات الجنسية بين رجال القبائل ونسائها سيما وأن المرأة كانت فيما يبدو تتمتع بمركز لا بأس به . وكانت تعنى عند القبائل الليبية بأطفالها . فهى التى تقوم بحرق عروق رأس الولد لمنع تعرضه لافرازات الرأس . ونضيف الى ما تقدم أنه فى مجتمع تسلطت عليه فكرة تقديس السلف ــ كما روى هيرودوت عن النسامونيس • لا بد أن تكون هذه الفكرة قد قامت من نظم زواج وروابط اجتماعية معينة يمكن عن طريقها تتبع تسلسل النسب بين أفراد هذا المجتمع .

وكانت السلطة فى القبيلة لرئيسها أو ملكها ، والى جانبه يوجد مجلس القبيلة المكون من كل الرجال الكبار • وكان المجلس يجتمع كما هو الحال بالنسبة لقبائل الأوسيس كل ثلاثة أشهر أى مرة فى كل فصل من فصول السنة[202] •

وقد أسلفنا أن قراب العورة كان يميز معظم الليبيين فى صورهم التى حفظت على الآثار المصرية • ولكن عن هيرودوت لا يقابلنا هذا النوع من اللباس • ولعله كان قد اختفى عند وصول الاغريق • ولم يخبرنا هيرودوت بشيء عن ختان الليبيين • ويبدو أن ليبيى هيرودوت قد استمروا فى لبس الملابس المصنوعـة من الجلد ، ولعل هذا هو ما كان يلبسه أفراد قبيلة الأدورماخيداى ، اذ قال هيرودوت أنه بالرغم من تمصرهم الا أنهم كانوا يلبسون ملابس الليبيين وكانت النساء تلبسن فوق أثوابهن جلد الماعز بعد نزع صوفه ، وكان له أهداب عند أطرافه ويلونونه باللون القرمزى •

وقد أعلن هيرودوت جهله بالأسلحة التى كان الليبيون يستخدمونها قبل قدوم الاغريق لبلادهم • وبالرغم من أنه تحدث عن عربات الجرامنتيس الا أنه لم يفصح عن نوع أسلحتهم رغم تأكيده أنهـم كانوا أقوياء ، كثير عددهم • وذكر أن الجامفازنيس لم يعرفوا الأسلحة على الاطلاق • ولكن لنا أن نفهم من الأسلحة التى كانت فتيات الأوسيس يستعملنها فى القتال خلال الحفلات الدينية ، والتى كانت عبارة عن هراوات وحجارة ، ان هذين هما السلاحان الرئيسيان عند الليبيين • ونضيف اليهما الرمح الصغير الذى قسوه بالنار ، والذى كان يستخدمه الليبيون فى جيش خشارياشاه (اكسركسيس)• ولما كان هيرودوت قد ذكر أن فتيات الأوسيس كن يلبسن خوذات كورنثية وعدة كاملة من الدروع الاغريقية ، فهل لنا أن نفهم من هذا أن الليبيين ، من هذه القبيلة على الأقل ، كانوا قد تعلموا استخدام هذا النوع من العدة الحربية أو أن أستعمالها كان مقصوراً على الحفلات الدينية فحسب ، خاصة وأنه لم يرد فى مصادر العصور التالية أى ذكر لأسلحة معدنية عند الليبيين ؟ على أى حال هذا لاينفى وجود أسلحة معينة يستخدمها الليبيون على نطاق ضيق مثل الخنجر الصغير وذلك بحكم اتصالهم بشعوب البحر الأبيض • ونفهم من هيرودوت أيضا أن الماكاى كانوا يستعملون التروس المصنوعة من الجلد وأنهم استخدموا العربات • ولعل الليبيين كانوا قد عرفوها نتيجـة لاحتكاكهم بجيرانهم المصـريين أو نقلوها عن الايجيين • والـذى يهمنا هوتسجيل أن

استخدام العربات شاع حتى فى دواخل ليبيا عند الجرامنتيس على سبيل المثال • وكان الليبيون فى الجيش الفارسى يختصون بقيادة العربات • والمعروف أن أهل قورينى أخذوا العربة عن الليبيين[٢٠٣] •

واذا أردنا نتعرف على آثار الحضارة المادية عند ليبيى هيرودوت ، فان هذا المؤرخ لايمدنا الا بالقليل من المعلومات التى لا تكفى لتكون فى أذهاننا الصورة الواضحة عن هذه الحضارة ، خاصة وأن المخلفات الأثرية تكاد تكون منعدمة فيما عدا بعض الأبنية المتواضعة فى خليج بومبا • وحتى هذه ، ربما كانت من عصر متأخر • وقد وصف منازل النسامونيس بأنها كانت تصنع من سيقان نبات ومن البوص ليسهل نقلها من مكان الى آخر • وتحدث عن المقابر التى كان النسامونيس يقسمون عندها ويلتمسون وحيها • وقد تحدث هيرودوت عن اهتمام النسامونيس بدفن موتاهم جلوسا • وقد سجل الرحالة التيجانى أن أحدى قبائل طرابلس كانت لا تزال تمارس هذه العادة ، وذلك فى القرن الرابع عشر • وفى اعتقاد هذه القبيلة أن ابن الميت يظل يتمتع بالرفاهية والاحترام طالما ظل أبوه مدفونا على هذا النحو[٢٠٤] •

ولا نستبعد أن يكون الليبيون قد استخدموا الأحجار فى بناء مساكنهم وقبورهم ، وان كانت لم تستطع مقاومة عوامل الفناء ومن الطبيعى أن نتصور أن الليبيين بعد أن ألفوا حياة الاستقرار اهتموا بانشاء مساكن ومخازن للغلال وحفروا الآبار • وقد ذكر هيرودوت أنه كان للبسولوى صهاريج لحفظ المياه • وحقيقة أنالأغريق والرومان فى برقة والفينيقيين ثم الرومان فى طرابلس اهتموا بانشاء خزانات للمياه ، ولكن يستبعد أن يكون تاريخها راجع لفترة سابقة على مقدم هذه العناصر الأجنبية الى أرض ليبيا •

ولم يرد فى نصوص هيرودوت شىء عن فن الموسيقا عند الليبيين القدماء سوى ما ذكره عن تلك الصيحات التى كانت النساء يطلقنها فى الحفلات • وهذه الصيحات تعتبر من الوجهة الأنثربولوجية نوعا من الموسيقا لعلها (الزغاريد) التى نألفها فى بلادنا • وهناك الى جانب هذه الصيحات أو الزغاريد رقصات ليبية مرتبطة بالربة أثينا فى بحيرة تريتونيس[٢٠٥] •

ويوضح هيرودوت الى حد ما معتقدات الليبيين الدينية • وكان من أبرزها عبادة مظاهر الطبيعة • ولا بد وأن نفترض أنه كان لنبع أبوللون وغيره من الينابيع قدسيـــة خاصـــة عند الليبيين قبل مجيء الاغريق[٢٠٦] ومن قصة البسولوى مع الريح يمكن أن نستنتج أن هؤلاء القوم كانو يخشونها[٢٠٧] وان كانوا قد جرءوا على تحديها ومحاربتها ، غير أن افتعال القصة واضح • وكان النسامونيس يقدسون أرواح أسلافهم Manes ويقسمون بها ، ويزورون قبورهم ويلتمسون وحيها • وأورد هيرودوت وصفاً شيقاً لطريقة النسامونيس عند أخذ العهود والمواثيق ، اذ كان من عادتهم عند أخذها أن يشرب كل من المتعاهدين من يد الآخر ، واذا لم يكن لديهم سائل فانهم يأخذون التراب ويلعقونه ، وهذه عادة تدخل فى باب السحر ، وتعنى أن أحد الطرفين يعطى نفسه للآخر[٢٠٨] •

وقـــد ذكر هيرودوت أن الاغريق استمدوا معرفتهم لبوسيدون رب البحر من الليبيين • الذين أولوا هذا الرب التشريف والتمجيد ، وأن الليبيين هم الشعب القديم الوحيد الذى كان عنده اله بهذا الاسم[٢٠٩] وهذه ملاحظة مهمة ، اذ تشير بوضوح الى وجود اله من آلهة البحر اكتسب شهرة واسعة بين ليبيى الساحل فى القرن الخامس قبل الميلاد • وكانت تقام لهذا الاله الطقوس الدينية حول بحيرة تريتونيس[٢١٠] ومن الصعب الجزم ما اذا كان هذا الاله ليبيا أم هو واحد من الآلهة التى يفترض أن شعوب البحر تكون قد أتت بها معها الى ليبيا • وقد ذكر هيرودوت أن الليبيين حول هذه البحيرة يعبدون رباً باسم تريتون ، وفى أسطورة الأرجو قاد هذا الاله بطل الأسطورة ياسون فى المناطق الضحلة بالبحيرة من أجل الحصول على المقعد ذى القوائم الثلاث • وبذلك يكون تريتون معبوداً محليا ، ونشاطه محدوداً بمنطقة معينة ويقرنون به الربة تريتونيس التى حملت بالربة أثينا من الاله بوسيدون[٢١١] •

وقد لاحظ هيرودوت أن كل الليبيين كانوا يقدمون القرابين للشمس والقمر وليس لأى اله آخر ، ووصف طريقة تقديم هذه القرابين ، فكانت الطقوس تبدأ بقطع أذن الضحية ، والقائها على مساكنهم ، ثم يقتلون الحيوان

بلى رقبته • ولما كانت عبادة القمر عبادة فينيقية ، فانه من الراجح أن تكون قد انتقلت الى الليبيين عن طريق المدن الفينيقية فى طرابلس • أمـا عبادة الشمس فهى ديانة وطنية أكدتها صورة الثور الذى يحمل قرص الشمس بين قرنيه• والثور هنا يقرن بالاله آمونرع المصرى • ولعل عبادة هذا الاله ، كما أسلفنا كانت عبادة محلية فى سيوة ثم انتشرت عبادته من هـذه الواحة الى ليبيا ، وذهبت بعيداً الى منطقة الجرامنتيس[٢١٢] •

وقد تحدث هيرودوت عن الربة أثينا فى بحيرة تريتونيس ، وقد أسلفنا أنها تقرن بعبادة الربة الليبية نيت بالرغم من أن هذا المؤرخ قد أعطاها الصورة الاغريقية بوصفها ابنة بوسيدون والربة تريتونيس[٢١٣] •

هذا ما كان من شأن القبائل الليبية التى وجدها الاغريق عند قدومهم الى برقة ، والفينيقيون عندما أقاموا مراكزهم التجارية على الساحل الشمالى لطرابلس ، وبينما احتك الاغريق بالليبيين فى برقة واتسمت علاقاتهم بالتوتر ، كان الفينيقيون على العكس من ذلك قدقنعوا بمراكزهم التجارية ولم يتدخلوا بكثير أو قليل فى حياة الليبيين ، وخاصة قبيلة الجرامنتيس • وبينما انتقل حكم برقة الى البطالمة حوالى عام ٣٢٢ ق•م• كانت قرطاجة لا تزال تبسط سيطرتها على المدن الفينيقية الثلاث فى طرابلس •

واذا سلمنا أن سكيلاكس **Skylax** قد كتب حوالى عام ٣٢٠ ق•م•[٢١٤] فان توزيع القبائل الليبيـة على حسب هـذا المصدر فى العصر البطلمى تكون على النحو التالى:

١ — الأدورما خيداى وموطنهم فيما يلى مصر غربا حتى مدينة أبيس (زاوية الرخم الى الشرق من السلوم) ولا تزال الصفة المصـرية غالبة عليهم •

٢ — المارماريداى **Marmaridae** الى الغرب من القبيلة السابقـة وتنتشر فى داخلية برقة حتى تقترب مواطنهم من خليج سرت •

٣ ــ النسامونيس ، وموطنهم شرق خليج سرت الكبير فى الجنوب الغربى من برقة ، ويمتد حتى مذبح الأخوين فيلاينى Philaenorum Arca

٤ ــ الماكاى ومواطنهم تقع الى الغرب من مواطن النسامونيس وتمتد حتى نهر كينوبس •

٥ ــ أكلــة اللوتس وتمتد مواطنهم من نهر كينوبس الى جنتشيس Gichthis المواجهة لجزيرة جربة •

ويلاحظ أن اسم المارماريداى يظهر لأول مرة عند سكيلاكس • وقد أعطوا اسمهم الى الاقليم الذى أقامو فيه وصار يعرف باسم مارمريكا أو المرمريق • ويلاحظ ايضا أن اقليم مارمريكا قد شمل مواطن قبيلة الجيليجاماى والأسبوستاى والأوسخيساى والبكاليس • أما اسم البسولوى فقد اختفى عند سكيلاكس ؛ فهل يعنى اختفاء أسماء القبائل التى وردت عند هيرودوت ، أنها قد ذابت فى شعب المارماريداى أم أن هذا المصدر أغفل ذكرها اكتفاء بذكر المجموعات الكبيرة ؟ على أية حال فان أسماء هذه القبائل ستعود الى الظهــور مرة أخرى فى مصادر العصــر الرومانى مما يرجح أن مصدرنا «سكيلاكس» قد اكتفى بالفعل بذكر أسماء المجموعات الكبيرة •

ومعلوماتنا عن ليبيى برقة فى العصر البطلمى نقف عليها من عدة مصادر • من بينها نقش من قورينى مؤرخ بالقرن الثالث قبل الميلاد • ويتحدث النقش عن أن خمسة من قواد قورينى ، احتفالا بنصر أحرزوه فى حرب خاضوها ضد قبائل الماكاى والنسامونيس أهدوا أبوللون عشــر الغنائم ، وشيدوا مبنى الستراتيجيوم فى قورينى بمناسبة هذا الانتصار •

وتحدثنا المصادر الأدبية عن أن ماجاس ، وهو أخ غير شقيق لبطلميوس الثانى فيلادلفوس ونائبه فى حكم قورينى ، أعلن استقلاله ببرقة وحالف ألطيوخوس الأول وزحف على مصر فى عام ٢٧٤ ق•م• وكاد أن يصل الى الاسكندريــة ولكنه توقف بالقرب من مرسى مطروح اذ كانت أرسنوى زوجة بطليموس قد نجحت ، بما جبلت عليه من براعة سياسية ، فى تحريض

قبائل المارماريداى على الثورة ضد ماجاس ، فكان عليه أن يعود بسرعة الى برقة حتى لا يفقد عرشه .

ومن مصادر مصر البطلمية نعرف أن فرق الفرسان الليبية فى جيش الملك بطلميوس الرابع فيلوباتور قد أسهمت فى احراز النصر فى موقعة رفح المشهورة فى عام ٢١٧ ق.م. والتى أنقذت مصر من الوقوع فى يد أنطيوخوس الثالث والتى كانت لها أيضاً نتائج بعيدة المدى بالنسبة للأوضاع الداخلية فى مصر نفسها . وكان جيش البطالمـه يضم ثلاثـة آلاف من الليبيين مسلحين مثل المقدونيين وكان يقودهم قائد اغريقى من مدينة برقة (المرج) يدعو أمونيوس.

وفى فترة الصراع بين بطلميوس السادس وبطلميوس الصغير (فيمـا بعد بطلميوس الثامن يورجتيس الثانى) حوالى ١٦٣ ق.م. ذهب الأخير الى روما وتـرك سومبيتيسيس Sympetesis وهو ليبـى ، نائبا عنـه فى حكم قورينى . وقد اتخذ لنفسه اسم بطلميوس . وانتهز هذا الأخير فرصة تغيب الملك فأشعلها ثورة ضده ، وحالفه فيها مدينة قورينى والمدن الأخـرى والليبيون الذين كانت قوتهم قد تزايدت مما اضطر بطلميوس الصغير الى العودة لاستعادة مكانته فى قورينى التى أعاد فتحها من جديد[٢١٧] .

وقد تحدث الشاعر لوكان Lucan فى (فارساليا) Pharsalia عن الليبيات الشقراوات اللائى كن فى خدمة الملكة كليوباترة[٢١٨] . وقد روى أن أكتافيان استدعى أحد أفراد قبائل البوسولوى فى محاولة لانقاذ كليوباترة من سم الثعبان ولكنه لم يفلح على غير عادة البوسولوى[٢١٩] .

وفيما يتعلق بوضع الليبيين القانونى أو الدستورى فى العصر البطلمى فاننا نعرف أن الدستور المنسوب الى بطلميوس الأول قد نص على زيادة عدد أعضاء هيئة المواطنين العاملـين Politeuma الاغريقية من ألف الى عشرة آلاف . وأدخل فى عدادهم أبناء السيدات الليبيات من آباء اغريق وذلك فى المنطقة الممتـدة من كاتاباثموس (السلـوم) شـرقا وأتومالاكس Automalax بالقرب من العقيلة غربا [٢٢٠] . وهذا يعنى اعتراف البطالمة ضمنا

بأهمية العنصر الليبى . ونرجح أن الليبيين ظلوا متمسكين بنظامهم القبلى وأنهم شاركوا فى حياة القرى المنتشرة فى ريف برقة .

فلابد أن يكون لليبيين — فى ظل نظام الحكم البطلمى — دورهم كمزارعين وأجراء فى أرض المدن أو فى الأراضى الملكية . وبالرغم من أنه لم تصلنا تفاصيل ذات شأن عن النظم الادارية والاقتصادية التى سنها البطالمة لبرقة ، الا أنه ليس من المتعذر قياس الأوضاع فى برقة على ما كان جاريا فى مصر نفسها . وبذلك يمكن تصور وجود طبقة من الفلاحين الملكيين من الليبيين الى جانب الفلاحين أو المزارعين العاديين ، والعاملين فى الرعى والمهن المتصلة باحتكارات الملك[٢٢١] .

وفى الفترة المقابلة لحكم البطالمة فى برقة كانت المدن الطرابلسية الفينيقية ماضية فى تدعيم علاقاتها بالقبائل الليبية فى الداخل . وقد زاد نشاط التجارة دون شك نتيجة لسياسة هذه المدن الودية تجاه هذه القبائل اذ لا نسمع عن أية اضطرابات أو مصادمات بين القبائل الليبية ومدن الساحل ، لذلك نرجح أن تلك القبائل استمرت تمارس حياتها بحرية تامة . بل ربما أنها تكون قد أفادت من مشاريع الفينيقيين الزراعية من ادخال وسائل الرى الحديثة والمحاصيل التى لم تكن طرابلس تعرفها من قبل . وقد أشار استرابون الى وجود خزان ماء فينيقى فى وادى كعام . وادخال المحاصيل الجديدة مثل الزيتون وانتشار الزراعة الفينيقية لابد وأن يكون نتيجة تعاون مشترك مع الليبيين . ونعيد ما أسلفنا ذكره من مساعدة قبائل الماكاى لقرطاجة . فى الاطاحة بمستعمرة دوريوس التى أنشأها فى وادى كعام[٢٢٢] .

وفى عام ٩٦ ق.م. آلت برقة تركة خالصة للشعب الرومانى بعد وفاة بطلميوس أبيون آخر ملوك برقة البطالمة وطبقاً لوصيته المشهورة[٢٢٣] . وحوالى عام ٤٧ ق.م. كانت المدن الطرابلسية قد تحولت الى مدن تابعة لروما بعد أن كانت حليفة لها[٢٢٤] . وبذلك شمل الحكم الرومانى ليبيا بشطريها برقة وطرابلس .

ونستمد معلوماتنا عن القبائل الليبية فى العصر الرومانى من كــل من استرابون وديودورس الصقلى وبلينى الأكبر (القــرن الأول الميــلادى) وبطلميوس الجغرافى (القرن الثانى الميلادى)[٢٢٥] . وسنقتصر على ذكر قوائم بأسماء القبائل الليبية الهامة عند هؤلاء الكتاب مع مقارنتها بقائمتى هيرودوت واسكيلاكس وذلك على النحو التالى :ـــ

هيرودوت	سكيلاكس	استرابون	ديودورس	بلينى	بطلميوس
				أهل مريوط	أهل مريوط
					النيتروتاى (فى منطقة وادى التطرون)
				الليبيون المصريون	الليبيون المصريون
الأدورماخيداى	الأدورماخيداى	الأدورماخيداى		الأدورماخيداى	الأدورماخيداى
الجيليجاماى					
الأسبوستاى		الأسبوستاى			الأسبوستاى
		الليبيون الهيسبيراتاى			
	المارماريداى	المارماريداى	المادماديداى	المارماريداى	المارماريداى
الأوسخيسياى			الأوسخيساى		
البكاليس					
النسامونيس	النسامونيس	النسامونيس	النسامونيس	النسامونيس	النسامونيس
البسولوى	البسولوى	البسولوى	البسولوى	البسولوى	البسولوى
الماكاى	الماكاى	الماكاى	الماكاى	الماكاى	الماكاى
		الليبيون الفنيقيون	الليبيون الفينيقيون	الليبيون الفينيقيون	الليبيون الفينيقيون
أكلة اللوتس	أكلة اللوتس	أكلة اللوتس		أكلة اللوتس	أكلة اللوتس
		الجيتوليون		الجيتوليون	
				الجامفادانتيس	
الجرامنتيس		الجرامنتيس			
الجامفازانتيس					
				الفزانى	

ويلاحظ من هذه القوائم استمرار وجود القبائل الليبية الكبرى فى مصادر العصر الرومانى حتى القرن الثانى الميلادى . وهـذه القبائل هى : الأدورماخيداى والمارماريداى والأوسخيساى والأسبوستاى والنسامونيس والبسولوى والماكاى وأكلة اللوتس والجرامنتيس •

ويلاحظ أيضا ظهور أسماء جـديدة مثل الليبيين المصريـين والليبيين الفينيقيين . وهذه أسماء صفات أكثر منها أسماء أجناس ويظـن أن الليبيين المصريين كانوا يقيمون فى الواحات جنـوب وادى النطرون ، وأن الليبيـين الفينيقيين انتشروا من رأس مصراته الى شرق قرطاجة •

والى جانب الأسماء السابقة ظهرت أسماء قبائل جديدة مثل الجيتوليين. وهؤلاء كانت مواطنهم جنوب مواطن الليبيين الفينيقيين وفى شمـال غرب منطقة الجرامنتيس ، وقبائل الفزانى ، وهؤلاء كانت مضاربهم شمال المنطقة الأخيرة .

وتكشف مصادر العصر الرومانى المتأخـر عن استمرار وجـود قبائل المارماريداى والماكاى والنسامونيس • وقد استمرت هذه القبائل أيضا الى ما قبل الفتح العربى لليبيا[٢٢٦] .

وتضيف مصادر العصر الرومانى مزيدا من المعلومات عن الليبيين الذين كان على روما مواجهتهم . ويفهم منها أن هؤلاء الليبيين استمروا فى ممارسة مهنهم الأساسية من زراعـة ورى . وقـد استمرت عنايتهم بتربية الخيـل وتدريبها . وقد برع الليبيون فى ركوبها وهى غير مسرجة . وقد أولى رؤساء القبائل تربية الخيل كل عنايتهم[٢٢٧] .

وقد استمر ليبيو العصر الرومانى فى أكل الجراد على النحو الذى وصفه هيرودوت ، كما أن الليبيين المقيمين حول خليج سرت اعتادوا أكل الأسماك التى تتخلف على الشاطىء أثناء حركة الجزر • وربما كانوا يأكلون المحار كذلك[٢٢٨] .

ولم يتوقف نشاط الجرامنتيس فى نقل السلع من الداخل الى المراكز التجارية على الساحل . وربما يكون نشاطهم قد ازداد ازاء زيادة حجم تجارة هذه المراكز بعد أن آل أمرها الى الرومان . وكثيرا ما كان التجار وأصحاب القوافل عرضة لأعمال القرصنة وقطع الطرق من قبل بعض القبائل ، التى كان لها معاقل يشنون منها هجماتهم ويحتفظون فيها بأسلابهم وغنائمهم . ويحدثنا ديودورس الصقلى عن طائفة من الليبيين كانت لا تلتزم بالطاعة للملك ، ولا تهتم باقامة العدالة . وكان أفرادها يعيشون على النهب والسلب ويشنون هجمات مفاجئة غير متوقعة من مراكزهم عبر الصحراء ثم ينسحبون سريعا من حيث أتوا وكانوا يغطون أجسامهم بجلود الماعز ولم تكن لهم مدن أو قرى بل كانوا يقيمون أبراجا بجوار منابع الماء ويحفظون أسلابهم بها . وكانوا يتسلحون بثلاثة رماح وقطع من الحجر يضعونها فى حقائب من الجلد ولم يستعملوا السيوف ولم يلبسوا الخوذات اذ كانوا يستهدفون التفوق فى السرعة والانقضاض . وكانوا قساة فى معاملة أعدائهم يذبحونهم ويسفكون دماءهم ويعاملونهم معاملة اللصوص[٢٢٩] .

وقد اهتم الرومان — كما سنرى فيما بعد — بتأمين طرق القوافل ضد اعتداءات قطاع الطرق وربما يكون الجرامنتيس قد اقتنعوا بالتعاون مع الرومان لتحقيق هذا الهدف .

ولم يقتصر تهديد طرق التجارة على الداخل بل امتد هذا التهديد الى الساحل وكان النسامونيس على سواحل خليج سرت يقومون بالتعرض للسفن واغراقها[٢٣٠] . ولعل الحملة التى وجهت ضدهم على عهد الامبراطور دوميتيانوس — كما سيلى — كانت تستهدف القضاء على هذه القرصنة الى جانب الزامهم بعدم ترك مراكزهم تسهيلا لمهمة جباة الضرائب وملتزميها .

ويبدو أن رجال القبائل من الليبيين قد اقتنعوا باقامة مراكز يدفع عندها رجال القوافل نوعا من المكوس أو الأتاوات وهذا مورد دخل أضمن وأفضل مما يمكن الحصول عليه عن طريق النهب والسلب[٢٣١] .

ومن مصادر العصر الرومانى يمكن أن نتبين فيما يتعلق بالمجتمع والأسرة والقبيلة استمرار بعض المظاهر الأساسية التى عرفناها عند هيرودوت من تعدد الزوجات واحترام مكانة المرأة والأهمية التى كانت لرؤساء القبائل الذين وصفوا بأنهم ملوك . والى جانبهم يوجد جماعة الحكام والكبار[٢٣٢] .

وقد استمرت مظاهر حضارتهم ، فى غالبيتها قائمة فى العصر الرومانى . وقد وصف استرابون الرداء الطويل الذى يلبسه ليبيو عصره بأنه لم يكن محبوكا على الجسم وأنه كانت له أطراف عريضة . واستمر كذلك استخدام الليبيين للملابس المصنوعة من الجلد[٢٣٣] . وفى رسوم سلنطة ، وهى من صنع مجتمع ليبى فى العصر الرومانى ، نرى النساء يلبسن مئزرا ينسدل من الخصر حتى القدمين[٢٣٤] .

ولم تذكر مصادر العصر الرومانى شيئا عن معادن ليبيا ويبدو أن الأسلحة التى استعملها الليبيون فى العصور السابقة ظلت مستعملة فى هذا العصر كذلك . وهذا ما نستطيع أن نتبينه مما ذكره «ديودورس» عن أسلحة تلك الطائفة من الليبيين التى كانت ترتكب أعمال النهب وقطع الطريق[٢٣٥] .

واستمر الليبيون فى العصر الرومانى فيما يبدو فى سكنى منازل بسيطة . هى فى الواقع مساكن متنقلة وهى المعروفة باسم **Mapalia** عند الكتاب الرومان . وكانت فى الغالب مصنوعة من فروع الأشجار على نحو ما وصفه هيرودوت بالنسبة لمساكن النسامونيس . ويرجح أن الخيام المصنوعة من الجلد ، والتى كان يستخدمها ليبيو الدولة الحديثة استمرت مستعملة حتى العصر الرومانى . وهناك منازل ثابتة أشار اليها بلينى . وكان هيرودوت قد ذكرها عند حديثه عن الجرامنتيس . وعند هذين الكاتبين كانت هذه المنازل تصنع من أحجار الملح[٢٣٦] .

ونعرف من مصادر العصر الرومانى أن الليبيين كانوا يقدسون مظاهر الطبيعة المختلفة مثل ليبى هيرودوت . وكانوا يتصورون وجود أرواح وجن

وشياطين مختفية تحت الحجارة أو فى الآبار وعيون الماء . وكانوا يرصـــدون الكواكب والنجوم بل ان الامبراطور سيبتيميوس سيفيروس ، وهو من لبدة كما نعرف ، كان مهتما بهذا الفن . واستمرت عادة تقديس أرواح الأجداد على نحو ما عرفنا عن النسامونيس[٢٣٧] .

وكان الليبيون يمارسون السحر . وقد يدخل فى هذا الباب ما عرف عن البوسولوى من قدرتهم المدهشة على سحر الثعابين والشفاء من لدغاتها . ويقول بلينى أنه فى أجسام هؤلاء القوم نوع معين من السم قاتل للثعـــابين ورائحة هذا السم التى تفوح من أجسامهم ، كافية لاصابة الثعبان بالخـــدر وتسلمه الى الاستكانة ، وأنه كان من عادتهم تعريض أبنائهم فور ولادتهم لأشد أنواع الأفاعى فتكا اثباتا لوفاء زوجاتهم ، فاذا لم تنفر الافعى من الوليد فهذا دليل على شرعية مولده . وقد عرفنا عن البوسولوى هذه القـــدرة على الشفاء من عضات الثعبان ولدغة العقرب ، حتى أن أكتافيان ، كما أسلفنـــا استعان بواحد منهم لينقذ كليوباترة وان كان هذا الليبى لم ينجح فى مهمته . وكانت من عادة هؤلاء القوم أنه اذا عضت حية قرناء شخصا ما أن يبصـــق أحدهم مكان العضة . واذا كانت العضة خطيرة فان الشخص المعالج كان يمضمض فمه بماء يسكبه فى كأس ويدفعها الى المصاب ليشرب منه . أمـــا اذا ساءت حال المصاب ولم تجد الوسائل السابقة فانه كان يرقد ملتصقا به . وبماله من قوة خاصة يستطيع أن يقهر السم[٢٣٨] .

وكان السحر الأسود معروفا عند الليبيين كذلك ، كما هو الحال فى كل شمال أفريقيا . وقد ساد بينهم الاعتقاد بالعين الشريرة . وتتردد الأقوال عن وجود بعض الأسر الليبية من السحرة أو المشعوذين الذين لهم القـــدرة بفضل نوع من التعاويذ أو الرقى — أن يهلكوا الماشية وأن يصيبوا النخيل بالذبول وأن يميتوا الأطفال [٢٣٩] .

وقد استمر النسامونيس فى دفن موتاهم جلوسا[٢٤٠] . ولكنهم كانوا أيضا يلقون بموتاهم فى البحر . وقد يفسر ذلك بوجود بعض رواسب الماضى عندما كانت شعوب البحر تنزل بسواحل ليبيا أو قد تفسر بأن النسامونيس

كانوا يحصلــون من البحر على أرزاق كثيرة ولذلك يجب أن تعــود اليه أبدانهم[٢٤١] .

وقد كان الجرامنتيس يهتمــون بقبــور موتاهــم التى تنتشر فى وادى الآجال وهى مشيدة من الحجر . فى حين أن مساكنهم لم تكن غير الخيــام . وهناك ما يدل على وجود موائد القرابين التى تقــدم للموتى عند دفنهم . ويلحق بالقبور من الخارج مائدة قرابين من الحجر . وكانت أسرة الميــت تستخدمها بعد اغلاق المقبرة[٢٤٢] .

وقد اهتم الليبيون بصفة عامة باقامة المقابر أو الأضرحة ، وكانت توجد فى كل مناطق طرابلس الرومانية . والموجود منها على الساحل مهدم وليس فى حالة جيدة . أما الموجود منها فى الداخل ، فيعــد نموذجا حسنا للأضرحــة الليبية وهى كثيرة فى الجبل وفى الوديان الجنوبية حيث توجد مزارع أهل الثغور العسكرية . وتنقسم هذه الأضرحة الى نوعين : نوع من المقابر من طراز المعابد ، ونوع آخر على شكل المسلة . وأحسن نماذج النوع الأول ضريح جرزة الذى شيده شخصان هما نيميرا **Nimira** وفيضيل **Fedel** من أجل والديهما ناصف **Nasif** وماثليتش **Mathlich** وتاريخ هذا الضريح يعود الى القرن الرابع الميلادى . وفى قصر أم الأحمد **Umm el - Ahmed** فى وادى نقد ضريح يؤرخ بالقرن الثالث الميلادى وهو من نوع المسلة[٢٤٤] .

ومن المهم أن نذكر أن عبادة الاله آمون استمرت محتفظة بمكانتهــا لدى ليبيى العصر الرومانى ذلك أن أحد رجال القبائل الليبيــة ويــدعى تاكساف **Taksaph** عهد الى مهندس معمارى رومانى بأن يشيد هيكلا صغيرا للاله آمون فى مرتفع ترهونة وسجل أنه كرس هذا الهيكل لعبــادة آمون وذلــك فى نقش باللغة الفينيقيــة الحديثة يعــود تاريخــه الى عام ١٥ — ١٦م[٢٤٥] .

وبعد أن آلت برقة الى روما فى عام ٩٦ ق.م. عهد بادارتها الى مجلس الشيوخ الرومانى ، الذى اكتفى بضم الأراضى الملكية وترك للمدن حريتها .

ولكن ذلك أسلم هذه المدن لأعمال العنف والطغيان . وتعاقب على حكم برقة فى تلك الفترة نفر من الطغاة مثل «فايديموس» . وقد قتله «نيكوكراتيس» ، وحل محله كطاغية للمدينة . وتزوج من السيدة «أرتافيلا» ، أرملة الطاغية القتيل . ولكنها أقنعت « لياندر » ، شقيق زوجها الطاغية الجديد بقتله . بيد أنه ازاء قسوة «لياندر» استعانت «أرتافيلا» بزعيم قبيلة ليبية مجاورة ، يسمى « أنابو » ، الذى لم يتردد فى دخول المدينة برجاله[٣٤٦] . وهكذا استمر تدخل الليبيين فى المدينة فى الفترة ما بين عامى ٩٦ و ٧٥ ق.م. ولانستبعد أن الليبيين انتهزوا فرصةالاضطراباتالداخلية السائدة فوضعوا أيديهم على بعض الأراضى الملكية ، كما فعل الاغريق . وكانت الحكومة الرومانية تحاول استرداد هذه الأراضى وطرد هذه العناصر منها . وربما ترتب على ذلك صدام بين القوات الرومانية وبين هؤلاء الليبيين ، وان كانت مصادر هذه الفترة من العصر الرومانى لا تفصح عنها . ولكن « استرابون » نص على أن سكان برقة كانوا يتكونون من عدد من العناصر، التى كان من بينها عنصر المزارعين Georgoi وهؤلاء غالبا ما كانوا ليبيين من بقايا طبقة المزارعين على عهد البطالمة .

وعندما آل أمر روما وامبراطوريتها الى الأمبراطور أغسطس فى عام ٢٧ ق.م. وزع حكم الولايات بينه وبين مجلس الشيوخ الرومانى . وقد ألحقت برقة بجزيرة كريت ، وكونتا معا ولاية مزدوجة من جديد اذ كانتا تكونان هذهالولاية من قبل فى عام ٦٧ ق.م.[٢٤٧] وعهد بحكم الولاية المزدوجة الجديدة الى مجلس الشيوخ . أما فى الشق الغربى من ليبيا ، فقد ضمت طرابلس الى ولاية أفريقيا . وعهد بادارة هذه الولاية أيضا الى مجلس الشيوخ[٢٤٨] .

وكان على الحكم الرومانى الجديد على عهد الامبراطور أغسطس مواجهة ثورات القبائل الليبية فى مارمريكا والوقوف فى وجه الخطر القادم من منطقة سرت ، حيث كانت قبيلة النسامونيس القوية . وكان على روما أن تحتل افريقيا احتلالا عسكريا صريحا ، لأن هذه هى الطريقة الوحيدة

لحماية الوجود الرومانى فى هذه المنطقة . وفعلا خضعت كل المنطقة الشمالية الساحلية من لبدة حتى الأطلنطى لحكم روما . وكان من السهل على روما أن تتعامل مع القبائل الليبية ، التى تقيم فى مناطق قريبة من الساحل ، والتى كانت قد ألفت حياة الاستقرار والزراعة . وكان النسامونيس فى شرق طرابلس ، يقومون بتحركات موسمية ، كما عرفنا عند هيرودوت ، ولم تعجب هذه التحركات جباة الضرائب وملتزميها من الرومان ، اذ كان يهمهم بقاء القبائل فى أماكن ثابتة لتسهل عملية جباية الضرائب . وعمل الرومان على أن يحلوا محل قرطاجة ، ومن ثم ورثوا علاقاتها التجارية مع الجرامنتيس ، تلك القبيلة القوية ، التى قال تاكيتوس عنها أنه لا يمكن قهرها . وقد انتشرت مواطن الجرامنتيس فى العصر الرومانى من فزان الى منطقة ملاصقة لخليج سرت . وربما كانت منطقة انتشارهم قد امتدت جنوبا بشرق حتى وادى النيل . وبفضل عددهم الضخم واتساع رقعة منطقتهم جغرافيا ، اكتسبوا مكانة ممتازة فى هذه المنطقة التى انتشروا فيها . وقد جمعوا الى عملهم كوسطاء فى نقل المتاجر الى الساحل ، امتهانهم للزراعة والرعى . وكان الجرامنتيس فى الوقت نفسه يقومون بهجرة موسمية من مناطقهم فى فزان والصحراء الواقعة فى شمالها الى المناطق المرتفعة الواقعة الى الشمال من منطقتهم ، حيث المكان المناسب لرعى ماشيتهم . وأراد الرومان أن يكونوا القوة الوحيدة فى هذه المناطق ، التى اعتاد الجرامنتيس التنقل فيها بحرية . وهذا ما لم يتحمله هؤلاء القوم . وكان الجيتوليون قد سبقو بالثورة ضد روما . وبادر الجرامنتيس الى مساعدتهم . وهذا فى حد ذاته تحد صارخ لروما . وسواء أكان هذا هو السبب المباشر لحدوث الفرقة بين روما ، وبين هذه القبائل ، أم انه كان مجرد مبرر لها ، فان الصدام بين القوتين كان لابد وأن يقع . وفى عام ١٩ ق.م. قاد البرو قنصل « لوكيوس كورنيليوس بالبوس» **Lucius Cornelius Balbus** ، وهو من مواطنى مدينة قادش بأسبانيا ، حملة تحركت بسرعة الى فزان ، حيث أخذت الجرامنتيس على غرة . وقد قص بلينى أنباء هذه الحرب وتفهم منه أن مدنا للجرامنتيس وقعت فى يد

الرومان ، وهى جراما ، عاصمة الجرامنتيس ومعقلهم وواحـة كيداميس (غدامس) ، وثالجاى وديبريس . وقد كرم بالبوس بأن أقيـم له حفـل للنصر . وفى موكب النصر عرضت الى جانب كيداميس وجراما أسماء ونماذج لكل الشعوب الأخرى ومدن فزان ، يهمنا منها جبل « جورى » Gyri وكان يسبق هذا الاسم نقش نص فيه على أن هذا الموقع كانت تستخرج منه الأحجار الكريمة .

ويعتبر نجاح بالبوس من الأهمية بمكان ، اذ لم يسبق لروما أن نقلت الحرب الى قلب الصحراء . وكان عليه أن يسير ثلاثين يوما فى منطقة ينـدر فيها الماء قبل أن يبلغ معاقل الجرامنتيس فى فزان . ومن الصعب التعرف على المدن التى ذكرها بلينى ، وخصوصا جبل «جورى» الذى ذكر أنه موطن انتاج الأحجار الكريمة ، اذ أن ذلك يكشف عن طبيعة تجارة الجرامنتيس وأهميتها .

ومن المحتمل أن هدف الحملة كان تحطيم قوة الجرامنتيس واشعارهـم بقوة روما ، ولكن تحطيم قوة الجرامنتيس لم يكن بالأمر السهل ومع ذلك فقد كان نجاح بالبوس فى مهاجمتهم فى عقر دارهم ، وهذا أمر لم يتوقعوه من قبل ، وما خلفـه بالبوس وراءه من آثار التخريب والتدمير ، صدمة عنيفـة لهم وانذارا لهم أنه ليس من السهل تحدى قوة روما العسكرية . فكان عليهم بعد ذلك أن يكونوا على حذر من التدخل فى كل ما من شأنه أن يغضب روما ، وهذا الحذر جعلهم يسهمون فى أوجه النشاط المعادى للرومان والذى كان يبذله جيرانهم ، من ذلك مثلا أنهم أمدوا قبائل المارماريداى فى برقة بمساعدتهم ، وجاءت قوات منهم تشد أزرهم[٢٤٩] . وتصدى لهذا الهجوم المشترك على برقة «بوبليكوس سولبيكيوس كويرينيوس» ، بروبرايتور ولاية كريت وبرقة .

وقد عثر فى قورينى على نقش يتحدث عن نهايـة حرب مارمريـكا Polemos Marmarikos وعلى نقش آخر يتحدث عن تكريم أحد مواطنى المدينة ، لأنه فى (حرب مامريكا) جابه الخطر وصد الهجوم ، الذى تعرضت

له المدينة . وقد يفهم أن النقشين انما يتحدثان عن حرب واحدة أو عن حربين ضد المارماريداى . ولا يعرف ما اذا كان النقش الأول يتحدث عن الحملة التى قادها سو لبيكوس كويرينيوس ، أم أن روما كانت تخوض سلسلة من الحروب لتخضع قبائل المارماريداى ، التى بدا خطرها واضحا فى العصر البطلمى . وبذلك يكون النقش الأول مجرد تعبير عن تفاؤل الرجل الذى قام بنقشه . ويرجح البعض أن الحرب وقعت فى عام ٢٠ ق.م. ويؤرخها البعض الآخر بعام ١٥ ق.م. فاذا كان التاريخ الأول صحيحا ، فان حملة سولبيكيوس كويرينيوس» كانت مرتبطة بحملة بالبوس ضد الجرامنتيس فى فزان . واذا سلمنا بذلك ، فان هذا يعنى أن المارماريداى شنوا هجومهم على برقة فى الوقت الذى كانت فيه قبائل الجرامنتيس تتحدى سلطة روما فى طرابلس وتدعم ثوة قبائل برقة . وكان لا بد من تنسيق العمليات العسكرية ضد هذه القبائل مجتمعة .

وهناك رأى ثالث يؤخر تاريخ هذه الحرب الى عام ١٢ م. اذ أن «كويرينيوس» كان يتقلد القنصلية فى تلك السنة . وصادف أنه فى ذلك التاريخ كان فى اجدابيا جند رومان حاربوا فى سوريا ، فلعله أتى بهم عندما كان يعمل قائدا هناك . وقد يدعم من رأى القائلين بهذا التاريخ أن المؤرخ «فلوروس» **Florus** كتب عن حملة قادها «كويرينيوس» ضد المارماريداى والجرامنتيس ، وعن حملة أخرى قادها «كورنيليوس كورسوس» ضد قبائل الجيتوليين والموسولامى **Musulamii** وهذه الحملة كانت فى عام ٦ م. وعلى كل حال كان على قورينى أن تكون على أهبة الاستعداد لمواجهة كل خطر قد يأتيها من المارماريداى أو من حلفائهم الجرامنتيس . وقد عمل البروقنصل بروكولوس على تقوية تحصينات المدينة[٢٥] .

وفى عهد الامبراطور تيبريوس ثارت قبائل الموسولامى فى نوميديا (= الجزائر تقريبا) بزعامة «تاكفاريناس»، وهو جندى كان يعمل فى الفرق المساعدة الرومانية . وبفضل خبرته العسكرية درب رجاله على أساليب الحرب عند الرومان . وقد تطلب اخماد الثورة أن يبذل الامبراطور ومجلس الشيوخ

جهودا مضنية • وأرسل الامبراطور الى نوميديا الفرقة التاسعة الاسبانية Legio ix Hispania يقيادة دولابلا فى عام ٢٠ م• ليدعم بها الفرقة الأوغسطية الثالثة • ويبدو أن الحرب امتدت الى منطقة سرت ، أو أن السلطات الرومانية خشيت أن تمتد الى هذه المنطقة ، لذلك فانها اهتمت بأن تعسكر قوة رومانية بالقرب من مدينة لبدة لتحول دون اتصال الثائر النوميدى بالجرامنتيس • وبالرغم من ذلك ، يبدو أنه كان ينجح فى الاتصال بهم والالتجاء اليهم ، كلما شدد الرومان النكير عليه • وفجأة أمر الأمبراطور بسحب الفرقة الاسبانية من أفريقيا ، مما سهل على تاكفاريناس اقناع ملك الجرامنتيس فى الانضمام اليه صراحة • ولكن هذا الملك ، ولم يكن قد نسى بعد هزيمة قومه على يد «بالبوس» ، أمده بفصائل صغيرة من الجند • ولم يكن فى استطاعة السلطات الرومانية أن تنفذ الى الجرامنتيس حملة تلزمهم بالتخلى عن الزعيم النوميدى • وعندما قتل تاكفاريناس فى عام ٢٤ م• كان على الجرامنتيس أن يتوقعوا أن تنزل بهم روما أشد العقاب• ولذلك ذهب رسل منهم ، كما يقول «تاكيتوس» ، مع دولابلا ليلتمسوا الصفح من الشعب الرومانى • ومن المرجح أن روما رحبت بهؤلاء السفراء ولم تشأ التعرض لهم بأى أذى • ويبدو أنها ، على العكس من ذلك ، حمدت للجرامنتيس أن أعطوها الحجة حتى لا تشن الهجمات على فزان وهى تعلم أن قواتها لن تنجح فيها • اذ أن انتصار «بالبوس»لم يكن الا لأنه أخذ الجرامنتيس على غرة • أما الآن فمن الواضح أن الجرامنتيس أصبحوا مستعدين لكافة الاحتمالات[٢٥١] •

وفى عهد الأمبراطور تيبريوس أيضا شق البروقنصل أيليوس لاميا L. Aelius Lamia (١٥ — ١٦ م•) طريقا الى مسافة أربعة وأربعين ميلا موليا وجهه شطر الجنوب الغربى من لبدة الى مرتفع ترهونة• وبالرغم من أن طريق لاميا هذا قد أدمج فيما بعد فى الطريق الاستراتيجى الذى كانت تقوم على حراسته فصائل عسكرية رومانية ، الا أنه ليس هناك من دليل على أنه قام بمهمة عسكرية خلال سنواته المبكرة • وبالتأكيد كانت السياسة الرومانية موجهة

خلال القرنين الأول والثانى الى التحكم فى شئون القبائل أكثر من اهتمامها باقامة الثغور العسكرية[٢٥٢] .

وفى عام ٦٩ م. انتهزت مدينتا لبدة وأويا فرصة اضطراب الأوضاع فى روما بعد وفاة الامبراطور نيرون لتسوية خلاف بينهما لعل الدافع اليه كان المنافسة التجارية بينهما . وطلبت أويا مساعدة الجرامنتيس الذين أجابوها الى طلبها . وتصدى لهم هذه المرة ڤاليريوس فستوس Valerius Festus حاكم نوميديا الرومانى وكان الجرامنتيس يعتمدون على أنهم عندما يعجزون عن مواجهة قوة روما ، فانهم ينسحبون الى الصحراء والى معاقلهم فى فزان ، وردم آبار المياه أثناء هذا الانسحاب . ولكن فستوس اندفع بسرعة مدهشة نحو الساحل فحرر لبدة وهزم الجرامنتيس واستعاد كثيرا من الأسلاب التى كانوا قد غنموها وطاردهم فى الصحراء . وقال بلينى ان هذا القائد وجد طريقا قصيرا عبر الصحراء يعرف باسم Iter Praetor Coput Saxi وقد يكون حاليا (باب رأس الحمادة) وربما كان الطريق الذى يتجه جنوبا من أويا مارا بغريان ومزدة والقرية الغربية . ولا يعقل أن يكون مثل هذا الطريق مجهولا للجرامنتيس وهم أعرف بمنطقتهم . ولذلك فان البعض يفترض أن الفضل فى اختراق هذا الطريق وبهذه السرعة انما يعود الى استعمال الرومان للجمل . وكان الجرامنتيس لا يقبلون على استعمال هذا الطريق لأن خيلهم كانت لا تستطيع تحمل العطش[٢٥٣] .

ويبدو أن الأمر كان قد استقر للرومان فى فزان اذ جعلوا منها قاعدة أرسلوا منها حملتين بمساعدة الجرامنتيس الى داخل افريقيا ، واحدة على عهد الامبراطور دوميتيانوس (٨١ ــ ٩٦ م.) قادها فلاكوس قائد الفرقة الأوغسطية الثالثة الى السودان فيما يرجح[٢٥٤] والثانية بلغ فيها يوليوس ماتيرنوس منطقة تبستى حيث الأثيوبيون سكان الكهوف .

وتكشف هاتان الحملتان عن التعاون بين الرومان والجرامنتيس . ويحتمل أن الجرامنتيس اضطروا الى قبول هذه الصداقة بعد أن رأوا أن

الرومان يستطيعون الوصول الى معاقلهم فى فزان مرة أخرى بفضل الجمل . وربما كان هدف الرومان ادخال تحسينات على وسائل نقل التجارة من الداخل الى الساحل وتمكين التجار الايطاليين والرومان من اقامة وكالات لهم فى جراما عاصمة الجرامنتيس . وقد عثر فى ضريح رومانى فى هذه المدينة على أوان من الفخار والزجاج والمصابيح ونسيج من الصوف المتعدد الألوان والمصبوغ بالصبغة الأرجوانية من صناعة صور . وتظهر أيضا مجموعة فى سلع البحر الأبيض ، كثير منها رومانى . وقد وصلت هذه الى فزان فى الفترة الواقعة بين نهاية القرن الأول والقرن الرابع أو ما بعده . ويبدو أن الضريح نفسه يعود تاريخه الى القرن الثانى . وفى رأى البعض أن هدف التجار الرومان لم يكن الحصول على الذهب والعبيد والعاج وريش النعام فليس هناك من دليل على أن مصدر هذه السلع كان فزان ، انما هدفهم كما يفهم من بلينى هو الحصول على الأحجار الكريمة **Carbuncle** وقبل ذلك بقرن أشار استرابون الى أن فزان هى البلاد التى كان يأتى منها العقيق الأحمر[٢٥٥] .

وفى الوقت الذى كانت فيه العلاقات بين الجرامنتيس والرومان قد بدأت تدخل فى دور الهدوء كانت قبائل النسامونيس فى عام ٨٥/٨٦م. قد ضاقت ذرعا بجباة الضرائب الرومان الذين أجبروا السلطات الرومانية على الزامهم بعدم ترك مناطق اقامتهم أى أنهم حالوا بينهم وبين حرية الهجرة الموسمية الى أوجلة . وجرد عليهم الرومان حملة لقيت هزيمة ساحقة على يد النسامونيس الذين احتلوا معسكرهم وبدلا من قيام النسامونيس بمطاردة فلول الرومان أقبلوا على دنان الخمر التى وجدوها فى المعسكر يشربون منها حتى ثملوا ، وكان من السهل على الرومان بعد ذلك أن يكروا عليهم . وذبحوهم الا قليلا منهم فروا الى الصحراء . وقد تاه دوميتيانوس فخرا وهو يقرر أمام مجلس الشيوخ الرومانى أنه لن تقوم للنسامونيس قائمة بعد ذلك[٢٥٦] ولكن من الواضح أن النسامونيس استمروا فى كل مصادر العصر الرومانى دون أن تقضى عليهم هذه الهزيمة قضاءا تاما .

وكان القرن الثانى الميلادى بالنسبة لطرابلس بصفة خاصةوالامبراطورية الرومانية ، بصفة عامة فترة هدوء وسلام ورخاء . ولكن الغيوم ما لبثت أن تكاثفت فى آخره اذ قامت قبائل الجرامنتيس والنسامونيس من جديد بالاغارة على الأقاليم الساحليــة من طــرابلس على عهــد الامبراطــور سيبتيميوس سيفيروس (١٩٣ ــ٢١١ م•) وتمدنا المصادر الأدبية بمعلومات نعرف منها أن ثمة حملات وجهت فى عهد هذا الامبراطور ضد هــذه القبائل ولعله قــدم بنفسه وأحبط هجوم هذه القبائل اذ أنه زار لبدة مسقط رأسه وبدأ فى اقامة سلسلة من الثغور العسكرية قصد به مواجهة تهديد قائم بالفعل أكثر ممــا قصد من ورائها أن تكون مستعدة لمواجهة خطر متوقع • وقد تابع ابنــه كاراكلا إقامة هذه الثغور وأتمها الامبراطور اسكندر سفيروس • وتعرف هذه الثغور باسم Limes Tripolitanus وتحتل المنطقة الواقعة الى أقصى الشرق من سلسلة الثغور التى كانت تحمى الولايات اللاتينية فى أفريقيــا الرومانية وهى تمتد لمسافة ١٠٠٠ كم من TCsis Tamalleni (تيلمين Telmine الحديثة) على حافة بحيرة شط الجريد بتونس الى آخر نهايتهــا الشرقية عند مذبح الأخوين على حدود برقة القديمة ، وعند القسم الشرقى من هذه الثغور لمسافة ٣٠٠ كم من سبخة تاورغا الى المذبــح . والقســم الأوسط من منطقة الثغور الممتدة من حدود تونس الى سبخة تاورغا ، من أهم أقسام منطقة الثغور من الناحيتين الجغرافية والتاريخية ، اذ كانت المنطقة خط الدفاع الفعال لمدن الساحل المزدهرة صبراته وأويا ولبدة فى مواجهــة القبائل الليبية فى الداخل . وفى الوقت نفسه كانت توفر الحماية الكافية لمنطقة الزراعة ذات الأهمية الكبيرة فى اقتصاديات طرابلس ، اذ أنها كانت منطقةزراعة الزيتون عماد ثروة اقليم طرابلس .

وقــد سبقت الاشارة الى الطريق الــذى شقــه البروقنصل لاميــا L. Aelius Lamia (١٥ ــ١٦م) لمسافة ٤٤ كم فى اتجاه جنوبى غــربى من لبدة الى مرتفع ترهونة ، وأن السياسة الرومانية كانت تميل الى التحكم فى القبائل الليبية أكثرمن اهتمامها باقامة ثغور عسكرية. وقد تخلى الامبراطور

سيبتيميوس سيفيروس عن السياسة التى تهدف الى السيطرة على المناطق الصحراوية بارسال حملات من المدن الساحلية تسير الى مسافات طويلة لتصل الى معاقل القبائل الليبية مثلما حدث بالنسبة لقبيلة الجرامنتيس . وقد تميزت نهاية القرن الثانى الميلادى بتزايد ضغط القبائل مما جعل هذا الامبراطور يبادر الى تنظيم سلسلة من الثغور العسكرية قادرة على مواجهة تهديدها . والواقع أن المؤرخ ليتردد كثيرا فى قبول الفكرة القائلة بأن الصحراء ظلت هادئة بصفة عامة، فى الفترة ما بين حكم الامبراطور كمودوس (١٧٧ — ١٩٢م) والامبراطور جودريانوس الثانى (٢٣٨ — ٢٤٤ م.)[٢٥٧] .

وقد عثر على عدد لا يحصى من المنشآت الدفاعية الصغيرة ، ليس فقط على طول حافة الجبل الأخضر ، ولكن أيضا فى المنطقة الممتدة من زنتان الى سبخة تاورغا. وتنتشر الثغور فى وادى سوفا الجين ووادى زمزم. وكانت تقوم فى هذين الواديين حياة زراعية مستقرة . وقد كشف عن بقايا طريق عسكرى تدافع عنه مراكز عسكرية فى منطقة سوف الجين . وكانت مهمة الطريق الجبلى الممتد من تونس الى لبدة أن يوفر الحماية اللازمة بطريقة فعالة للأراضى الواقعة الى ما وراء لبدة ولم يكن هذا الطريق منذ عصر سيبتيميوس حصينا ، الى الحد الذى أصبح معه حاجزا بالمعنى المفهوم بين المدن الساحلية وقبائل الداخل . وكانت منطقة الثغور الطرابلسية عبارة عن سلسلة من المراكز التى كانت تنتشر جنوب خط زنتان — لبدة وتمتد حتى وادى زمزم محتضنة كل وادى سوف الجين على اتساعه . وفى عصر سيبتيميوس سيفيروس شيدت قلعة فى غدامس ، وامتدت الطرق العسكرية الى مزدة فى عهد ابنه كاراكلا . وفى عهد اسكندر سيفيروس شيدت قلعة القرية الغربية. وتقوم الأدلة على وجود طريق رومانى يتفرع من طريق الجبل فى منطقة جادو أو زنتان ويسير جنوبا بشرق الى مزدة حيث كان يتقابل مع طريق هام يصل أويا بفزان . وكانت مزدة تتوسط منطقة ثغور عسكرية تمتد شرقا وتمتد غربا . وجنوبى هذه المنطقة خط ثغور آخر يمتد من غدامس الى القرية الغربية ثم الى بونجم ، والملاحظ أن كل هذه المواقع تقع تقريبا على خط عرض واحد[٢٥٨] .

وفى المنطقة الممتدة من النوفلية الى مرسى بريقة كانت كل المزارع محصنة وان كان من المرجح أنها تنتمى الى العصر البيزنطى • وتوجد قلعة كبيرة عند رأس بن جواد • وعند مرسى بريقة تبدأ منطقة كانت فى العصور القديمة ولا زالت حتى الآن منطقة يكثر بها البدو وكانت أكبر مراكزها بوريوم • وهى قرية ازدهرت حول حصن عند رأس بوقرادة • ويتناثر حول هذه المنطقة عدد كبير من القلاع القديمة . وكانت بوريوم وهذه القلاع والمزارع المحصنة خط دفاع يحول دون توغل القبائل الليبية نحو الشمال الشرقى الى قلب منطقة المدن الخمس • وكانت أجدابيا بتحكمها فى الطريق الى أوجلة مفتاح منطقة الثغور الواقعة حول خليج سرت فى القرن الأول الميلادى . وبين أجدابيا وبنغازى يوجد عدد من المبانى المحصنة تشتمل على مجموعة من القلاع التى يطلق عليها اسم القلاع الليبية الرومانية متناثرة حول قمينس • ويوجد حصن رومانى فى زاوية الطيلمون • وطبيعة هذه المواقع تعطى الاحساس بوجود مجتمع وطنى مسته الحضارتان الاغريقية والرومانية مساً خفيفا وكانت فى العصر الرومانى تؤدى مهمة الوسادة التى تتلقى هجمات قبائل سرت • واذا كانت للقلاع حول قمينس الطابع الليبى ، فانه من المرجح أن تكون قبائل الماكاى الليبية ، وقد أصبحت موالية للرومان أو البيزنطيين ، هى التى قامت بتشييدها وتحت اشراف هؤلاء • وبينما كانت اجدابيا بمثابة رأس الرمح بالنسبة لمنطقة الثغور الرومانية فى منطقة خليج سرت ، كان خط الدفاع الخلفى يتكون من ثلاث قلاع هامة فى زاوية الطيلمون ، واشليديما ، وزاوية مسوس • وشمال هذا الخط الدفاعى يوجد عدد من المبانى الصغيرة المحصنة • وتاريخها غير معروف وتنتشر حتى أطراف مدينة بنغازى[٢٥٩] •

وبين بنغازى وبطوليميس نجد عدداً من الحصون الصغيرة ومعظمها من العصر البيزنطى متناثرا فى السهول الساحلية • ولكن هذه الحصون ما كانت لتقوم بمهمة الدفاع عن المنطقة دفاعا مرضيا وكان من المهم الدفاع عن سهل المرج الخصيب وذلك باقامة مجموعة من الحصون والمزارع الخصبة على الطرق الغربية والجنوبية التى تؤدى الى هذا السهل •

وبصفة عامة يمكن القول بأن أقصى منطقة انتشرت فيها مواطن الاستقرار فى منطقة المدن الخمس كانت عند الخط الممتد من الأبيار الى المخيلى ماراً بخروبة ، ولكن لم يعثر فى المنطقة على مخلفات اغريقية رومانية ، وهذا يجعلنا نحس أننا بصدد منطقة كانت خارج نفوذ الاغريق والرومان . والحصون التى عثر عليها فى المنطقة تعود الى أوائل العصر الاسلامى ولكن المهم أن أحدها يحتل موقع مزرعة ليبية كانت قائمة فى العصر الرومانى . وهذا الحصن هو قصر تيكاسيس **Tecasis** . وبالقرب من هذا القصر عثر على حائط لايزيد عرضه على ٧٠ سم . ويعترض وادى سمالوس **Sammalus** ثم يستمر فى الصحراء المكشوفة لمسافة ثلاثة أميال ، ولعل هذا الحائط كان علامة على منطقة حدود للقبائل الليبية .

واذا سرنا بالقرب من منطقة الغابات فى برقة وسلكنا طريقا يمتد من الغرب الى الشرق ، وهو المعروف باسم طريق عزيزة الذى يكتنف الينابيع والآبار فى أقصى جنوب الهضبة ، والواقعة على الخط الذى يصل بين الأبيار ومرادة وبويرات وخولان ، لوجدنا عددا من الحصون المشيدة من الحجر بشكل غير مهذب . ومن المحتمل أن هذا الخط يمثل أقصى ماوصل اليـه الاغريق والرومان فى هذه المنطقة . وأن المنطقة الوقعة جنوب طريق عزيزة ، قد ترك للقبائل الليبية .

والمنطقة الممتدة الى الشرق والى الغرب من قورينى ، مليئة بالمواقع القديمة وبعضها قرى متسعة والبعض الآخر عبارة عن مزارع حصينة . وكل ذلك يظهر مدى صعوبة الحياة فى منطقة المدن الخمس اذ كان الغزاة الليبيون يستغلون طبيعة وادى الكوف فيشنون منه هجماتهم على هذه المدن . وكان الهدف من انشاء قصر بنى قدم وقصر شيادن فى منطقة وادى الكوف منع الليبيين من شطر الولاية شطرين اذا نجحت هجماتهم على الاقليم . واذا كانت الثغور فى هذه المنطقة تفود الى الفترة الواقعة بين القرنين الخامس والسابع الميلادى الا أن ذلك لا يمنع من القول أن منطقة وادى الكوف كانت فى

العصر الرومانى أيضا مصدر قلق وازعاج للمدن الخمس على الأقل فى أواخر القرن الثالث الميلادى •

وكانت بعض المواقع الحصينة تحمى المسالك الشرقية الى المدن الخمس والطريق من دارنيس الى الداخل فى اتجاه المخيلى •

ويلاحظ ندرة هذه المواقع فى خليج بومبا • ونظرا لوجود عدد من القلاع والحصون فى الأرض المنزرعة وقرب الساحل فان ذلك يعنى أن كل المنطقة تحولت الى منطقة ثغور ابتداء من القرن الخامس •

ونخلص من هذا الى القول بأن نظام الدفاع عن برقة ، مدنها وريفها ، الذى وصفه الرومان فى القرن الأول الميلادى ظل قائما حتى القرن السادس • وكان البيزنطيون حريصين على وضع أيديهم على كل المنطقة الخصبة من برقة بعكس الحال فى طرابلس اذ قنعوا بالسيطرة على الساحل وعلى مدنه الرئيسية وقنعوا بالسيطرة على الدواخل بعقد أواصر المودة مع القبائل الصديقة • وفى القرن الأول كانت الثغور قائمة فى جنوب غرب برقة لتحميها من الأخطار التى كانت تتعرض لها من منطقة خليج سرت • وربما تنتمى الى نفس العصر تقريبا القلاع التى نراها منتشرة على أطراف هضبة برقة • وكان من الأهمية بمكان دفع كل خطر تتعرض له برقة ، والمدن بصفة خاصة من ناحية وادى الكوف[٢٥٩] •

وكان برابط فى الثغور العسكرية جماعة من الليبيين الذين أنهوا خدمتهم العسكرية فى الجيش الرومانى ومنحوا عند نهاية مدة خدمتهم قطعا من الأرض معفاة من الضرائب وبعض العبيد والماشية مقابل الدفاع عن منطقتهم ضد عدوان القبائل الليبية المقيمة فى الجنوب من منطقة الثغور[٢٦٠] •

وكانت عناصر ليبية تقبل على الخدمة العسكرية مع الرومان فى أواخر العصر الرومانى • وكان الرومان وخاصة فى طرابلس يخلعون على بعض القادة منهم لقب تريبيون **Tribunus** [٢٦١] • وكان هؤلاء الجنود المزارعون من أهل الثغور يقيمون فى مزارع محصنة وتعتبر هذه المزارع ذات المنازل المشيدة على هيئة أبراج والأضرحة التى شيدوها لموتاهم من أهم المعالم الأثرية فى

اقليم طرابلس فيما وراء خط الثغور الخارجى[٢٦٢] . وفى عام ٢٣٨ م. حل الامبراطور جورديان الثالث (٢٣٩ — ٢٤٤ م.) الفرقة الأوغسطية الثالثة . وبالرغم من أن الامبراطور ڤاليريان (٢٥٣ — ٢٦٠ م.) قد أدخل بعض التعديلات على تكوينها الا أنها لم تعمل ثانية فى طرابلس . وأصبحت حاميات القلاع فى بونجيم والقرية الغربية تجند أحيانا من عناصر محلية[٢٦٣] .

كل هذه الأنظمة العسكرية وما يرتبط بها من ثغور ومزارع محصنة وغيرها آنما تكشف عن حقيقة الأوضاع فى ليبيا فى ظل الحكم الرومانى وأنه كان ينبغى على الحكومة الرومانية سواء فى برقة أو فى طرابلس أن تكون متيقظة أبداً لاحتمالات غزو تقوم به القبائل الليبية فى أى وقت .

وقد حاول الرومان ابتداء من عصر أغسطس اجتذاب الليبيين الى الحياة المستقرة . وقد حاول أغسطس ارضاءهم بأن دفع عنهم مظالم جباة الضرائب وكان الليبيون فى برقة قد ضاقوا ذرعابها[٢٦٤] . وقد اختفى نبات السلفيوم أو كاد . وكان احتكاراً لملوك قورينى ثم للحكومة الرومانية فعمد الليبيون فى راى استرابون الى اهلاك هذا النبات باتباع وسائل خاطئة فى جنيه ، وأرجع بلينى اختفاء هذا النبات الى أن ملتزمى الضرائب حولوا ارض المراعى الى أرض زراعية، فلم تعد أرض برقة منتجة لهذا المحصول[٢٦٥]. وقد اهتم الرومان بانعاش الزراعة وبتنفيذ الكثير من مشاريع الرى والربط بين الساحل والداخل. حتى أن عنايتهم بالأرض الزراعية وتوفير سبل الاستقرار بها امتدت حتى حافة الحزام شبه الصحراوى فى القسم الجنوبى من برقة الذى لم يكن الاغريق قد وصلوا اليه من قبل[٢٦٦] . وقد كان الغرض من كل هذه الأعمال هو أن يوفروا للقبائل الليبية أسباب الأمن والطمأنينة فيتحولون من بدو رعاة الى مزارعين مرتبطين بالأرض .

وفى طرابلس عمل الأباطرة الرومان على احلال نظام المزارع محل أراضى المراعى . وشجعوا رجال القبائل من الرعاة على العمل والاستقـرار بها . وكذلك أغرى بعض الأباطرة مثل هادريان عناصر من الليبيين بالاقبال على

زراعة الأرض المهملة أو المهجورة وأعفوهم من دفع الضرائب على أشجار الزيتون والعنب حتى تؤتى أكلها • وأعفوا بعض النباتات بصفة دائمة من الضرائب • ويبدو أن الليبيين استجابوا لخطط الحكومة الرومانيــة بل ان بعضهم اهتم بانشاء مزارع صغيرة للزيتون[٢٦٧] • ولعل تلك المزارع الكثيرة التى انتشرت فى بعض الوديان مثل وادى سوف الجين ووادى زمزم انما تدين بوجودها للعناصر الليبية الوطنية • وقد عثر على عدد كبير من النقوش المكتوبة باللغة الفينيقية الحديثة ولكن بحروف لاتينية • ولعل اللغة الفينيقية الحديثة كانت الى حد ما لغة المجتمعات الليبية المحلية فى هذه المناطق البعيدة عن الساحل والتى كان يتكون منها طائفة أهل الثغور • ومن أبرز المواقع التى عثر فيها على نقوش من هذا النوع جرزة ، وهى موقع رومانى ليبى فى وادى زمزم ، ومزرعة محصنة فى وادى مردم ، وبئر (دريدر) الذى عثر فيه على حوالى أربعين نقشا ، كان بعضها يعلو بوابات المزارع الحصينة أو الأضرحة ومن المرجح أن غالبية هذه النقوش يرجع الى فترة متأخرة عن بداية القرن الثالث الميلادى • والذى يهم المؤرخ أو الأثرى أن هذه النقوش مكتوبة بأبجدية لاتينية ، وليست فينيقية فى الوقت الذى قل أن تجد فيه نقوشا لاتينية من الطابع الأصيل[٢٦٨] • وقد يفسر ذلك بأن الليبيين استمروا يستخدمون اللغــة الفينيقية الحديثة التى لابد وأن تكون قد تأصلت فيهم الى الحد الذى لم يسمح باستعمال اللغــة اللاتينية • ولا يمكن أن نناقش مسألــة اللغــة اللاتينية فى طرابلس الا وقفز الى أذهاننا الامبراطور سبتيميوس سيفيروس وشقيقته التى لم تكن لتحسن الحديث باللاتينية • فاذا كان هناك عناصــر ليبية أقبلت على الأخذ بأسباب المدنية الرومانية واستعمال اللغة اللاتينية ، فان ذلك لا يعنى أن جموع الليبيين قد تخلوا عن اللغة الفينيقية • ولعل هذه اللغة الفنيقية كانت قد احتفظت بمكانتها فى مدن الساحل حتى أن بعض النقوش فى لبدة صيغت بهذه اللغــة • وهذه النقوش لها طابع رسمى اذ أنها تتعلق بموظفين رسميين فى بلديــة المدينة • وهذا يرجح أنها كانت اللغة الرسمية الثانية بعد اللغة اللاتينية على الأقل فى عصر أغسطس • وحتى

لو فرضنا أن اللغة الفينيقية كانت قد فقدت بعض مكانتها على الساحل فلم تستطع مقاومة اللغة اللاتينية الا أننا لا نستطيع أن نسلم باختفائها تماما بعد القرن الأول . وقد يمكن القول أن اللغة الفينيقية استطاعت أن تحتفظ بكيانها فى الدواخل وأن عامة الليبيين في هذه المناطق قد تأثروا فعلا ببعض مظاهر الحضارة الرومانية واجتذبتهم مراكزها ، الا أنهم فى مجال اللغة لم يستعيروا من اللاتينية سوى أبجديتها[269] .

وكان من الممكن فى ضوء ما تقدم أن يأمن الرومان الى وجودهم فى كل من برقة وطرابلس ، وأن تركن القبائل الليبية الى السكينة أو تحاول على الأقل تنظيم علاقاتها مع السلطات الحاكمة . ولكننا نجد أن قبائل المارماريداى في برقة تعاود هجومها على المدن وقد تصدت لها القوات الرومانية على عهد الامبراطور كلوديوس جوتيكوس (٢٦٨ ـــ ٢٧٠ م.) بقيادة تيناجينو بروبوس Tenagino Probus حاكم مصر والخبير فى حرب الصحراء . وبعد أن انتصر هذا القائد على هذه القبائل وأنقذ قوريني من براثنها ، وجد أن من الضرورى القيام بعدد كبير من الاصلاحات فى المدينة ، وأن يعيد تسميتها باسم كلوديوبو ليس Claudiopolis تكريما وتشريفا للامبراطور كلوديوس . وقد وجد الامبراطور دقلديانوس (٢٨٤ ـــ ٣٠٥ م.) أنه من الضرورى اعادة تنظيم الدفاع عن الامبراطورية . وامتدت تنظيماته الى كل من برقة وطرابلس . وقد فصل برقة عن جزيرة كريت ثم قسمها الى ولايتين احداهما هى ليبيا العليا أو المدن الخمس Pentapolis ، والثانية ليبيا السفلى . وهذه شملت ساحل مارمريكا من الاسكندرية حتى درنة[270] . وبالمثل تحولت طرابلس الى ولاية باسم Provancia Tripolitana وان كان أول دليل على قيامها يعود الى عهد خلفه الامبراطور ماكسينتيوس Maxintius (٣٠٦ ـــ ٣١١ م.)[271] .

ولم تتحسن الأحوال فى طرابلس . وقد زاد الأمر سوءا اقبال الليبيين على اعتناق المسيحية وتمسكهم بمذهب يعرف بالدوناتية وهو يخالف المذهب الكاثوليكى .

وقد ظهر هذا المذهب على يد زعيم دينى يسمى دوناتوس فى مدينة قرطة Cirta (قسطنطينة) اثر حركات الاضطهاد التى شنها دقلديانوس ضد المسيحيين • وانشق اتباع هذا المذهب على الكنيسة الكاثوليكية • وكانت هذه الكنيسة لا ترى بأسا فى أن يعود الى رحابها المسيحيون الذين قبلوا تقديم القرابين للآلهة الوثنية أو سلموا كتبهم المقدسة لحرقها وذلك اذا أعلنوا ندمهم وتوبتهم • أما الدوناتيون فانهم كانوا يرون أن هـؤلاء المسيحيين ضعافا فى عقيدتهم فرطوا فى أمر دينهم وأنه يجب اعادة تعميدهم لقبولهم فى المجتمـع المسيحى • ومن ناحية اخرى وجـه الدوناتيون هجوما شديدا ضد رجال الكنيسة الذين ضعفوا ولم يشدوا أزر الشهداء وضد الشمامسـة الذين سلموا الكتب المقدسة للوثنيين ولذلك يجب ابعادهم عن الكنيسة • وقد امتدت الدعوة الدوناتية الى طرابلس • وأمكن التعرف على مبنى تابع لها يعود تاريخه الى القرن الرابع • وهو عبارة عن مزرعة محصنة فى (المسوفيين) كتب على بوابتها شعار الدوناتيين وهو (لله الحمد Deo laudes) • والى جانب الناحية الدينية ، فان حركة الدوناتيين تمثل حركة المقاومة الافريقية ضد الحـكم الرومانى • وقد انبعثت حركـة المقاومة هذه نتيجـة لعوامـل اقتصاديـة واجتماعية ، فضلا عن الشعور بالقومية • ولم تحمل اصلاحات دقلديانوس وقسطنطين أى حل للمشاكل الاقتصاديـة • وجاءت الزيـادة الضخمة فى عدد الجنود والموظفين عبئا على دافعى الضرائب • وشعرت الطبقات الدنيا والوسطى أنها أصبحت أسيرة لنظام احتكارى بغيض • وتدهور وضع الفلاحين وأصبحو أشبه برقيق الأرض فى العصور الوسطى وكانوا يعرفون باسم Coloni • ويقصد بهم الأجراء الذين يدفعون نسبة من انتاج الأرض التى يقومون بفلاحتها كايجار لها . وفى حالات كثيرة كان الأجير يعمل عددا من الأيام كل سنة فى الأرض التى يتولى المالك زراعتها لنفسـه أو عن طريق مندوب عنه • وأصبح كل من يغادر الأرض من هؤلاء Coloni عرضـة للعقاب • وقد حرم على الملاك بيع أراضيهم بدون هؤلاء الفلاحين الذين يقومون على زراعتها • ومن بين هؤلاء التعساء ظهرت جماعة تعرف باسم

Circumcelliones (الداورين) كجماعة متطرفة من الدوناتيين وهم فلاحون خارجون على القانون . وأخذوا فى نهب مزارع الكاثوليك والوثنيين على السواء[٢٧٢] . وفى الوقت الذى كانت فيه طرابلس تعانى من عنف هذه الحركات ، كان على السلطات الحاكمة مواجهة تحركات القبائل الليبية وهجماتها . وفى عام ٢٩٨ م. قام الأمبراطور ماكسيميان بحملة ضد قبيلة ليبية فى منطقة سرت تعرف باسم هيلاجواس Hilaguas أو ايلاسجواس Ilasguas [٢٧٣] . ثم تهدأ الأحوال مؤقتا لتعود اغارات الليبيين تأخذ شكلا آخر لم يعتده أهل المناطق الشمالية . وقد قامت بهذه الاغارات هذه المرة قبائل يقال لها الأوستريانى Austuriani ولا يعرف أصل هذه القبيلة . وفى رأى البعض أنهم جاءوا من الواحات الشرقية فى الصحراء ، ولكن يبدو أنهم كانوا قبيلة تقيم فى آقليم سرت مثل قبيلة الهيلاجواس . وكان أول هجوم لها فى عام ٢٦٣ م. وقد ادعوا أنهم انما ينتقمون لمصرع واحد منهم قتلته سلطات طرابلس . وقد اجتاحوا أثناء هذا الهجوم كل المنطقة المحيطة بلبدة وأشعلوا النار فى الممتلكات التى لم يستطيعوا أخذها معهم وذبحوا كل سكان الريف . ولم تسقط مدينة لبدة فى أيديهم بفضل أسوارها . وخوفا من أن يعود الأوستريانى مرة أخرى ، بعث أهل لبدة الى كونت رومانوس ، وكان يشغل منصب Comes Africae بين عام ٣٦٣ ــ ٣٧٣ م. ، يطلبون مساعدته . ولكنه أجاب أنه لن يستطيع نجدتهم الا اذا أمدوه بكميات ضخمة من المؤن وأربعة آلاف جمل . فلجأوا الى الامبراطور ڤالينتينيان الأول Valentinian I (٣٦٤ ــ ٣٦٥) . وبينما كان أهل لبدة فى انتظار رد الامبراطور جاء الأوستريانى مرة أخرى . وفى هذه المرة استباحوا المنطقة المحيطة بمدينتهم ، بل وبمدينة أويا (طرابلس) أيضا . وربما شملت اغارتهم صبراتة . بالرغم من أن أميانوس ماركيللينوس Ammianus Marcellinus ، وهو مصدرنا الوحيد عن أخبار هذه القبيلة، لم يذكر شيئا عن مهاجمتهم لهذه المدينة، الا أن الشواهد الأثرية تدل على أن كثيرا من مبانيها دمرت فى وقت مقارب لزمن حدوث هذه الاغارة . ولما علم الأمبراطور بأنباء الاغارة الجديدة كلف أحد

قادته ، وكان فى طريقه الى أفريقيا أن يتحرى الحقائق عن الموقف فى طرابلس • وقبل أن يصل هذا القائد كان الأوستريانى قد شنوا هجوما ثالثا وكان هذه المرة أشد عنفا • وكانت منطقة لبدة هى الهدف الأساسى وقد تركوها عارية من الحياة ومن كل شىء ، ودمروا النخيل والكروم وحاصروا المدينة لمدة ثمانية أيام ثم انسحبوا بعد أن يئسوا من استسلامها[٢٧٤] . ولا شك فى أن الذى أكسب اغارات الأوستريانى هذا العنف والقسوة فى الهجوم هو استعمالهم للجمل الذى زاد من سرعة زحفهم ثم سرعة انسحابهم • واذا كان رومانوس قد طلب هذا العدد الكبير من الجمال، فان ذلك يفسر بأنه كان يدرك أنه لا سبيل الى مطاردة هؤلاء المغيرين الا اذا كان لديه العدد الكافى من الجمال • ونتساءل لماذا لم يبادر أهل الثغور العسكرية الى وقف هجمات الأوستريانى أو على الأقل لماذا لم يحاولوا التخفيف من حدتها حتى لا تصل بكل هذا العنف الى مدن الساحل ؟ !

ويرجح البعض أن أهل الثغور ربما كانوا قد تواطأوا مع المغيرين فسهلوا لهم اجتياز خطوط الدفاع وهم بكامل قوتهم فألقوا بكل ثقلهم على المدن وريفها[٢٧٥] . ولا شك فى أن هذه الاغارات المتكررة كان لها أبعد الأثر فى تدمير اقتصاديات المدن الساحلية ومن ثم كانت عاملا من عوامل تدهورها.

ولم يقتصر خطر الأوستريانى على طرابلس وحدها بل امتد الى برقة . اذ كانت المدن الخمس ابتداء من عام ٣٩٠م تتعرض لمزيد من هجمات هذه القبائل . ولم تكن القوات العسكرية فى الولاية على درجة من الكفاءة تمكنها من مقاومة هذا الزحف المدمر . وقد لقيت مدينة قورينى بصفة خاصة أشد العنت على أيدى المغيرين • ومن كتابات الأسقف سينيسيوس Synesius نعرف أن هذه القبيلة كانت تنهب المزارع وتحرق المحاصيل وترهب المدن والقرى وتقتل الرجال وتسبى النساء وتسرق الأطفال • وقد نظم الأسقف ، بعد أن يأس من مقاومة القوات البيزنطيـة ، مع أغنياء الريف قوات من المتطوعين . وحولت المنازل الريفية الى قلاع صغيرة ومن أبراجها وأبراج الحصون كان الحراس يتبادلون اشارات الضوء لانذار المناطق المهددة عند

اقتراب الخطر[٢٧٦] . وكانت قبيلة المازيكيس Mazikes تشارك الأوستريانى الهجوم أيضا على مراكز العمران فى برقة[٢٧٧] .

وقد خلفت هذه القبائل فى تهديد أهل طرابلس وأهل برقة ، قبيلة ليبية أخرى شديدة المراس هى قبيلة لواتة[٢٧٨] . وكان يتزعمها فى طرابلس رئيس يقال له قابايون Cabaon . وكان للقبيلة علاقات ودية مع الوندال الذين انتزعوا طرابلس من الدولة البيزنطية فى عام ٤٣٩ م.

ويبدو أن العلاقات كانت طيبة بين القبيلة وبين جنسريق ملك الواندال . ولكن ما أن مات الملك فى عام ٤٧٧م حتى حدث صدام بين الفريقين . وزاد من قوة لواتة وخطورتها استخدامها للجمل فى معاركها مع الواندال ، الذين كانوا لا يحسنون القتال الا على ظهور الخيل . ولم يكن فى وسع الخيل مواجهة الجمال . وفى الفترة ما بين عامى ٥٢٧ ، ٥٣٣ م. هزمت قبيلة لواتة الواندال فى طرابلس واستباحت لبدة وخلفتها قاعا صفصفا وقد توقفت فيها الحياة تماما[٢٧٩] .

وقد انتشرت لواتة أيضا فى الجبل الأخضر وأصبح وجودها حقيقية واقعة. وفضلت الاستقرار فى مناطقها الخصبة ، واتخذت من مدينة برقة (المرج) عاصمة لها[٢٨٠] . وقد بلغ من قوتهم أن هرقل حاكم أفريقيا استعان بها فى عام ٦٠٨م فى الاستيلاء على الأسكندرية . وقد استطاع هذا الحاكم بفضل ثراء مصر أن يرتقى عرش الامبراطورية[٢٨١] . والواقع أن لواتة أصبحت فى برقة القوة الحقيقية حتى أن العرب ، وقد فطنوا الى هذه الحقيقة ، عرفوا كيف يتعاملون معها ، مما سهل عليهم فتح برقة فى عام ٦٤٣ م.

هذه هى قصة القبائل الليبية حتى أواخر العصر الرومانى . وقد رأيت أن أتابع بايجاز الحديث عنها بعد عصر دقلديانوس أثناء العصر البيزنطى وذلك لتكتمل لدينا الصورة عنها الى ما قبل الفتح العربى .

مما سبق يتضح لنا أن القبائل الليبية كانت شوكة فى جنب القوى الأجنبية الحاكمة فى برقة وطرابلس وأنها ما كانت لتترك السلطات الحاكمة

فى الاقليمين لتستريح بل كانت تغير فى موجة تتبعها موجة بل حدث أحيانا ، أن شملت اغارات قبيلتى الأوستريانى ولواتة الاقليمين معا .

واذا حاولنا أن ندرس أسباب تلك الاغارات لوجدنا أنها تعـود الى نوعين من الأسباب .

الأول ، ويتلخص فى أن ثورة القبائل الليبية لانتزاع أراضيها الزراعية واقصائها عنها كما حدث فى برقة على عهد أسرة باتوس أو لفرض الضرائب الثقيلة التى ناء بها كاهل الليبيين أو التدخل فى حرية تنقلهم ، وقد رأينا أنه كانت لبعضهم تنقلات موسمية مثل تنقلات قبيلة النسامونيس ، أو هضم حقوق المزارعين وتحويلهم الى ما يشبه وضع رقيق الأرض كما حـدث فى اقليـم طرابلس مما دفعهم الى اعتناق الدوناتية كمظهر لسخطهم فكانت اغاراتهم على المزارع التى يمتلكها أغنياء الكاثوليك أو الوثنيين .

وربما كان من السهل تبين النوع الثانى من الأسباب محاولات القبائل الليبية الوصول الى الأقاليم الساحلية . وقد لاحظنا ونحن نتحدث عن القبائل الليبية وعلاقاتها مع مصر فى العصر الفرعونى أن الصحراء الليبية كانت طوال ذلك العصر تموج بهجرات وتحركات لكتل بشرية ضخمة ، تتفاوت فى قوتها وقوة تحملها ، وكانت تتحرك فى اتجاه مصر . وكان من الممكن أن تنجح فى اختراق حدودها والاستقرار بها لولا أن هجماتها كانت تتحطم على صخرة المقاومة العنيفة التى أبداها ملوك مصر . وقد نبهت خطورة هذه الهجمـات فراعنة مصر الى ضرورة الاهتمام بتحصين حدود مصر الغربية . ويؤكد هذه الحقيقة تلك المجموعة من القلاع والحصون الممتدة من غرب الاسكندريـة الى العلمين بل الى مارماريكا . أى ان الفراعنة قد أقاموا خطا دفاعيا محصنـا على حدود مصر الغربية كما فعل أباطرة روما باقامتهم خطوط الدفاع المحصنة على نحو ما أسلفنا فى كل من برقة وطرابلس . وقد كانت تحركات القبائـل الليبية فى تجاه مصر نتيجة لوجود شعوب وتجمعات أقوى منها ومقيمـة الى ما وراء مناطق اقامتها فى ليبيا وكانت تريد بدورها أن تصل الى ساحل ليبيا

الشمالى أو أنها كانت بسبب هجمات شعوب البحر التى أرادت أن تستقـر على سواحل ليبيا فضغطت على القبائل الليبية ودفعتها نحو مصر . ولكن بعد ذلك بعشرة قرون تقريبا كانت القبائل الليبية قد استقرت بشكل واضـح فى الأماكن الساحلية من برقة ومنطقة خليج سرت وطرابلس واستقرت أيضا فى فزان . وهذه القبائل كما رأينا لم تكن قبائل بدوية بالمعنى المفهوم لأن كـل قبيلة كانت تستقر فى منطقة لها حدود واضحة مثل قبيلةالأدورماخيداىالمتمصرة وقبيلة الأسبوستاى المتأغرقة أو قبائل النسامونيس التى احتفظت بصفتى النظام والتمدين بالرغم من انتقالها الموسمى لجنى محصول البلح فى واحـة أوجلة أو قبيلة الماكاى التى كانت تنتقل فى الصيف عندما كان ينضب معـين المياه الى المناطق الخصبة من جبل غريان . وقد استطاعت القبائل الليبية أن تتعامل مع سكان المدن الأغريقية فى برقة أو الرومانية فى طرابلس . ولـكن القبائل الليبية التى تمتد مضاربها جنوبا فى الصحراء كانت قد بدأت بدورها تعيد القصة القديمة . ذلك أنها ، عندما كانت تشتد حالة الجدب والجفاف ، كانت تضغط على القبائل الليبية المقيمة فى السهول الساحلية وفى الوديان والتى كانت قد اطمأنت الى حياة الأمن والأستقرار وأقلعت عن الأغارة والهجرات . وكان من الممكن بالنسبة لقبيلة الأوستريانى التى تسببت فى الخرا ب الذى حل بأكثر من منطقة من مناطق طرابلس وبرقة أن تستقر فى الأماكن التى اجتاحتها فى طريقها الى الساحل وأن يتحول أفرادها بدورهم الى مزرعين ورعاة وأن ينشئوا القرى وأن يألفوا حياة الهدوء والاستقرار . وكانت آخر قبيلة نجحت فى أن تترك مضاربها الأصلية وتنتقل الى برقة بعد ان انتشرت فى ليبيا كلها ، هى قبيلة لواتة . وقد نجحت فى الاستقرار واتخذت من برقة (المرج) عاصمة لها . وكانت بذلك أولى القبائل الليبية التى قابلها العرب عند قدومهم الى ليبيا غزاة فاتحين فى عام ٦٤٣ م.

الحواشي

١ - Herodotus ii. 16
٢ - idem ii 18
٣ - idem ii 32
٤ - idem iv. 181, 186
٥ - O. Bates, The Eastern Libyans, London 1914. P xx
٦ - ابرهيم أحمد رزقانة ، الحضارات المصرية فى فجر التاريخ ، القاهرة ، ١٩٤٨
ص ٢٣ ، عبد العزيز طريح شرف ، جغرافية ليبيا ، الاسكندرية ١٩٦٣ ،
ص ٢٢٨ .
٧ - ابراهيم أحمد رزقانة ، نفسه ص ١٩ .
٨ - C.B.M. McBurney & R.W. Hey, Prehistory and Pleistocene Geology in Cyrenaican Libya, Cambridge, 1955 P. 223, cf. R.G. Goodchild, Reports and Monograms of the Department of Antiquities in Tripolitania, N. 2, Dept. of Antiquities, British Military Administration, Tripolitania, 1949. P. 37
٩ - C.B.M. McBurney & R.W. Hey, ibid P. 172
١٠ - المرجع السابق ص ٢٧٠ .
١١ - المراجع السابق ص ٢٥٠ - راجع أيضا ابراهيم أحمد رزقانة المرجع السابق ،
ص ٤١ .
١٢ - C.B.M. McBurney, The Stone Age of Northern Africa, (a Pelican Book), London 1960 P. 162.
١٣ - C.B.M. McBurney & R.W. Hey op. cit. P. 144
انظر صور الأدوات الحجرية التى عثر عليها فى موقع الحاج كريم مثل
النصال المدببة والكاشط ، المرجع السابق ص‌ص. ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ .
١٤ - المرجع السابق ص ١٥٥ .
C.B.M. McBurney, op. cit. P. 167
١٥ - C.B.M. McBurney & R.W. Hey op. cit. P. 156
١٦ - المرجع السابق ص ١٥٧ .
١٧ - المرجع السابق ص ١٦٢ .
١٨ - المرجع السابق ص‌ص. ١٦٢ ، ١٦٧ .
١٩ - المرجع السابق ص ١٦٧ وما يليها .
٢٠ - C.B.M. McBurney, op. cit. PP. 168 ff.
٢١ - C.B.M. McBurney & R.W. Hey op. cit. P.162
٢٢ - ابرهيم أحمد رزقانة ، المرجع السابق ص ١١٤

٢٣ ـ C.B.M. McBurney, op. cit. PP. 174 ff. & figure 21 P. 175 & figure 22 P.176 & figure 23 P. 177
وهى صور للآلات الحجريـة من وادى مردم . وانظر أيضا نماذج من الصناعة العاطرية فى وادى غان فى الشكل رقم ٢٤ ص ١٧٨ ، وشكل رقم ٢٥ ص ١٧٩ من الكتاب المذكور ، راجع أيضا .
C.B.M. McBurney, & R.W. Hey, op. cit. P. 225 P. 6

٢٤ ـ المرجع السابق ص ١٨٠ ـ قارن
F. Chamoux, Cyréne Sous La Monarchie Des Battiades Paris, 1953, P. 37

٢٥ ـ C.B.M. McBurney, op. cit. P. 160

٢٦ ـ المرجع ص ٢٢٥ وما يليها ، ابرهيم احمد رزقانة ، المرجع السابق ص ١١٧ . وعلى العكس من رزقانة يرى ما كبيرنى أن الحضارة القفصية لم تصل الى مصر ، وانما الحضارة التى وصلتها كانت حضارة وهران .
C.B.M. McBurney, ibid P. 219

٢٧ ـ U. Paradisi, Prehistoric Art. in Gebel el-Akhadar (Cyrenaica), *Antiquity*, xxxix, N. 154, June 1965 PP. 95 - 101 PP. 95, 99, 101

٢٨ ـ C.B.M. McBurney & R.W. Hey, op. cit. P. 249

٢٩ ـ ابراهيم احمد رزقانة ، الآلات الحجرية ، القاهرة ١٩٥٢ ص ٩٤ .

٣٠ ـ راجع حاشية ٢٤ أعلاه .

٣١ ـ C.B.M. McBurney & R.W. Hey, op. cit. P. 220 ff.; McBurney, op. cit. P. 223

٣٢ ـ C.B.M. McBurney & R.W. Hey, op. cit. P. 225 ff.

٣٣ ـ F. Chamoux, op. cit. P. 37

٣٤ ـ نفسـه .

٣٥ ـ Herodotus iv, 183.

٣٦ ـ انظر أدناه ص ٥٢

٣٧ ـ C.B.M. McBurney & R.W. Hey, op. cit. P. 262 ff.

٣٨ ـ C.B.M. McBurney, op. cit. P. 264 ff. pls. 15 - 24; Arte Preistorica del Sahara Libico, de Luca editore, Roma 1960;
وخاصة اللوحات التى توضح الرسوم المحفورة على الصخور .
P. Graziosi, Arte rupestre del Sahara Libico, Firenze, 1962.

٣٩ ـ ابرهيم احمد رزقانة ، الحضارات المصرية فى فجر التاريخ ص ١٥٠ .

٤٠ ـ هذا هو راى احمد سليمان حزين ، كما أورده عبد العزيز صالح فى كتابه «حضارة مصر القديمة وآثارها» ، الجزء الأول القاهرة ١٩٦٢ ص ١٠٧ حاشية رقم ١٠٤ .

٤١ ـ انظر حاشيـة رقم ٣٩ .

٤٢ ـ احمد فخرى ، مصر الفرعونية ، القاهرة ١٩٥٧ ص ١٠ .

٤٣ ـ نفسه ، ص ٩ وما يليها .

٤٤ ـ عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ص ١٤٦ وما يليها ، ابرهيم أحمد رزقانة ، المرجع السابق ص ١٦٢ .

٤٥ ـ ابرهيم أحمد رزقانة ، المرجع السابق ص ٢١٢ .

٤٦ ـ C.B.M. McBurney & R.W. Hey, op. cit. P. 262

٤٧ ـ F. Chamoux, op. cit. P. 39

٤٨ ـ راجع حاشية ٣٨ .

٤٩ ـ C.B.M. McBurney & R.W. Hey, op. cit., P. 272 ff.

٥٠ ـ عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ص‌ص. ١٨٧ ، ١٨٩ وشكل ٢٣٠ ص ١٨٧
F. Chamoux, op. cit. P. 40

٥١ ـ عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ص‌ص ١٩١ ، ١٩٢ حاشية ٣٦ .
F. Chamoux, op. cit. P. 40

٥٢ ـ عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ص ١٩٣ .

٥٣ ـ نفسـه ص‌ص. ٢٢٤ ، ٢٢٧ .

٥٤ ـ نفسـه ص ٢٢١ .

٥٥ ـ انظر حاشيـة ٥٣ .
F. Chamoux, op. cit. P. 41

٥٦ ـ المرجع نفسه ، الصفحة نفسها ، سليم حسن ، مصر القديمة جـ ٧ القاهرة ١٩٥٠ ص ٢٢ وما يليها.

٥٧ ـ اتيين دريوتون ، وچاك ڤانديه ، مصر ، تعريب عباس بيومى . القاهرة ؟ ص ١٥٥ . احمد فخرى ، المرجع السابق ص ٤٩ .

٥٨ ـ احمد فخرى ، المرجع السابق ص ٥٦ ذكر أن الملك «خع سخم» من ملوك الأسرة الثانية حارب الليبيين .

٥٩ ـ تحدث المؤرخ المصرى ما نيثون عن ثورة قام بها الليبيون فى مصر فى أوائل عهد الأسرة الثالثة ضد الملك (نفر كارع) ، وانـه عندما زاد حجم القمر تشاءم الليبيون والقوا أسلحتهم ! راجع .
O. Bates, ibid. P. 210 ff.

٦٠ ـ اتيين دريوتون ، وچاك ڤانديه ، المرجع السابق ص ١٩٣ .

٦١ ـ سليم حسن ، المرجع السابق ص ٢٣ .
F. Chamoux, op. cit. P. 42

٦٢ ـ سليم حسن ، المرجع السابق ص ٢٤ وما يليها .
F. Chamoux, op. cit. P. 43

٦٣ ـ سليم حسن ، المرجع السابق ص ٢٥ وما يليها .

٦٤ ـ نفسـه ص ٢٧ .

٦٥ ـ فى رأى جاردنر أن (تحنو) أو (تيحنو) اسم يطلق على سكان البلاد الذين كانوا يسمون (حاتيوعا) Gardiner, Onomastica, I P. 116 ff.
، وهذا المرجع أورده سليم حسن ، المرجع السابق ص٣٢ حاشية رقم ٤ ، وراجع أيضا سليم حسن ص‌ص. ٢٩ ، ٣١ وما يليها .
F. Chamoux, op. cit. P. 43

٦٦ ـ سليم حسن ، المرجع السابق ج ٣ ص‌ص. ٣٦ ، ٤٤ ، ١٨٧ ، ج ٤ ص ٢٣٣ ، حـ ٥ ص أ ٢٠١ ، حـ ٦ ص ٤٦ .

٦٧ ـ F. Chamoux, op. cit. P. 44

٦٨ ـ سليم حسن ، المرجع السابق حـ ٧ ص ٣٧ .

٦٩ ـ المرجع السابق ص ٣٧ وما يليها . أحمد فخرى ، المرجع السابق ص ١١٩ وما يليهـا .

٧٠ ـ O. Bates, op. cit. P. 48 ff.

٧١ ـ O. Bates, op. cit. P. 245 ff.

٧٢ ـ سليم حسن ، المرجع السابق حـ ٧ ص ٦٥ وما يليها .

٧٣ ـ سليم حسن ، المرجع السابق حـ ٧ ص ٣٨ وما يليها ، احمد فخرى المرجع السابق ص ١٢٥ وما يليهـا .

٧٤ ـ سليم حسن ، المرجع السابق ج ٣ ص ٣٦ .

٧٥ ـ F. Chamoux, op. cit. P. 45

٧٦ ـ احمد فخرى ، المرجع السابق ص ١٧٠ وما يليها .

٧٧ ـ نفسه ص ١٧١ ، سليم حسن ، المرجع السابق حـ ٧ ص ٣٨ .

٧٨ ـ سليم حسن ، المرجع السابق حـ ٣ ص ١٨٧ .

F. Chamoux, op. cit. P. 45

٧٩ ـ F. Chamoux op. cit. P. 45, Diod. 1. 53.

٨٠ ـ الحاشيــة السابقة .

٨١ ـ سليم حسن ، المرجع السابق ج ٤ ص ٢٣٣ .

٨٢ ـ حاشية رقم ٦٨ .

٨٣ ـ سليم حسن ، المرجع السابق حـ ٧ ص ٤٠ .

٨٤ ـ أحمد بدوى ، المرجع السابق ج ٢ ص ٣٩٥ .

٨٥ ـ F. Chamoux, op. cit. P. 50

٨٦ ـ احمد بدوى ، المرجع السابق حـ ٢ ص ٣٨٥ وحاشية رقم ١ ، سليم حسن ، المرجع السابق حـ ٤ ص ٢٣٢ .

٨٧ ـ O. Bates, op. cit. P. 213

٨٨ ـ الحاشيــة السابقــة .

٨٩ ـ سليم حسن ، المرجع السابق ج ٤ ص ٣٨٧ .

٩٠ ـ نفســه ، ج ٥ ص ٢٠١ .

٩١ ـ O. Bates, op. cit. P. 213

٩٢ ـ سليم حسن ، المرجع السابق ج ٥ ص ٤٣٩ .

٩٣ ـ نفسه ج ٧ ص ٤٤ وما يليهـا .

٩٤ ـ اتيين دريوتون وچاك ڤانديه ، المرجع السابق ص‌ص. ٤٦٩ ، ٥٠٣ ، أحمد بدوى ، المرجع السابق ج ٢ ص ٨٤٥ وما يليها .

٩٥ ـ سليم حسن ، المرجع السابق ج ٦ ص ٤٩ .

٩٦ ـ انظر حاشيــة ٩٤ .

٩٧- A, Rowe, A History of Ancient Cyrenaica, Supplément aux Annales Du Service Des Antiquités de L'Egypte. Cahier No. 12, Le Caire, 1948 P. 4

٩٨- idem, A Contribution to the Archaeology of the Western Desert (Reprint from the Bulletin of the John Rylands Library) Vol. 36 7 2 March 1954 P. 485

٩٩- F. Chamoux, op. cit. P. 50 ff., O. Bates, op. cit. P.214
وسليم حسن ، المرجع السابق حـ ٦ ص ٢٤٠ .

١٠٠ - سليم حسن ، المرجع السابق حـ ٦ ص ٢٤٠ .

١٠١- O. Bates, op. cit. P. 214 ff. F. Chamoux, op. cit. P. 51

١٠٢ - راجع هذه النصوص عند سليم حسن ج ٧ من ص ٨٤ الى ص ١٠١ أحمد بدوى ، المرجع السابق ج ٢ ص ٨٨٩ .
O. Bates, op. cit. PP. 215 - 219

١٠٣ - سليم حسن ، المرجع السابق ج ٧ ص ٨٩ .

١٠٤ - اتيين دريوتون ، وجاك ڤانديه ، المرجع السابق ص ٣٩٧ .

١٠٥ - راجع سليم حسن ، المرجع السابق ج ٧ ص ٢٨٦ .

١٠٦ - نفسه ص ٢٨٨ .

١٠٧- O. Bates, op. cit. P. 220

١٠٨ - سليم حسن ، المرجع السابق ج ٧ ص ٣٠٦ وما يليها .

١٠٩ - انظر حاشية ١٠٧ .

١١٠ - سليم حسن ، المرجع السابق ج ٧ ص ٣٢٣ ومايليهـا .

١١١ - المرجع السابق ج ٧ ص ٤٤ وما يليها ، ص ٥٦ وما يليها .

١١٢ - اتيين دريوتون ، جاك ڤانديه ، المرجع السابق ص‌ص. ٥٧٠ ، ٥٧٤ وما يليها ،

١١٣ - اتيين دريوتون ، وجاك ڤانديه ، المرجع السابق ص ٥٩٠ .
أحمد فخرى ، المرجع السابق ص ٣٣٦ وما يليها .
O. Bates, op. cit. P. 228
F. Chamoux op. cit. P. 57

١١٤- O. Bates, P. 46

١١٥- Expedition, The Bulletin of the University Museum of the University of Pennsylvania, Spring 1963 vol. 5. N. 5

١١٦- O, Bates, op. cit, PP. 73 - 90
وعبد العزيز صالح ، حضارة مصر القديمة وآثارها ، ج ١ ، القاهرة ١٩٦٢ ص‌ص ٢٢ - ٢٥ ، ٢٩ .

١١٧- Herod. iv 155

١١٨- Cf. F. Chamoux, ibid. P. 96 & No. 1

١١٩- Herod. IV. 192

١٢٠ ـ راجع حاشيــة ١٠٢ .
١٢١ ـ راجع حاشية ٦٠ ، ١٠٢ ، ١٠٥ .
١٢٢ ـ O. Bates, op. cit. P. 94
١٢٣ ـ حاشية ١١٥
O. Bates, P. 101
١٢٤ ـ O. Bates, P. 104
١٢٥ ـ اتيين دريوتون ، وچاك ڤانديية ، المرجع السابق ص ١٠٩ .
ibid. P. 108 ff.
١٢٦ ـ نفســه .
١٢٧ ـ idem P. 117 ff.
١٢٨ ـ سليم حسن ، المرجع السابق ج ٧ ص ٥٧ وما يليها .
١٢٩ ـ نفســه ص ٤٥ .
١٣٠ ـ O. Bates, op. cit. P. 134 ff.
١٣١ ـ نفســه ص ١٣٥ .
١٣٢ ـ نفســه ص ١٤٢ وما يليها .
١٣٣ ـ نفسه ص ١٥٠ وما يليها ، سليم حسن ، المرجع السابق ج ٧ ص ٥٣ .
١٣٤ ـ O. Bates, op. cit. P. 150
١٣٥ ـ سليم حسن ، المرجع السابق ح ٧ ص ٥٣ .
O. Bates, op. cit. P. 148
١٣٦ ـ O. Bates, op. cit. P. 153
١٣٧ ـ نفســة راجع شكل ٣٣ ص ١٢٨ .
١٣٨ ـ نفســه ص ١٥٣ .
١٣٩ ـ نفســه ص ١٥٥ .
١٤٠ ـ راجع حاشية ١٣٧ ص ١٥٩ من المرجع نفسه .
١٤١ ـ نفســه ص ١٦٨ .
١٤٢ ـ نفســه ص ١٧٢ .
١٤٣ ـ راجع حاشــة ٦٢
O. Bates, op. cit. P. 184
١٤٤ ـ نفســه ص‌ص ١٨٧ وما يليها ، ١٨٩ وما يليها .
١٤٥ ـ F. Chamoux, op. cit. P. 333
١٤٦ ـ O. Bates, op. cit. P. 205 ff.
١٤٧ ـ S. Gsell, Hérodote, Textes Relatifs a L'histoire de L'Afrique du Nord. Alger, 1915 P. 66 ff.
١٤٨ ـ المرجع السابق ص ٥٨ . راجع ما ذكره هيكيتايوس عن ليبيا المرجع السابق ص ٢٤١ .
١٤٩ ـ ذكر هيرودوت فى هذه الفقرة ، أن المراة من هذه القبيلة كانت تخرج الحشرات من راسها وتلقيها بعيداً بعد أن تمتصها . وقال أن هذه عادة انفردت بها هذه القبيلة دون سائر القبائل .

١٥٠ ـ ميناء (سيدى برانى) راجع .
F. Chamuox ibid. P. 227

١٥١ ـ المرجع السابق ص ٢٢٥ وما يليها وراجع أيضا .
S. Gsell, ibid. P. 121

١٥٢ ـ R.G. Goodchild, Tabula Imperii Romani, The Society of Antiquaries of London, 1954. P. 14.

١٥٣ ـ فى موقع البرديـة .
F. Chamoux P. 62 ff.

١٥٤ ـ R.G. Goodchild, op. cit. P. 12. cf. Chamoux. op. cit. P. 118 ff.

١٥٥ ـ O. Bates, op. cit. P. 53

١٥٦ ـ F. Chamoux op. cit. PP. 47 - 50, O. Bates op. cit. P. 51
E. Rosenbaum, A. Catalogue of Cyrenaican Portrait Sculpture, Lond. 1960 PP. 8, 21 ff.

١٥٧ ـ O. Bates, op. cit. P. 40

١٥٨ ـ F. Chamoux, op. cit. P. 129

١٥٩ ـ راجع توزيع القبائل على خريطـة ليبيـا .
O. Bates, op. cit. P. 53 map. III

١٦٠ ـ F. Chamoux, op. cit. PP. 114, 128 ff., A.H.M. Jones, The Cities of the Eastern Roman Provinces, Oxford, 1937, P. 351

١٦١ ـ Herodotus. IV 159

١٦٢ ـ نفسـه .

١٦٣ ـ اتيين دريوتون ، وچاك ڤانديبه ، المرجع السابق ص ٦٣٧ .
F. Chamoux, op. cit. P. 135

١٦٤ ـ Herodotus IV 159, F. Chamoux. op. cit. P. 135

١٦٥ ـ ibid. IV 160

١٦٦ ـ F. Chamoux, op. cit. P. 137

١٦٧ ـ Herodotus, IV 160

١٦٨ ـ F. Chamoux P. 135. N. 1

١٦٩ ـ Herodotus IV 161

١٧٠ ـ C.A.H. iii, P. 668 cf. 532, A.H.M. Jones, op. cit. P. 353

١٧١ ـ Herodotus IV. 171, A.H.M. Jones, op. cit. P. 356

١٧٢ ـ S.E.G. I. 1, 2. cf.
S. Reinach, La Charte Ptolémaïque de Cyrene, Revue Archéologique, 5e Serie, Tome XXVI Jul. - Dec., 1927
F. Chamoux, op. cit. P. 223 ff.

١٧٣ ـ F. Chamoux, ibid. P. 223 ff.

١٧٤ ـ Herodotus, IV 200 ff.

١٧٥ ـ ibid. IV. 203

١٧٦ – A.T. Olmstead, History of the Persian Empire, (Phoenix Books) Chicago, 1963, P. 149

١٧٧ – نفســـه ص ٢٤٤ .

١٧٨ – نفســـه ص ٢٤٦ .

١٧٩ – F. Chamoux, op. cit. P. 166

١٨٠ – اتيين دريوتون وچاك ڤانديه ، المرجع السـابق ص ٦٥٧ .
A.T. Olmstead, op. cit. PP. 303, 308, 12, F. Chamoux op. cit PP. 165, 202, 204.

١٨١ – A.T. Olmstead. op. cit. P. 312, Herod. iii. 15

١٨٢ – C.A.H. iii. PP. 684, cf. F. Chamoux, op. cit. P. 162 ff.

١٨٣ – انظر الحاشيـــة السـابقـــة .

١٨٤ – A.H.M. Jones, op. cit. P. 355 ff.

١٨٥ – Diodorus, XVII, 19 - 21

١٨٦ – ابراهيم نصحى ، تاريخ مصر فى عصر البطالمة جـ ١ ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٦٠ ص ٥٦ .
M. Cary, A. History of the Greek World. from 323 - 146 B.C., 2nd ed. London. 1951 P. 12

١٨٧ – راجع نص هيرودوت فيما يتعلق بهذه القبائل .
O. Bates, op. cit. P. 92

١٨٨ – Herodotus, ii, 32, iv. 192

١٨٩ – O. Bates, op. cit. P. 93 ff.

١٩٠ – E.W. Bovill, The Golden Trade of the Moors, London, 1958. P. 9.

١٩١ – E.W. Bovill, op. cit. P. 11

١٩٢ – idem, P. 16

١٩٣ – idem, P. 16 ff.

١٩٤ – Herodotus, ii, 32, E.W. Bovill, op. cit. P. 19 ff.

١٩٥ – M. Rostovtzeff, Social and Economic History of the Roman Empire, 2nd ed. Oxford, 1957, vol. I. P. 335

١٩٦ – O. Bates, op. cit. P. 49, E.W. Bovill, op. cit. PP. 22 ff., 30 Theophrastus, Frag. ii. 3, Pliny xxxvii 7, Strabo, xvii

١٩٧ – E.W. Bovill, op. cit. P. 27 ff.

١٩٨ – O. Bates, op. cit. P. 103

١٩٩ – T.K. Penniman, A Hundred Years of Anthropology, London. 1952 2nd ed. P. 167

٢٠٠ – O. Bates, op. cit. PP. 111, 117, cf. S. Gsell, op. cit. P. 196

٢٠١ – idem. P. 110

٢٠٢- idem. P. 117
٢٠٣- O. Bates, op. cit. P. 144 ff.
٢٠٤- D.E.L. Haynes, An Archaeological Historical guide to the pre-Islamic antiquities of Tripolitania, Tripoli, 1959, P. 22
٢٠٥- O. Bates, op. cit. P. 153 ff. Herodotus iv. 189.
٢٠٦- O. Bates, op. cit. P. 173 & N. 6
٢٠٧- Herodotus, IV 173, O. Bates, op. cit. P. 174
٢٠٨- idem, IV. 172. O. Bates, op. cit. P. 174
٢٠٩- Herodotus, ii. 50
٢١٠- idem, IV. 179
٢١١- O. Bates, op. cit. P. 186
٢١٢- Herodotus, IV 188. O. Bates, op. cit. PP. 187 & N. 1, 188
٢١٣- Herodotus, IV. 180, O. Bates op. cit. P. 203 ff.
٢١٤- O. Bates, op. cit. P. 55
٢١٥- SEG. IX, 77,
٢١٦- راجع ، ابراهيم نصحى ، المرجع السابق ص ١٠٤ .
٢١٧- A. Rowe, op. cit. P. 41 ff.
٢١٨- O. Bates, op. cit. P. 40
٢١٩- idem, P. 180
٢٢٠- انظر حاشيــة ١٧٢ .
٢٢١- M. Rostovtzeff Social and Economic History of the Hellenistic World. Oxford, 1941, P. 310 C.A.H. XI, 670, A.H.M. Jones, op. cit. PP. 361, 486 N. 13.
٢٢٢- عن الفينيقيين فى طرابلس ، راجع .
D.E.L. Haynes, op. cit. P. 25 ff.
٢٢٣- انظر ترجمة نص الوصية ، عبد اللطيف احمد على ، مصر والامبراطوريــة الرومانية ، القاهرة ١٩٦٠ ص ١٠ وراجع ايضا .
S.E.G. IX, 7
M.N. Tod, Greek Inscriptions III, *Greece and Rome,* Vol. II. N. 4 Oct. 1952 PP. 47 - 51
٢٢٤- D.E.L. Haynes, op. cit. P. 33 ff.
٢٢٥- O. Bates, op. cit. PP. 55 - 65
٢٢٦- idem P. 65 ff.
٢٢٧- idem P. 96 ff.
٢٢٨- idem P. 100
٢٢٩- Diodorus, iii. 49. 3., O. Bates, op. cit. P. 105

٢٣٠ - O. Bates. op. cit. P. 105

٢٣١ - idem, P. 107

٢٣٢ - idem P. 114 ff.

٢٣٣ - idem PP. 119, 121

٢٣٤ - idem P. 128 ff.

٢٣٥ - راجــع حاشــة ٢٢٩ .

٢٣٦ - O. Bates, op. cit. P. 129 ff.

٢٣٧ - idem P. 172 ff.

٢٣٨ - idem P. 179 ff.

٢٣٩ - idem P. 180 ff.

٢٤٠ - راجــع حاشــة ٢٠٤ .

٢٤١ - O. Bates, op. cit. P. 181

٢٤٣ - D.E.L. Haynes, op. cit. P. 23

٢٤٤ - idem, PP. 153 - 162, R.G. Goodchild, The Latino - Libyan inscriptions of Tripolitania, *The Antiquaries JNL.* vol. xxx Nos. 3, 4 PP. 135 - 144, P. 143 N. 2

٢٤٥ - نفســه ، نفس الصفحة .

R.G. Goodchild, J.B.W. Perkins, The Limes. Tripolitanus in the light cf. Recent Discoveries *JRS* XXXIX, 1941, PP. 81 - 95, P. 81.

٢٤٦ - P. Romonelli, La Cirenaica Romana, 96 a.c. - 642 d.c.) Verbania, 1935. P. 39, K.H. Kraeling, Ptolemais, Chicago 1962, P. 11 & Notes 25 - 54

٢٤٧ - P. Romanelli op. cit. P. 50 ff., K.H. Kraeling op. cit. P. 13 ff.

٢٤٨ - D.E.L. Haynes op. cit. P. 36

٢٤٩ - E.W. Bovill, op. cit. P. 31 ff.

٢٥٠ - S.E.G. IX, 63, O.G. 15, 767. cf. P. Romanelli, op. cit. P. 76 ff., J.M. Reynolds, The Inscriptions of Roman Tripolitania, Rome, 1952 N. 301.

هــذا النقش يخص الحرب ضد الجيتوليين . وتصــور احدى لوحات الفسيفساء فى زليطن اسرى الجيتوليين وهم يقتلون بقســوة فى المسـرح الدائـرى ، راجــع .

M. Rostovtzeff, Social and Economic History of the Roman Empire. 2nd ed., Oxford. 1957 PP. 338, 686. cf. C.A.H. vol. X, 213; vol. XI P. 667

٢٥١ - E.W. Bovill, op. cit. P. 37 ff. D.E.L. Haynes, op. cit. P. 37

٢٥٢ - R.G. Goodchild, op. cit. P. 81

٢٥٣ – E.W. Bovill, op. cit. P. 39 ff., D.E.L. Haynes op. cit. P. 37 cf. C.A.H. XI, P. 145, Tacitus, Hist. IV, 49 - 50, Phiny N.H. V. 38, O. Brogan, The Camel in Roman Tripolitania, P.B.S.R. vol. XXII, 1954, PP. 126 - 131. P. 128, R.G. Goodchild, Oasis Forts of Legio III on the Routes to Fezzan, P.B.S.R. vol. xx II, New Series IX, 1954 P. 56

٢٥٤ – انظر الحاشية السابقة .

٢٥٥ – E.W. Bovill, op. cit. P. 45

٢٥٦ – D.E.L. Haynes, op. cit. P. 38 ff.

٢٥٧ – R.G. Goodchild & J.W. Perkins, op. cit. P. 82 ff.

٢٥٨ – ويجب أن يراجع فى ضوء آراء جود تشيلد ما ذكره بيتس عن القلاع الموجودة أسفل خليج سرت وحول قمينس من انها ترجع الى أقدم من العصور اليونانية والرومانية .

R.G. Goodchild, The Roman and Byzantine Limes in Cyrenaica, *JRS*. vol. XLIII (1953) PP. 65 - 76. P. 67, idem, Mapping Roman Libyan, The *Geographical JNL*. vol. CXVII, Part 2, June 1952, PP. 142 - 152 P. 147 ff.
O. Bates, op. cit. P. 161 ff.

٢٥٩ – راجع جود تشيلد فى مقالتيه المذكورتين فى الحاشية السابقة .

٢٦٠ – D.E.L. Haynes, op. cit. P. 39

٢٦١ – R.G. Goodchild, The Latino - Libyan Iscriptions of Tripolitania, *The Antiquaries, JNL*. vol. xxx, PP. 135 - 144, P. 139

٢٦٢ – D.E.L. Haynes, op. cit. PP. 148 ff., 135 ff.

٢٦٣ – idem P. 40

٢٦٤ – C.A.H. XI, 671

٢٦٦ – A.H.M. Jones, Cities of the Eastern Roman Provinces PP. 362, 486 N. 14, M. Rostovtzeff, op. cit. P. 305

٢٦٧ – D.E.L. Haynes, op. cit. P. 51

٢٦٨ – راجع حاشية ٢٤٢ . وقد حاول جودتشيلد فى هذا المقال ان يثبت أن النقوش التى عثر عليها فى هذه المواقع انماهى نقوش كتبت باللغة الليبية القديمة التى رجح انها كانت اللغة التى كان الليبيون يتداولونها فيما بينهم خلال القرون الأربعة الأولى للميلاد فى المنطقة الممتدة من فزان حتى الساحل ، وانها كانت مستعملة فى عصر سابق بكثير على قدوم الرومان ، وأن لها اتصالا باللغة الليبية التى كانت منتشرة فى شمال افريقيا . وقال جودتشيلد أيضا أن هناك نقوشا باللغة الفينيقية الحديثة ومكتوبة أيضا بالحروف اللاتينية . ولا ينبغى أن يفسر ذلك بأن أصحاب اللغة الفينيقية كانوا قوما هاجروا من الساحل الى الداخل ، فاستعملوا لغتهم تلك ، ثم انه

عندما غلب العنصر الليبى على أهل الثغور استعمل لغته اللاتينية . وقد كتب جودتشليد مقالا ثانيا بعنوان .

La Necropoli Romano - Libica Bir ed Dreder, *Quaderni di Archaelogia della Liba* - fasc. N. 3, Roma, 1954 PP. 91 - 107

ردد فيه نفس دعواه السابقة ، ولكن ديلا فيدا أثبت أن النقوش التى أوردها جودتشيلد فى مقالتيه انما هى نقوش صيغت باللغة الفينيقية الحديثة ، وكتبت بحروف لاتينية ، راجع .

G. Levi Della Vida, Sulla Iscrizioni, Latino - Libiche della Tripolitania, (Estratto "Oriens Antiquus") vol. II fas. I. 1963 PP. 65 - 92

٢٦٩ – R.G. Goodchild, The decline of Cyrene and Rise of Ptolemais, *Quaderni di Arch. della Libia* N. 4 P. 91, 94

R.G. Goodchild Cyrene and Apollonia, Dept. of Antiquities, United Kingdom of Libya, 2nd ed. 1963, P. 23, cf. O Bates, op. cit. P. 236

٢٧٠ – R.G. Goodchild, op. cit. P. 23, E.K.H. Kraeling, op. cit. P. 19 ff

٢٧١ – D.E.L. Haynes, op. cit. P. 55, R.H. Warmington, The North African Provinces from Diocletian to the Vandal Conquest. Cambridge, 1954, P. 1 ff.

٢٧٢ – D.E.L. Haynes, op. cit. P. 56 ff., R.H. Warmington, op. cit. PP. 66, 76.

D.E.L. Haynes op. cit. P. 56

٢٧٣ – ظهر اسم هذه القبيلة فى مصادر العصر البيزنطى مرتبطاً بقبيلة لواتة ، راجع

٢٧٤ – D.E.L. Haynes, op. cit. P. 57 ff., R.H. Warmington op. cit. PP. 9 ff., 19, O. Bates, op. cit. P. 237

٢٧٥ – D.E.L. Haynes op. cit. P. 58

٢٧٦ – R.G. Goodchild, op. cit. P. 26 ff. O. Bates op. cit. P. 237

٢٧٧ – O. Bates, op. cit. P. 67 P. Romanelli, op. cit. P. 140

٢٧٨ – عن هذه القبيلة ، راجع . O. Bates. op. cit. P. 67

D.E.L Haynes, op. cit. P. 62 ff.

٢٧٩ – D.E.L. Haynes op. cit. P. 63

٢٨٠ – R.G. Goodchild, op. cit. P. 28

٢٨١ – idem

الأوضاع الدستورية في برقة
من عصر أسرة باتوس إلى عصر الإمبراطور أغسطس

الأوضاع الدستورية فى برقة

لعله يكون من المفيد أن نمهد لموضوعنا بعرض موجز لأهم الملامح الأساسية فى تاريخ برقة فى الفترة التى نعالج فيها أوضاعها الدستورية .

فى عام ٦٣١ ق.م. نزل بأرض برقة دوريون من اغريق جزيرة ثيرا وقد تمكنوا بمساعدة قبيلة الأسبوستاى الليبية من انشاء قورينى أولى مستعمراتهم فى هذا الاقليم من ليبيا . وقد قام على حكمها الملك باتوس الأول، الذى أنشأ بها أسرة حاكمة استمرت حتى حوالى عام ٤٤٠ ق.م. وفى أثناء هذه الفترة احتدم صراع بين الملكية والأرستقراطية ، تمثل فى الخلاف الذى نشب بين الملك أوكيسيلاوس الثانى ، رابع ملوك الأسرة ، وأخوته . وقد ترتب على هذا الصراع خروج هؤلاء الأخوة من المدينة الى حيث أنشأوا بمساعدة قبيلة الجيليجاماى من انشاء مدينة برقة (= المرج) ، وذلك حوالى عام ٥٧٠ ق.م. [١] وعلى عهد الملك باتوس الثالث كان الصراع بين الملكية والأرستقراطية على أشده . وفى الوقت نفسه كان الوافدون الجدد من الاغريق يطالبون بأن يكون لهم نصيب من الامتيازات التى كان المستعمرون الأوائل الذين وفدوا من جزيرة ثيرا قد احتكروها لأنفسهم[٢] . ورغبة من أهل المدينة فى ايجاد حل لهذه المنازعات ، اتفقوا على دعوة ديموناكس ، وهو مشرع من أركاديا ، ليعيد تنظيم العلاقات بين الملك ورعاياه من ناحية ، والعلاقات بين المستعمرين الأوائل والمستعمرين الجدد من ناحية أخرى[٣] . ولكن الملكية عادت تريد استرداد ما سلبه منها هذا المشرع[٤] . وقد ترتب على ذلك مزيد من الاضطرابات التى أودت آخر الأمر بالملكية حوالى عام ٤٤٠ ق.م. وبعد هذا التاريخ أصبحت المدينة مسرحا لصراع عنيف بين

الأرستقراطية أو الأوليجاركية ، وبين الديمقراطية . وقد استطاعت القوى الديمقراطية أن تنتصر[5] . ولكن انتصارها لم يدم طويلا اذ استغل بطلميوس والى مصر هذا الصراع الحزبى وتدخل لمصلحة المنفيين من أوليجاركية المدينة ، واستطاع فى عام ٣٢٢ ق.م. أن يحتل المدينة[6] . ومن ثم خضعت بقية مدن برقة الاغريقية الأخرى لحكم البطالمة . وهذه المدن هى : برقة وتوخيرا (= توكرة) ، ويوسبيريدس (= بنغازى) . وأثناء العصر البطلمى تغير اسم توخيرا الى أرسنوى ، ويوسبيريدس الى بيرينيكى . وظهرت مدينة جديدة باسم بطوليميس (= طلميثة) ، وكانت هذه المدينة تعرف قبل ذلك باسم ميناء برقة . وفى فترة تراخت فيها قبضة البطالمة على برقة ، عمدت مدنها الى تكوين حلف فيما بينها حوالى عام ٢٦٥ ق.م. ووضع المشرعان اكديموس وديموفانيس دستورا لهذا الحلف. ولكن الحلف لم يقدر له أن يستمر اذ كان بطلميوس الثالث قد استعاد السيطرة على برقة[7] . وقد استمر الحكم البطلمى لبرقة حتى ورث الشعب الرومانى ملكها بمقتضى وصية بطلميوس أبيون ، آخر ملوك البطالمة الذين حكموا فى برقة ، وذلك بعد وفاته فى عام ٩٦ ق.م. [8] .

وقد اكتفى مجلس الشيوخ الرومانى بوضع يده على الأراضى الملكية وترك للمدن الاغريقية الحرية فى ادارة شئونها ، وشئون أراضيها . ولم يكن هذا القرار فى صالح المدن أو فى صالح قورينى بصفة خاصة[9] . اذ صارت هذه المدينة نهبا لأعمال الطغيان والتسلط . وتعرضت لمحاولات متعددة من جانب بعض الطغاة للاستئثار بحكمها[10] . ولم تجد الادارة الرومانية بدا من تحويل برقة بأكملها فى عام ٧٤ ق.م. الى ولاية رومانية ولما لم تتحسن الأحوال بها ضمتها الى جزيرة كريت فى عام ٦٧ ق.م. لتكونا معا ولاية واحدة من ولايات الامبراطورية الرومانية . ولكن كل ذلك لم يكن كافيا . واستمرت برقة تعانى من أعمال الفوضى والاضطراب . وزاد الأمر سوءا أن برقة دخلت فى دوامة الصراع الحزبى فى روما ، وأعلن أنطونيوس أن برقة ملك خاص لابنته كليوباترة سيلينى ، من كليوباترة ملكة مصر . وأخيرا فى عام ٢٧ ق.م.

وعلى عهد الأمبراطور أغسطس ، قسمت الولايات الرومانية بينه وبين مجلس الشيوخ . وضمت برقة الى جزيرة كريت ، وأصبحتا من جديد ولاية واحـدة عهد بحكمها الى مجلس الشيوخ[11].

ويمكن أن نقسم تاريخ برقة الى الفترات الرئيسية الآتية :

أولا ـــ العصر الملكى . وندرس فى هذه الفترة دستور قورينى الأول ثم دستورها فى ضوء اصلاحات ديموناكيس[12] .

ثانيا ـــ الفترة بين سقوط الملكية وبداية الحكم البطلمى . وقد أصبـح للمدينة دستور ذو طابع ديمقراطى .

ثالثا ـــ فترة الحكم البطلمى . وفى هذه الفترة وضع للمدينـة دستور واضح المعالم عثر عليه مسجلا فى نقش على أحدى اللوحات[13] .

رابعا ـــ عهد الامبراطور أغسطس . وقد أصدر الامبراطور عددا من القرارات نستطيع أن نقف منها على معلومات هامة تتصل بموضوعنا[14] .

نستمد بعض معلوماتنا عن البناء الدستورى لمدينة قورينى عند أول نشأتها مما ذكره هيرودوت فى كتابه الرابع[15] . ومما ورد فى نقش من النقوش التى عثر عليها فى قورينى[16].

ذكر هيرودوت أن أهل ثيرا قرروا أن يبعثوا الى برقة برجال من أقسامها السبع على أن يختاروا واحدا من كل أخوين عن طريق القرعة .

أما النقش ، فهو المعروف باسم لوحة المؤسسين . ويرجح أن تاريخه يعود الى منتصف القرن الرابع ق.م. ويمكن أن نخرج منه بعدد من الحقائق من أهمها :

أولا ـــ أن حقوق المواطنة فى قورينى كانت تمنح لأهل ثيرا ، الذيـن قدموا لانشاء المستعمرة ، وكانت تمنح أيضا للذين بقوا فى الجزيرة .

ثانيا ـــ يدرج أهل ثيرا فى قبيلة **Phyle** وعشيرة **Patra** وتسع منظمات **Hetairoi** .

ثالثا ــ عند أول مجيىء أهل ثيرا الى قورينى ، كان يختار من كل أسرة واحد من أبنائها . ولا يملك عضو الأسرة ، الذى وقع عليه الاختيار ، الرفض . وتؤخذ على المهاجرين المواثيق على شكل قسم تحوطه الرهبة والقداسة . وكان كل مهاجر يمنح مساحة من الأرض عن طريق القرعة .

رابعا ــ اذا لم يتمكن المهاجرون من الاقامة فى قورينى ورغبوا فى العودة الى جزيرة ثيرا فان ذلك يكون فى امكانهم بعد مضى خمس سنوات. على أن يستعيدوا حقوقهم لدى عودتهم الى الجزيرة .

خامسا ــ يفهم من النص أنه فى امكان مواطنى ثيرا ومواطنى قورينى تبادل حقوق المواطنة فيما بينهم .

ويلاحظ بعض المؤرخين أن نص هيرودوت ، وتاريخه يعود الى القرن الخامس ق.م. ونص لوحة المؤسسين ، ويعود تاريخه الى القرن الرابع ق.م. يتفقان فى النص على اختيار واحد من كل أسرة للمجىء الى برقة لانشاء مستعمرة قورينى . ويرجح أن كلا من النصين قد نقل عن وثيقة أصلية من منتصف القرن السابع ق.م. أو من تاريخ كتب لأهل ثيرا من وقت مبكر[١٧] .

وبالرغم من قلة مصادرنا عن العصر الملكى ، وخاصة فى بدايته ، الا أنه يكاد يكون من المتفق عليه أن التنظيم السياسى لقورينى ، كان يطابق الى حد ما التنظيم السياسى فى ثيرا ، ولذلك فانه يفترض أن مواطنى المدينة وزعوا بين ثلاث قبائل **Phylai** وذلك على نسق نظام القبائل الثلاث التقليدى فى المدن الدورية ، والذى كان قائما فى جزيرة ثيرا الدورية[١٨] .اذ سنرى أن المشرع ديموناكس فى اصلاحاته التى أدخلها على دستور المدينة ، سيوزع المواطنين بين ثلاث قبائل . ويستوقف النظر فى نص لوحة المؤسسين ما ذكر عن ادراج أهل ثيرا فى قبيلة وعشيرة والمنظمات المعروفة باسم **Hetairoi** . ويكاد الأسم الاخير أن يكون اسما نادرا فى النظم السياسية اليونانية ولا يظهر الا فى جزيرة كريت وجزيرة ثيرا . ولذلك يرجح أن نظام هذه المنظمات قد اقتبس عن ثيرا . ويبدو أنها كانت منظمات عسكرية تشبه مثيلاتها فى

كريت ، كما وأنها تشبه أيضا منظمات Phiditai في اسبرطة[١٩] . وكان من الطبيعى أن يدرج المهاجرون الأوائل من ثيرا فى القبائل الثلاث . ومن ثم كان فى استطاعتهم أن يستأثروا وحدهم بكافة الحقوق والامتيازات السياسية ، خاصة وأنهم كونوا فيما بينهم ارستقراطية تستند الى ملكية الأرض . وهذه الأرض كانت قد منحت لهم لدى قدومهم الى قورينى . أما الاغريق الذين قدموا بعد ذلك فقد وجدوا أنفسهم فى وضع التابع بالنسبة لطبقة المستعمرين الأوائل . وفى رأى البعض أن هؤلاء الوافدين الجدد كونوا الطبقة المعروفة باسم طبقة « البيرأويكوى » Perioikoi [٢٠] .

وكان الملك فى قورينى صاحب السلطة المطلقة . وقد جمع فى يديه كافة الاختصاصات الدينية والمدنية والعسكرية . وبسنى حكمه كان يسجل تاريخ المدينة وذلك بوصفه كاهن أبوللون[٢١] . وقد قاد الملك أركيسيلاوس الثانى بنفسه الحملة العسكرية ضد اخوته وحلفائهم من الليبيين[٢٢] . وبصفة عامة كانت سلطة الملكية الاغريقية فى قورينى ، تشبه السلطة التى كان يتمتع بها ملوك المدن الاغريقية فى تاريخها المبكر . ولا بد وأن يكون هناك فى المدينة منذ البداية مجلس للمسنين أو الشيوخ Gerousia ، وان كان هذا المجلس سيظهر فى مصادر العصر البطلمى . وما دامت قورينى مستعمرة دورية فمن السهل أن نفترض وجود هيئة « الايفورووى » Epheroi الخمسة منذ البداية، سيما وأننا سنقف على معلومات تخص هذه الهيئة من مصادر العصر البطلمى . واذا جاز لنا أن نقرر أن قورينى قد أخذت نظام هذه الهيئة عن اسبرطة ، فانه ولا بد وأن الملك فى أول الأمر ، كان يختص بتعيينهم ، وأنه كان يعهد اليهم بجانب من اختصاصاته القضائية[٢٣] . وتكشف مصادر من عصر متأخر عن وجود مجلس جيروسيا ومجلس شورى Boule بجوار هيئة الايفوروى فى يوسبيريدس[٢٤] . ولذلك لنا أن نفترض أنه كان لقورينى كذلك مجلس شورى ، ليكتمل بذلك الشكل الدستورى لهذه المدينة الذى كان دستورها نموذجا احتذته مدينة يوسبيريدس على الأقل ، وهى احدى منشآت مدينة قورينى فيما يرجح ، وتأخر ظهورها حتى عام ٥١٠ ق.م. تقريبا.

وقد ذكر هيرودوت أن الملكة « فيريتيمى » Pheretime أم الملك أركيسيلاوس الثالث عقدت مع آخرين مجلسا ، أطلق عليه هذا المؤرخ اسم مجلس البولى Boule وذلك عقب مصرع ابنها فى مدينة برقة[٢٥]. وليس هناك ما يؤكد أن هيرودوت استعمل هذا الاسم بمعناه الدقيق وعنى به حقا مجلس شورى. ولا يستبعد أن يكون قد قصد به مجلسا للشيوخ[٢٦] .

وكنا نود لو كنا قد ظفرنا من هيرودوت ، أو من نقوش العصر الملكى على تفاصيل تتعلق بتشكيل المجالس وطريقة اختيار المرشحين لعضويتها . وليس أمامنا الا أن نرجح أنها كانت على نسق مجالس المدن الاغريقية المعاصرة تاريخيا لمدينة قورينى فى عصرها الملكى .

ولا نستطيع الا أن نحس بأننا بصدد دستور ذى طابع أوليجاركى ، تتمتع الأسرة Genos فى ظله بنفوذ واضح[٢٧] . وقد رأينا أنه روعى فى اختيار المستعمرين الأوائل أن يمثل كل أسرة من ثيرا واحد من أبنائها . واذا سلمنا بوجود مجالس للمدينة منذ عصر مبكر ، يحتكر عضويتها المستعمرون الأوائل ، فانه كان من السهل على ذلك العدد القليل من الأسر التى نزحت الى ثيرا أن تدير شئون المدينة عن طريق هذه المجالس . ذلك لأن هذه الأسر هى الوحدات التى تألفت منها طبقة المستعمرين الأوائل من ثيرا ، والتى يرجح — كما أسلفنا — أنها كانت تغلق على نفسها عضوية القبائل الثلاث . وكان من السهل بعد ذلك أن تحتكر أرستقراطية المدينة لنفسها مناصب الايفوروى ، والوظائف الرئيسية الأخرى ، التى لابد وأنها كانت موجودة منذ البداية فى قورينى ، ولكننا لا نعرف عنها شيئا ازاء صمت مصادرنا[٢٨] .

ويمكن أن نتصور أن البناء الدستورى لبرقة فى العصر الملكى كان قائما على أساس وجود مدن كبيرة ، مثل قورينى وبرقة ويوسبريدس ، يحيط بكل منها ريفها الخاص بها ، وأن الطبقة الممتازة من الاغريق كانت تخص نفسها بالسلطات الأساسية فى المدن ، وأن الريف بقراه ، كان موطنا لاغريق وفدوا حديثا من شتى أرجاء العالم اليونانى وذلك الى جانب اغريق من ثيرا ، وأن هؤلاء الاغريق من أهل الريف كانوا ، فيما يرجح ، يكونون

طبقة البيرىأويكوى Perioikoi [29] . والى جانب هؤلاء الاغريق من أهل المدن ، وأهل الريف ، كانت جموع الليبيين الذين انتزعت أراضيهم لتمنح للمهاجرين الذين وفدوا الى برقة ، لدعم العنصر الاغريقى بها . ويمكن بعد ذلك أن تتبين نظاما على رأسه ملك يتمتع بسلطات واسعة ، وأنه كان يقوم الى جانبه مجلس شيوخ ، ومجلس شورى ، ينبثقان عن هيئة المواطنين من الطبقة الممتازة ، التى ضمت المهاجرين الأوائل من أهل ثيرا . ومن هذه الطبقة كان يختار الايفوروى . والى جانب هيئة المواطنين الممتازة، هيئة أخرى لاغريق تنتظمهم طبقة ، ربما كانت طبقة البرىأويكوى ، التى لا ترقى الى مكانة الطبقة الأولى . ثم تأتى طبقة الليبيين . وهؤلاء ما كان لهم أن يندمجوا مع الاغريق ، الا اذا جاز لنا أن نستثنى أبناء السيدات الليبيات من آباء اغريق من مواطن قورينى . اذ أننا نعرف أن الاغريق ، عند أول مجيئهم الى برقة ، لم يصحبوا معهم العدد الكافى من النساء فتزوجوا من السيدات الليبيات[30] .

على أى حال ، كان لا بد أن تتعرض قورينى ، مثل بقية المدن الاغريقية المعاصرة لهزات دستورية عنيفة ، وأن تقع مصادمات حادة بين عناصر سكان المدينة . من ذلك ما ذكره هيرودوت أن الملك أركيسيلاوس الثانى (حوالى عام ٥٧٠ ق.م.) اختلف مع اخوته ، ودخل معهم فى صراع عنيف[31] . ويتساءل شامو ، أليس هذا بادرة مبكرة من بوادر الصدام بين الملكية والأرستقراطية وهذه كان يمثلها اخوة الملك[32] . وخرج هؤلاء الأخوة من المدينة لينشئوا بمساعدة الليبيين مدينة برقة . ثم نشبت الحرب بين الملك من ناحية ، وبين اخوته أو زعماء الأرستقراطية والليبين ، الذين أحسوا بمدى ما لحقهم من ضرر عندما انتزعت منهم أراضيهم لتمنح للمهاجرين الاغريق الجدد . وقد ذكر هيرودوت أن أهل قورينى طلبوا من مهبط الوحى فى دلفى النصح لوضع حد لمتاعبهم الداخلية على عهد ملكهم باتوس الثالث . وقد أشار الوحى باستدعاء مشرع من مدينة مانتينيا بأركاديا يدعى ديموناكس Demonax [33] واستدعاء مشرع يوحى بأن المدينة بعد مضى فترة طويلة على تأسيسها ،

أصبحت تواجه عددا من المشاكل الدستورية • وكان من بين هذه المشاكل ، النزاع بين الملكية والأرستقراطية ، والصراع بين المستعمرين ، الذين استأثروا بكافة الحقوق والامتيازات السياسية ، والمستعمرين الجدد ، الذين لم يسمح لهم ، فيما يبدو ، بالاندماج فى القبائل القديمة جنبا الى جنب مع المستعمرين الأوائل • وهنا ما سنتبينه من مواد الدستور الذى وضعه ديموناكس للمدينة • ومن نافلة القول أن نشير الى أن استعانة المدن الاغريقية بالمشرعين فى القرن السادس ق.م. لسن التشريعات الكفيلة بحسم أسباب الخلاف بين العناصر المتصارعة فى المدينة لم يكن بالأمر الذى يثير الدهشة • وقد قال هيرودوت ان هذا الرجل جاء الى قورينى وبعد أن درس الموقف قسم أهلها الى ثلاث قبائل ، ضمت احداها أهل ثيرا والبيرى أو يكوى • وضمت القبيلة الثانية أهل البلوبونيسوس وأهل جزيرة كريت ، وضمت القبيلة الثالثة كل أهل الجزر . وقال هيرودوت أن هذا المشرع خص الملك بادارة عدد من الضياع المقدسة ، والاشراف على الحفلات الدينية ، وسلم للشعب فى مجموعه ، ما بقى من سلطات كانت للملك من قبل[٣٤] •

ويكون هيرودوت ، قد أوضح أن ديموناكس ، قد عالج فى اصلاحاته عدة مشاكل ، بعضها يتصل بوضع المهاجرين الجدد ، وبصفة خاصة الوافدين من ثيرا ، الذين تزايد عددهم ، وشعروا بأنهم بالرغم مما يبذلونه من جهد لزيادة موارد المدينة بالعمل فى حقلى الزراعة والرعى ، فانهم كانوا محرومين من الحقوق السياسية . وكانت المشكلة الثانية هى الانتقاص من سلطات الملك، وكانت المشكلة الثالثة متعلقة بسلطات الملكية التى تبقت بعد قصر وظيفة الملك على النواحى الدينية ، ولمن تؤول اليهم هذه السلطات .

بالنسبة للمشكلة الأولى ، يتعين علينا أن نحاول تحديد أولئك الذين تنتظمهم طبقة البيرى أويكوى • فى رأى بعض المؤرخين ، أن هذه الطائفة تمثل الليبيين المتأغرقين ، الذين ساهموا فى انشاء مستعمرة قورينى ، وتعاونوا مع المستعمرين الأوائل فى زراعة أراضيهم ، وتزوج هؤلاء من بناتهم[٣٥] • ويرفض شامو هذا الرأى ، ويرى أنه يتعارض مع ما نعرفه عن مواطنة المدن

الاغريقية ، كما كان يفهمها الاغريق أنفسهم والذين يرون أن الحق فى عضوية المدن الاغريقية ، امتياز خاص يقتصر على الاغريق وحدهم ، وأنه لا يمكن قبول أجانب فى هذه العضوية . ويرى شامو أنه من الخير البحث عن المعنى المقصود باصطلاح البيرىأويكوى فى المدن التى وجدت فيها طبقة تحمل هذا الاسم ، مثل اسبرطة واليس وأرجوس ، وفى بعض المناطق مثل تساليا وفى كريت . ويقصد بطبقة البرىأويكوى فى هذه المدن وهذه المناطق أولئك الذين يقطنون الريف من الاغريق الأحرار ويتجمعون ، بصفة عامة ، فى تجمعات ريفية ، ويتمتعون بوضع مدنى أقل من وضع المواطنين الكاملين ، ويتأرجح وضعهم بين وضع المواطنين من الدرجة الثانية ووضع الحلفاء من الأتباع . وكانت هذه الطبقة فى اسبرطة بصفة خاصة تضم جماعة من الأحرار ، كان من حقهم حمل اسم ولقب اللاكيديمونيين ويخدمون فى الجيش مع الاسبرطيين فى فرق المشاة الثقيلة . ولذلك فانه من المشكوك فيه أن تكون المدينة قد قبلت أن تدخل فى عداد مواطنيها عناصر ليبية . وحقيقة ، كانت العلاقات طيبة بين الاغريق والليبيين عند تأسيس المستعمرة . ولكن بعد وصول المستعمرين الجدد الذين أغراهم باتوس الثانى بالمجيىء الى برقة ، توترت العلاقات بين أهل قورينى والليبيين . ومن ثم كانت تلك الحرب بين الفريقين على عهد باتوس الثانى وأركيسيلاوس الثانى . وينبغى ألا ننسى أن قورينى كانت مستعمرة زراعية ، وكان توسعها على حساب القبائل الليبية، وذلك بانتزاع أراضيها ثم الدفع بها بعيدا الى حافة الصحراء . ومن غير المعقول بعد هذا العداء الذى استمر ، ولم يتوقفه طوال العصر الملكى والعصور التالية أن يقبل الاغريق ، وخاصة أهل ثيرا أن يندمج معهم فى قبيلة واحدة عناصر ليبية . ومن غير المحتمل أن يكون الليبيون قد قبلوا الدخول معهم فى مثل هذا التنظيم المدنى والقانونى واذا كان الدستور البطلمى قد سمح بأن ينضم الى بناء المدينة السياسى أبناء السيدات الليبيات من آباء اغريق ، فان من رأى شامو أن هؤلاء ليسوا ليبيين بالمعنى المفهوم . واذا كان ديموناكس قد أدخل العناصر الليبية فى القبيلة الأولى ، ورضى بذلك أهل

ثيرا ، فان ذلك يعنى أن نتوقع العثور على أسماء ليبية فى نقوش المدينـــة ، وبكثرة واضحة . وقد ظهر بالفعل اسم باكال واسم ألازير وهى أسماء ذات وقع محلى ، ولكن ذلك ، فى رأى شامو ، ليعد من الأمور النادرة الاستثنائية. ويمكن ، فى رأى هذا المؤرخ ، تفسير ذلك ، بأن بعض الليبيين ، منحـــوا حقوق المواطنة فى المدينة بصفتهم الشخصية ، أو بأن هذه الأسمـــاء ليست بأسماء أصلية ، بل ربما كانت مجرد أسماءكنية أو مجرد ألقاب • ويضيف شامو ، أن المدينة كانت تضم عنصرا ليبيا ، ويتضح ذلك من تلك المـــلامح الليبية الصريحة التى تتميز بها بعض التماثيل النصفية فى قورينى ، ولكنـــه يعلل هذه الظاهرة بأن هذه التماثيل انما كانت للعنصر المولد ، ولم تكـــن للعنصر الليبى الأصيل . ويزيد شامو على ذلك قوله ، ان حضارة قورينى كانت حضارة اغريقية صرفة فى كافة مظاهرها . ولم يكن هناك من أثر ليبى واضح سوى ذلك الأثر ، الذى نلمسه فى التزام نساء قورينى بتحريم أكـــل لحم البقر تقديسا للربة ايزيس المصرية ، وهى الربة التى كانت محببة لدى الليبيين • وفى رأى شامو أن كل ما ساقه من أدلة لتقطع بأن قورينى لم تسمح لليبيين بأن يكونوا مواطنين بها ، وأن طبقة البيرأويكوى الذى أدخلهـــم ديموناكس مع أهل ثيرا فى القبيلة الأولى ، كانوا فى الواقع اغريق الريف ، كما يوحى بذلك اسمهم . ولعلهم كانوا من جزيرة ثيرا أيضا وجاءوا بعـــد الدفعات الأولى من المهاجرين الأوائل من تلك الجزيرة ، ولم يجدوا لهـــم مكانا فى قورينى ، فتحولوا الى القرى ينزلون بها ، وحققوا لأنفسهم قـــدرا واضحا من النجاح والثراء . فهم بذلك غير منفصلين عن المستعمرين الأوائل الذين تحولوا الى أرستقراطية حقيقية جمعت الى ثرائها ، السيطرة السياسية الكاملة . وبذلك يكون ديموناكس قد صحح وضعا خاطئا وأقـــر هؤلاء الاغريق من سكان الريف على وجهة نظرهم ، وسلم بها ، فقرر ضمهم الى أهل ثيرا مع المستعمرين الأوائل فى قبيلة واحدة ، ويرفض شامو أيضا التسليم بوجهة نظر لارسن T.A.O. Larsen أن ثمة مدن اغريقية الى جانب قورينى ، مثل سيباريس وسيراكوز ، قد أدخلت فى عداد مواطنيها عناصر وطنية بوصفهم

(بيرىأويكوى) . وذلك لأن رأى لارسن، لا يستند، فى نظره ، الى أى دليل، ولا يتفق مع النظرية المعروفة والقائلة بأن المدن الاغريقية كانت لا تدخل فى عداد مواطنيها عناصر غير اغريقية[٣٦] .

ولكننا نتساءل ، لماذا لا تفسر عبارة « أهل جزيرة ثيرا » ، كما وردت عند هيرودوت أنها تعنى قدامى المهاجرين من هذه الجزيرة والوافدين الجدد منها ؟ وفى هذه الحالة ، هل لنا أن نقول أن البيرىأويكوى لم يكونوا اغريقا من ثيرا ، أو عناصر اغريقية ، أخرى ذلك لأن ديموناكس خص بقية العناصر الاغريقية بالقبيلتين الثانية والثالثة ؟ ونتساءل أيضا ، لماذا نص الدستور البطلمى على ادماج المولدين أبناء الليبيات من آباء اغريق فى طبقة المواطنين فى قورينى ؟[٣٧] . هل ذلك لأن هذا الدستور تنبه الى خطأ كان قائما فى العصر الملكى ، فأراد أن يصحح الوضع القانونى لهؤلاء الأبناء ؟ أم لأن هؤلاء الأبناء كانوا بالفعل مواطنين فى المدينة فأراد الدستور البطلمى أن يقر أمرا كان قائما بالفعل ، وأن ينص على ذلك فى وثيقة رسمية ؟ واذا كان شامو قد رفض فكرة أن البيرىأويكوى كانوا من الليبيين ، الا أنه ازاء وجود أسماء ليبية فى قوائم المواطنين لم يستطع الا أن يقول أن حقوق المواطنة منحت لبعض أفراد من الليبيين بصفتهم الشخصية ، وأن هذه المنحة لم تخرج الى نطاق التعميم . ولعله وجد فى قلة الأسماء ذات الطابع الليبى ما يزكى به رأيه . ولكن هذا فى رأينا لا يعد دليلا فى حد ذاته ، اذ ربما تكشف فى المستقبل قوائم تضم مزيدا من الأسماء الليبية . وقد يعزز رأينا أن التماثيل النصفية التى سلفت الاشارة اليها والتى تحمل ملامح ليبية ، وعثر عليها فى قورينى لتقطع باستمرار وجود المميزات الجنسية للعنصر الليبى فى المدينة من القرن الرابع ق.م. حتى القرن الثالث الميلادى . ولم يسع شامو ازاءها الا القول بأن أصحابها كانوا من العنصر المولد دون أن يعطى هذه الحقيقة بعضا من الاهتمام .

واذا كان شامو قد أسس نظريته على أساس أن العداء الذى تميزت به العلاقات الليبية الاغريقية بعد مجيىء المهاجرين الجدد على عهد باتوس الثانى

قد حال دون التفكير فى ادماج الليبيين فى هيئة مواطنى المدينة ، فهل يمنعنا ذلك من افتراض أن بعض العناصر من قبيلة الأسبوستاى والتى أسهمت منذ البداية فى انشاء المستعمرة وأصهرت الى اغريقها ظلت على ولائها للمدينة متعاونة مع أبنائها ، سيما وأن هيرودوت ذكر أن هذه القبيلة قد تأغرقت ؟ ونتساءل أيضا لماذا لا نستطيع اعتبار طبقة البيرى أو يكوى المقيمة فى ريف المدينة ، كانت فى الواقع عبارة عن هؤلاء الليبيين من قبيلة الأسبوستاى المتأغرقة ، أو كانت تضم على الأقل عناصر منهم ؟ قد يساعد على الاجابة على هذا السؤال أن هيرودوت ذكر أن كلمة (باتوس) تعنى (ملك) باللغة الليبية[38] . ونعرف من مصدر آخر أن (باتوس) لم يكن الاسم الحقيقى لمؤسس مستعمرة قورينى ، بل كان اسمه (أرسطاطاليس) ، وذلك قبل مجيئه الى ليبيا[39] . فاذا سلمنا بأن (باتوس) لقب ليبى ، فانه يمكننا أن نتصور أن الليبيين كانوا ينادون به ملك المستعمرة اليونانية باعتبارهم رعاياه مثل الاغريق الذين قدموا معه سواء بسواء ثم التقط الاغريق هذا اللقب الليبى وأطلقوه على ملكهم ، ومن ثم صار علما عليه . ونضيف الى ما تقدم أن ديموناكس ، جاء الى قورينى عقب انتصار الأرستقراطية الممثلة فى اخوة الملك وحلفائهم الليبيين الذين كانوا ، الى حد كبير ، أصحاب الفضل فى النصر الذى أحرزوه على الملك أركيسيلاوس الثانى فى موقعة لويكون . وربما يكون ديموناكس قد فطن الى أهمية العنصر الليبى وخطورته . واذا سلمنا بأن قبيلة الأسبوستاى المتأغرقة أو عناصر منها ، هم البيرأويكوى ، أو أنهم كانوا بعض الذين ضمتهم هذه الطبقة ، فان ديموناكس أراد فى الواقع بادخاله هذه الطبقة جنبا الى جنب مع أهل ثيرا فى القبيلة الأولى ، أن يرضى الليبيين من ناحية ، وأن يعترف بالأمر الواقع من ناحية أخرى ، وأن يعطى المدينة فرصة من الهدوء والاستقرار من ناحية ثالثة ولذلك فاننا نرى ، ولو أن رأينا لا يستند الى أدلة حاسمة ، أن هناك بعض الاحتمال فى أن طبقة البيرىأويكوى ، كانت مكونة من عناصر من هذه القبيلة .

وقد استطاع ديموناكس ، بفضل توزيع أهل قورينى بين هذه القبائل

الثلاث أن يحل مشكلة تزايد عدد المهاجرين ، وأن يمنح عددا من الأجانب عن المدينة الحقوق السياسية وأن يسبغ عليهم صفة المواطن . واذا سلمنا بأن قورينى عرفت نظام القبائل الدورية الثلاث منذ بداية العصر الملكى ، فان ديموناكس ، يكون باصلاحاته تلك قد حافظ على نظام هذه القبائل وعددها ، وان كان قد أكسب المدينة نظاما دستوريا أكثر تحررا . وبدلا من أن تكون عضوية المدينة مقصورة على عنصر ثيرا الدورى ، أدخل فى بنائها عناصر اغريقية أخرى مما أكسبها مسحة عالمية ، وأمكن لها بفضل العناصر الجديدة التى ضمت اليها أن تسهم فى تيار الحضارة الهيلينية مثل غيرها من المستعمرات الاغريقية الغنية المزدحمة بالسكان فى صقلية وجنوب ايطاليا . وحتى فى مجال الفن ، بدأت بعض المؤثرات الفنية الجديدة فى الظهور الى جانب تلك التى كانت تفد من ثيرا[٤٠] .

أما المسألة الثانية ، التى عالجها ديموناكس فى اصلاحاته ، فهى متصلة بسلطة الملكية . وقد أشرنا الى الصدام الذى وقع بين الملكية والأرستقراطية وأن النصر كان حليف الأرستقراطية التى استعانت بالليبيين . وقد تحولت أسرة باتوس الى أسرة ظهرت فيها المنازعات الأسرية . من ذلك مثلا أن ليارخوس قتل أخاه الملك أركيسيلاوس الثانى بعد عودته منهزما الى قورينى. ولكن الأخ القاتل لقى مصرعه على يد اروكسو Eryxo أرملة الملك القتيل[٤١] . وأمام هذه الملكية الضعيفة كانت الفرصة مهيئة أمام ديموناكس لينتقص من سلطة الملكية . ولذلك فانه خص الملك بادارة الأملاك المقدسة ، والاشراف على الحفلات الدينية . ولعل ايراد هذه الأملاك كان ينفق على النواحى المتصلة بالمعابد والحفلات ، وما الى ذلك . ويبدو أن الملك قد احتفظ بمنصب كاهن أبوللون . اذ لم تظهر أسماء كهنة هذه الاله ، الذين كانت تؤرخ بسنى وظائفهم الوثائق الرسمية ، الا بعد سقوط الملكية . وقيام الملك بمهام وظيفة كاهن أبوللون كانت تسمح له بمباشرة الطقوس الدينية السرية telesphoria التى كانت معروفة فى العصر الكلاسيكى . وكان الملك يقوم أيضا ، فى الأعياد الدينية بقيادة موكب الضحايا من الأكروبوليس،

حيث القصر الملكى الى هيكل أبوللون أسفل التل . ولعل الملك كان يضطلع بكهانات أخرى ، ولكننا لا نعرف عنها أى شىء وبذلك أصبح شبيهـا بالأركون ملك فى أثينا[42] .

وفيما يتعلق بوظائف الملك ، التى كانت له من قبل ، قال هيرودوت ان بقية ما كان للملك من اختصاصات قد آلت الى الشعب فى مجموعه . ولا ينبغى أن يظن أن ديموناكس ، أحدث باصلاحاته تلك ثورة ديموقراطية ، ولا ينبغى أيضا أن يعطى لكلمة الشعب **demos** معنى الدمقراطيـة أو الحزب الديموقراطى[43] ، ذلك أن قورينى كانت فى القرن السادس ق.م. مدينة ذات طبيعة أرستقراطية ، والغلبة فيها لطائفة ملاك الأرض . وعندما كتب هيرودوت، أن السلطة الملكية حولت الى الشعب، فانه فى الوقع أخطأ حيث كان ينظر الى الأمور نظرة المعاصر لبركليس . وفى رأى شامو أن المستفيد الحقيقى من النظام الجديد هم الأرستقراطية ، وهى الطبقة الاجتماعية الوحيدة التى كانت تطمح الى الحصول على السلطة السياسية ، وأن قورينى ، مثل بقية المـدن الاغريقية الأخرى لم تنتقل مباشرة من الملكية المطلقة الى حكومة الشعـب الديمقراطية ، وأنه لا يمكن تصور أن ديموناكس الأركادى المحافـظ الذى ينتمى الى الأرستقراطية فى مدينته يتحول الى مصلح متحرر . ولكن المعقول أنه يضع دستورا أو نظاما تراعى فيه مصالح الأرستقراط الذين يعارضون الملك . وبذلك يفسر قول هيرودوت ، أن سلطة الملك قد وزعت بين عدد من الموظفين ، بأن هؤلاء الموظفين كانوا يختارون من طائفة كانت أرستقراطيـة بطبيعتها . وقيام الأرستقراط بانتخاب الايفوروى الخمسة جعل منهم ، عـن طريق هؤلاء الموظفين السامين ، رقباء حقيقيين على سلطة الملك ، وأصحاب السيادة فى المدينة على نحو ما حدث فى اسبرطة . ومن الواضح أن السلطـة السياسية انتقلت الى الايفوروى . ويرجح أن ديموناكس قد أوجد وظيفـة الاستراتيجوى (القادة)[44] **Strategoi** وسلم لها السلطات العسكرية ، وأنه قد أوجد أيضا وظائف النوموفولاكيس ، (الأوصياء على القوانين) ، وعهد اليهم بالسلطات القضائية . وهذه الوظائف ، وان كانت لم تظهر فى النقوش الا بعد

سقوط الملكية، الا أن ذلك لا يمنع من نسبتها الى ديموناكس . وعدد النوموفولاكيس تسعة فى الدستور البطلمى . وعددهم ستة فى نقوش أخرى . ويضاف اليهم ثلاثة من الكتبة Grammateis . وبذلك يكون العدد ثلاثيا . وهو يتناسب ، من أجل ذلك مع عدد القبائل الثلاث ، وليس مع عدد القبائل الخمس أو العشر حسب الدستور البطلمى[٤٤] .

وفى ظل نظام كهذا ، يتحكم فيه الأرستقراط ، من السهل أن يفترض أن مجلس الشيوخ يستمر فى دعم قوته وسلطانه . وقد سبق أن افترضنا أن هذا المجلس كان قائما الى جانب الملك منذ وقت مبكر ، وأنه كان يمثل الأرستقراطية منذ البداية .

وهكذا نرى أن ديموناكس قد وضع تسوية راعى فيها اعادة تنظيم البناء الدستورى لقورينى على أساس المزج بين العناصر القديمة والعناصر الجديدة من المستعمرين على أن يوزعوا فى القبائل الثلاث حسب جنسيتهم . وحد من سلطة الملك ، وقصرها على الشئون الدينية ، ووزع بقية سلطات الملك على الشعب فى مجموعه أو بالأحرى على الطبقة الأرستقراطية . وهى ، اذا سلمنا بوجهة نظر شامو ، الطبقة التى أفادت من اصلاحات هذا المشرع ، ويكون دستوره بذلك قد سجل انتصار الأرستقراطية على الملكية .

ولكن هل قدر لدستور ديموناكس أن يضع حدا للمنازعات فى المدينة ؟ يحدثنا هيرودوت أنه طوال عصر باتوس الثالث ، كانت النظم التى وضعها ديموناكس منفذة تنفيذا حسنا . ولكن فى عصر ابنه أركيسيلاوس الثالث بدأت الفتن والمنازعات بسبب سلطة الملك وحقوقه . ولم يشأ الملك أن يمتثل لما قرره ديموناكس بخصوص هذه الحقوق ، ولكنه طالب بعودة ما كان لأسلافه من امتيازات ، وجعل من نفسه رئيسا لحزب فى المدينة ، ولكن غلب على أمره ، ونفى من المدينة الى جزيرة ساموس ، حيث جمع جنودا أغراهم بمساعدته على استعادة عرشه مقابل منحهم مساحات من الأرض . ولدى عودته الى قورينى ، انتقم من خصومه . واغتاله مع صهره ألازير ، ملك مدينة برقة ، فى تلك المدينة نفر من اغريق قورينى . ولم تكن أمه الملكة

فريتيمى ، لتنقل عنه تمسكا بحقوق الملكية وامتيازاتها . وأثناء تغيب ابنها فى مدينة برقة ، كانت هى فى قورينى ، قائمة على شئون الحكم ، وتحضر جلسات المجلس . وقد ذكر هيرودوت هذا المجلس باسم مجلس البولى Boule أو الشورى . وما ان علمت الملكة الأم بمصرع ابنها حتى لجأت الى الفرس ، الذين كانوا قد احتلوا مصر على عهد ملكهم قمبيز فى عام ٥٢٥ ق.م. ومع الجيش الذى أمدها به أرياندیس حاكم مصر الفارسى ، دخلت مدينة برقة وانتقمت من أهلها شر انتقام[٤٥] .

ومعلوماتنا قليلة عن الأحداث التى وقعت على عهد الملك باتوس الرابع ، وان كان عهده يمتاز بشىء من الرخاء والهدوء . أما خلفه أركيسيلاوس الرابع فقد كان عليه أن يواجه اضطرابات سياسية فى قورينى ، وكان يقيم فى دلفى بعض اللاجئين السياسيين . وربما تكون هذه الاضطرابات قد تشأت نتيجة لضيق الرقعة الزراعية بسكان قورينى ، أو لعدم مراعاة العدالة فى توزيع الأرض عليهم . وقد انتهى الموقف بنشوب الثورة فى قورينى ، ولجأ الملك الى مدينة يوسبيريدس ، حيث كان مصرعه . وذلك حوالى عام ٤٤٠ ق.م. وبذلك انتهى حكم أسرة باتوس فى برقة[٤٦] . ولا بد وأن تكون السيطرة على المواقف فى قورينى قد آلت الى الأرستقراطية التى استأثرت بالسلطة .

ومعلوماتنا عن التاريخ الدستورى لقورينى ، فى الفترة ما بين سقوط الملكية وحكم البطالمة فى برقة ، انما نستمدها من بعض العبارات التى وردت فى الدستور البطلمى[٤٧] ، وديودوروس الصقلى[٤٨] ، ومن كتاب السياسة لأرسطو[٤٩] .

فى المادة الثامنة من مواد الدستور البطلمى ، نص صراحة على أن عدد المواطنين فى البوليتيوما Politeuma ، قبل العصر البطلمى كان ألف مواطن فقط . والمقصود بالبوليتيوما فى هذا الدستور ، كما سيلى ، هيئة المواطنين العاملين الذين يمارسون السلطات الدستورية . ويغلب على الظن أن عددا معينا من الأسر ، التى كان فى حوزتها معظم الأراضى الزراعية ،

استطاعت أن تجمع فى يديها الى جانب الثروة ، كافة السلطات السياسية والعسكرية[٥٠] . وذلك فى الفترة التى كانت فيها الأوليجاركية متحكمة فى المدينة .

ونعرف من ديودروس ، ومن أرسطو ، أنه قد حدثت فى قورينى ثورة ديموقراطية ، قتل فيها خمسمائة من الأغنياء وفر الكثيرون منهم وذلك حوالى عام ٤٠١ ق.م. وذكر أرسطو أن الطبقات الفقيرة ضاقت بالعقبات التى وضعتها فى طريقها الحكومة الأوليجاركية ، لتحرمها من حقوقها الطبيعية ، وخاصة بعد أن زاد عدد الفقراء على عدد أفراد الطبقات الممتازة . وآل الأمر بعد ذلك الى الحزب الديمقراطى ، الذى شرع يعد برنامجا اصلاحيا يستند الى الأسس الديمقراطية التى كان كليستينيس Cleisthenes قد سنها لأثينا ، فحلت محل القبائل والعشائر القديمة ، قبائل وعشائر جديدة تميزت بطابع هذا المشرع الديمقراطى . وقد امتزجت فيها شتى العناصر . واستعيض عن احتفالات القبائل والعشائر الدينية الكثيرة المتعددة ، بعدد قليل من هذه الاحتفالات يشترك فيها جميع المواطنين[٥١] .

كل هذا يعنى أن دستور ديموناكس ، قد انتهى أمره ، وأنه لا بد وأن يكون مجلس البولى فى قورينى ، قد عدل نتيجة التعديلات التى أدخلت على نظام القبائل . وربما كان العامة قد انتقصوا من سلطات الايفوروى التنفيذية خلال معركتهم ضد الأوليجاركية . ولا نقف من مصادرنا على عدد القبائل أو على عدد أعضاء مجلس البولى . واذا كان كليستينيس قد قسم الأثينيين الى عشر قبائل ، وجعل أعضاء مجلس البولى خمسمائة بواقع خمسين عضوا عن كل قبيلة[٥٢] ، فهل يحق لنا قياسا على ذلك أن نقول أن القبائل فى قورينى ، على عهد الديمقراطية ، قد أصبح عددها عشرا بدلا من القبائل الثلاث القديمة ، وأن عدد أعضاء مجلس البولى بلغ الخمسمائة ؟ سنعرف من الدستور البطلمى أن أعضاء مجلس البولى كان خمسمائة . ومعنى ذلك أن أعضاء هذا المجلس على عهد البطالمة ، كانوا ينوبون عن خمس قبائل أو عشر . ولكننا من ناحية أخرى سنعرف أيضا من الدستور

البطلمى ، أن القادة كانوا خمسمائة وأن الايفوروى كانوا خمسة كذلك .
لذلك يميل المعلقون على هذا الدستور الى ترجيح أن القبائل كانت خمسا .
وعلى أى حال فان قورينى بفضل هذه الثورة الديمقراطية ، قد انتقلت من
مرحلة الأوليجاركية الى الديمقراطية .

ونعرف من ديودوروس أن الأوليجاركيين لم يستسلموا للهزيمة ، فثار
الصراع بينهم وبين الديمقراطيين فى فترة سابقة لعام ٣٢٢ ق.م. ، وأن
الأوليجاركيين قد نجحوا فى اقصاء الديمقراطيين عن مراكز الحكم فى قورينى .
ولكن هؤلاء ما لبثوا أن استعادوا سيطرتهم على المدينة ، فخرج منها
الأوليجاركيون ولجأ فريق منهم الى بطلميوس والى مصر . ولجأ فريق
آخر الى ثيبرون ، قائد القوات المرتزقة ، الذى كان يريد أن يحتل قورينى .
ولم يتردد بطلميوس فى أن ينتهز الفرصة ، وتدخل عسكريا . واستطاع أن
يبسط سيطرته على هذه المدينة الاغريقية العريقة فى عام ٣٢٢ ق.م.[٥٣] .

وعن تاريخ قورينى الدستورى فى العصر البطلمى ظفرنا بوثيقة على
قدر كبير من الأهمية[٥٤] ، منقوشة على لوحة من الرخام محفوظة فى متحف
شحات . وتتضمن هذه الوثيقة وصفا لدستور قورينى . ومقدمة النقش غير
موجودة ، والقسم الأخير منه مختلط وغير واضح . ويتكون الدستور من
خمس عشرة مادة ، ونلخص فيما يلى أهم المواد ، وأهم ما اشتملت عليه :

المادة الأولى : المواطنون **Politai** هم من ولدوا لأب وأم من قورينى،
ويدخل فى عداد المواطنين أيضا أولئك الذين ولدوا لسيدات ليبيات من آباء
اغريق من قورينى ، فى المنطقة التى تلى كاتاباثموس (السلوم) ، وأهل
أوتومالاكس **Automalax** ، (وهذه تقع الى الغرب قليلا من مدينة
العقيلة أسفل خليج سرت) ، والمنفيين ، وأولئك الذين أنزلهم أهل قورينى فى
مناطق تابعة لمدينتهم بوصفهم مستعمرين عسكريين ، وأولئك الذين سينزلهم
بطلميوس ويعطيهم صفة المواطنة .

المادة الثانية : تتكون هيئة المواطنين **Politeuma** من عشرة آلاف **hoi myrioi** . وتضم أولئك الذين كانوا قد لجأوا الى مصر **hoi phygades** والذين سيحددهم بطلميوس ، وأولئك الذين يمتلكون نصابا ماليا ثابتا ، حسب ما يحدد عمال الاحصاء **timeteres** ، وتبلغ ثروتهم مع ثروة زوجاتهم عشرين ميناى بعملة الاسكندر ، وبشرط أن يزيد عمرهم على ثلاثين عاما . ويختار أعضاء مجلس الشيوخ **gerontes** ، عمال الاحصاء من بين العشرة آلاف ، وعدد هؤلاء العمال ستون عاملا ، لا يقل عمر الواحد منهم عن الثلاثين عاما . وعليهم أن يقسموا القسم القانونى ، وعليهم أن يقدروا ثروات المواطنين بالشكل الذى تحدده القوانين .

المادة الثالثة : يتكون مجلس الشورى (البولى) من خمسمائة عضو ، يختارون بالقرعة ، ولا يقل عمر الواحد منهم عن خمسين عاما ويحتفظون بعضوية المجلس لمدة سنتين . وتسقط عضوية نصفهم فى السنة الثالثة عن طريق القرعة . ولا يجوز اعادة ترشيحهم الا بعد مضى سنتين . واذا كان عدد أولئك الذين يبلغون سن الخمسين لا يكفى ، فانه يمكن عن طريق القرعة ، اختيار أعضاء المجلس من أولئك الذين هم فى سن الأربعين .

المادة الرابعة : عدد أعضاء مجلس الشيوخ **Gerousia** واحد ومائة عضو يختارهم بطلميوس . وفى حالة شغور مكان أى عضو بسبب الوفاة ، أو لاعتزاله عضوية المجلس ، فان هيئة المواطنين العشرة آلاف تملأ الأماكن الشاغرة بمرشح لا يقل عمره عن الخمسين عاما . ولا يسمح لأعضاء مجلس الشيوخ شغل أى وظيفة أخرى ، فيما عدا وظيفة القائد زمن الحرب .

المادة الخامسة : ينتخب كهنة أبوللون من بين أعضاء مجلس الشيوخ ، من الذين لم يشغلوا وظيفة الكهنة من قبل ، ومن الذين بلغوا من العمر خمسين عاما .

المادة السادسة : سيكون بطلميوس قائدا **Strategos** مدى الحياة . ومن ناحية أخرى ينتخب (العشرة آلاف) خمسة من القادة من بين الذين

لم يشغلوا هذه الوظيفة من قبل ، بشرط ألا يقل عمر الواحد منهم عن خمسين عاما . وفى حالة الحرب ، يكون الاختيار من بين أعضاء البوليتيوما جميعا . وفى حالة الحرب مع غير الليبيين ، فان (العشرة آلاف) يقررون ما اذا كان القادة العاملون يستمرون فى عملهم أم لا . فاذا قرروا توقفهم عن العمل ، فان الاختيار لهذا المنصب ينبغى أن يكون من بين كل أعضاء البوليتيوما .

المادة السابعة : سيكون هناك تسع نوموفولاكيس يختارون من بين (العشرة آلاف) من الذين لم يشغلوا هذا المنصب ، وسيكون هناك أيضا خمسة من الايفوروى بنفس الشروط السابقة ، ولا يقل عمر من يشغل أيا من المنصبين عن خمسين عاما على الأقل .

المادة الثامنة : اختصاصات مجلس الشيوخ ، ومجلس البولى ، ستكون هى بعينها نفس الاختصاصات التى كانت لهما فى وقت السلم ، يوم أن كان عدد أعضاء البوليتيوما ، ألفا بدلا من عشرة آلاف . ينظر فى الجرائم التى تكون عقوبتها الاعدام ، مجلس الشيوخ ومجلس البولى ، وألف وخمسمائة محلف ينتخبون بالقرعة من بين أعضاء البوليتيوما العشرة آلاف . وتستمر القوانين السابقة ، اذا لم تكن تتعارض مع الدستور الحالى . ويقدم الموظفون حساباتهم بما يتفق مع القوانين المعمول بها حاليا . وسيكون من حق الشخص الذى يقدمه القادة للمحاكمة ، ويكون عرضة للحكم عليه بالاعدام من قبل مجلس الشيوخ والبولى ، فى مدى ثلاث سنوات ، أن يختار بين أن يحاكم طبقا للقوانين أو أمام بطلميوس . وبعد مضى هذه الفترة سوف تجرى محاكمة مثل هذا الشخص دائما طبقا للقوانين .

ولا يجوز أن يصدر حكم على أحد العائدين من المنفى الا بعد الرجوع الى بطلميوس لاستطلاع رأيه .

المادة التاسعة : يحرم من عضوية المنظمات المعروفة باسم hetairai كل مواطن ، كائنا من كان ، من أعضاء البوليتيوما ، يمتهن مهنة الطب أو تدريب الصبية على الألعاب الرياضية أو الموسيقا أو المبارزة أو يعمل رسولا فى مجلس البروتانيوم .

المادة العاشرة : اذا اتهم أى فرد بارتكاب الأعمال المشينة ، أو اذا عمل فى تجارة التجزئة ، أو امتهن مهنا حقيرة ، فانه يجرد من حقوقه السياسية atimia .

المادة الحادية عشرة : كل من يخالف قرارات بطلميوس ، أو يهاجم الموظفين سوف يعرض نفسه لعقوبة الاعدام .

المادة الثانية عشرة ، وهى تتعلق بالعقوبات التى تفرض على كل من يتعرض بالأذى للعائدين من المنفى .

والوثيقة فى هذا الجزء من النقش غير واضحة . وهى فيما يبدو تتعلق بالقوانين المنظمة للملكية الخاصة . ويرجح أنها تضمنت الاشارة الى دعاوى كان يقيمها العائدون من المنفى لاسترداد أراضيهم أو منازلهم التى كانت لهم قبل نفيهم .

المادة الثالثة عشر ، وهى تتعلق فيما يبدو بالملكية العقارية .

المادة الرابعة عشرة : كل من يقتل جنديا من جنود الحامية سيكون جزاؤه الاعدام .

المادة الخامسة عشرة : وتتضمن قائمة بأسماء الموظفين الذين عينوا فى السنتين الأولى والثانية بعد صدور الدستور وهم كاهن أبوللون ، والقادة Strategoi وعددهم ست، والنوموفولاكيس ، وعددهم تسع، والايفوروى، وعددهم خمسة ، وعدد غير معروف من النوموثيتاى nomothetai ، ولعل هؤلاء كانوا مختصين بالمسائل التشريعية .

واذا نظرنا فى مواد هذا الدستور ، أمكننا أن نقف على عناصره المختلفة ، وعلاقة الواحد منها بالآخر ، وبالطابع الذى تميز به ويلاحظ أن الوثيقة التى تضمنت الدستور ، وصفت فى أحد سطورها بأنها diagramma ، ووصفت مواد الدستور بأنها nomoi ، مما يوحى بأن الدستور كان عملا تشريعيا ، أو أنه رفع الى السلطات التشريعية فى المدينة للموافقة عليه** .

ويأتى بطلميوس ، على رأس الهيئة الحاكمة فى المدينة ، بوصفه صاحب الحق فى منح حقوق المواطنة فى المدينة ، وأنه هو الذى يتولى تعيين أعضاء مجلس الشيوخ عند تشكيله للمرة الأولى فى ظل الدستور الجديد . ولما كان لهذا المجلس اختصاصات هامة ، كما سنرى فيما بعد ، فان ذلك يفسر حرص بطلميوس على تعيين أعضائه . ومكان بطلميوس فى هذا الدستور هو منصبه كقائد Strategos لمدى الحياة . وقد جعل صاحب سلطة تعلو سلطة الايفوروى الخمسة[٥٦] . وخص نفسه باختصاصات قضائية ، اذ كان يرأس مجلس قضائيا للاستئناف ، وان كان ذلك لمدة ثلاث سنوات فقط . واحتفظ لنفسه أيضا بالحق فى الفصل فى القضايا والمنازعات بين المواطنين والعائدين من المنفى . ونص على أن ذلك لمدة ثلاث سنوات أيضا ، حتى لا مدى اهتمام بطلميوس بأمر المنفيين ومنحهم كافة الضمانات الضرورية ليحيوا يسلب جانبا من السلطة القضائية . والواقع ان بعض مواد الدستور تظهر فى المدينة حياة آمنة مطمئنة بعد عودتهم اليها[٥٧] . واذا كان الدستور قد نص على عدم ادانة أحدهم ، الا بعد استطلاع رأى بطلميوس ، فان ذلك احتياط حكيم منه ، لأن المتهمين بتهم سياسية لا يستطيعون الاطمئنان الى قضاة من مدينتهم[٥٨] .

ويمكن أن نقف من مواد الدستور على طبيعة تكوين مواطنى المدينة وقد جاء فى المادة الأولى ذكر المواطنين الذين وصفوا بأنهم Politai ، وجاء فى المادة نفسها ذكر هيئة المواطنين ، ووصفت بأنها بوليتيوما politeuma.

فى رأى بعض المعلقين على الدستور أن المواطنين أو Politai ، هم جموع المواطنين العاديين[٥٩] ، وأن عددهم غير محدد ، وأنهم أبناء لوالدين من قورينى ، وأبناء السيدات الليبيات من آباء اغريق من هذه المدينة ، وذلك فى كل منطقة برقة البطلمية الممتدة من كاتاباثموس (السلوم) حتى أوتومالاكس ، الواقعة الى الغرب قليلا من العقيلة والمنفيين المقيمين فى هذه المدينة الأخيرة ، الذين كانوا قد أبعدوا من مدن أخرى ، وعناصر عسكرية نزلوا كمستوطنين عسكريين فى معاقل أو حصون تابعة لمدينة قورينى ،

والعناصر التى سيأتى بها بطلميوس . وفى رأى جونس A.H.M. Jones أن حقوق المواطنة فى مدينة قورينى ، منحت لأبناء السيــدات الليبيات من أزواجهن الاغريق ، والذين كانوا يقيمون فى منطقة برقة البطلميــة ، والتى كانت تمتد من كاتاباثموس حتى أوتومالاكس ، وبذلك يستبعد الأبناء الذين كانوا يقيمون فى أرض تابعة لمصر أو أرض تابعة لقرطاجة[٦٠] . وفى رأى البعض أن منح حقوق المواطنة فى منطقة متسعة كهذه لا يمكن أن يفسر الا بـأن الدستور البطلمى لم يقتصر على قورينى وحدها ، بل وضع لبرقة كلها، وأدخل فى عداد المواطنين عناصر ، وربما لم تكن اغريقية صرفة . ولكن فى رأى غيرهم أنه لم يرد فى بقية مواد الدستور أى ذكر لقواعد أو أسس تنظم العلاقــة بين قورينى وبقية مدن برقة . ومن ثم فان الدستور خاص بقورينى وحدها[٦١] . واذا سلمنا بالرأى الأول ، فان ذلك يؤيد رأى الذين ذهبوا الى أن هــذا الدستور انما هو الدستور الفيدرالى الذى وضعه اكديموس وديموفانيس فى عام ٢٦٥ ق.م. ، لحلف كون من مدن برقــة ، الاغريقية[٦٢] . وسنعــود الى الحديث عن هذا الدستور فيما بعد . أما اذا سلمنا بالرأى الثانى ، فان ذلك يعنى أن طائفة من أبناء قورينى كانوا أنصاف مواطنين ، باعتبار أن أمهاتهم لم تكن اغريقيات ، وربما كانوا من طبقة البيرأويكوى التى أسلفنا الحديث عنها والتى كان ديموناكس قد ضمها الى القبيلة الأولى من قبائل المدن الثلاث فأراد بطلميوس أن يسبغ عليهم الصفة القانونية أو يؤكد وضعهم الســابق ، ولعل هؤلاء الأبناء هم الذين أنزلهم أهل قورينى فى القلاع التابعة للمدينة ، اذ أنه من الصعب أن نتصور أنه كان فى امكان مدينة اغريقية عريقة مثــل قورينى أن تقبل فى عداد مواطنيها عناصر غير اغريقيــة ، مهمــا كان نــوع الخدمات التى يؤدونها لها . أما أهل أوتومالاكس ، الذين أبعدوا من مــدن أخرى ، فلعلهم كانوا مواطنين للمدينة ، خرجوا منها فى فترة الصراع الحزبى الذى ساد قورينى فى الفترة الواقعة بين العصرين الملكى والبطلمى . ويكون هدف بطلميوس بذلك هو تأمين هؤلاء المنفيين ، والسماح لهم بالعــودة الى مدينتهم . وقد قام هو نفسه باعادة المنفيين ، الذين لجأوا الى مصر فى فترة

الصراع بين الحزبين الديمقراطى والأوليجاركى ، وكانوا السبب المباشر لاحتلال بطلميوس لقورينى .

وجاء بعد ذلك ذكر هيئة المواطنين ، البوليتيوما **Politeuma**، وهى عند طائفة من المؤرخين تعنى المواطنين العاملين[٦٣] . وفى رأى غيرهم أنها الهيئة التى يتمتع أفرادها وحدهم بالحقوق الانتخابية[٦٤] . وقد نصت المادة الثانية من الدستور على أن يكون عدد أفراد هذه الهيئة عشرة آلاف . وفى رأى البعض أنه يجب ألا يفهم أن هذا العدد كان بالضبط ، هو عدد أفراد هذه الهيئة ، مع التسليم بأن العدد الحقيقى كان لا يبعد كثيرا عن هذا القدر[٦٥] ، سيما وأن عدد سكان قورينى يقدر بخمسمائة ألف نسمة . وتضم الهيئة أولئك الذين كانوا قد لجأوا الى مصر ، والذين سيعينهم بطلميوس ، وأولئك الذين يمتلكون نصابا ماليا ، قدره عشرون ميناى . وهذا نصاب معقول ، اذ كانت قورينى مدينة زراعية ، وكان أهلها يتمتعون برخاء مادى واضح . ويقدر عدد الذين أبعدوا عن هذه الهيئة ، نتيجة اشتراط هذا النصاب ، بثلث أو ربع عدد السكان الأحرار[٦٦] . وقد حدث فى أثينا أن أنتيباتروس ، فى وقت معاصر لصدور دستور قورينى ، اشترط نفس هذا النصاب . وقد ترتب على ذلك أن تسعة آلاف مواطن من مجموع ٢١٫٠٠٠ مواطن فقدوا حقوقهم السياسية[٦٧] . واشترط لعضوية هيئة مواطنى قورينى ألا يقل سن العضو عن ثلاثين عاما . وينتخب مجلس الشيوخ ، من بين العشرة آلاف ، عمال الاحصاء **timeteres** . ويختص هؤلاء بتقدير ثروات المواطنين ، الذين يمكن أن يدرجوا فى هيئة العشرة آلاف . ولما كان بطلميوس هو الذى يعين مجلس الشيوخ الذين ينتخبون عمال الاحصاء ، فان ذلك يعنى تحكمه بطريق غير مباشر فى اختيار أعضاء البوليتيوما العشرة آلاف[٦٨] .

واذا أمعنا النظر فى المادة الثالثة المخصصة لمجلس الشورى (البولى) ، لوجدنا أنها تبدو كما لو كانت وصفا لمجلس الشورى الديمقراطى الأثينى بأعضائه الخمسمائة . وربما كان هذا المجلس وليد الثورة الديمقراطية التى

حدثت عند انتصار الحزب الديمقراطى على الحزب الأوليجاركى . اذ طبقا لما ذكره أرسطو ، وكما أسلفنا ، فان حركة من هذا النوع أدت فى قورينى الى ايجاد قبائل جديدة لها نفس الطابع الذى تميزت به عشائر كليسثينيس . ولكن رفع سن العضوية لهذا المجلس الى الخمسين عاما بدلا من الثلاثين ، وهو السن الذى كان يشترط لعضوية المجالس المماثلة فى بعض المدن اليونانية، ليدل على أن هذا السن كان مرتفعا بشكل استثنائى . وقد جاء فى هذه المادة أيضا ، أن عضوية نصف أعضاء المجلس تسقط كل سنتين عن طريق القرعة . وهذا يعنى أن عضوية المجلس كانت تجدد على مراحل ، ولم يكن التغيير فى العضوية ليشمل المجلس مرة واحدة ، وذلك رغبة فى أن يستمر العمل المتصل بدون ما حاجة الى تعطيله بانتخاب مجلس جديد[٦٩] .

ولما كان عدد أعضاء المجلس خمسمائة عضو ، فان الرأى يكاد ينعقد على أن قورينى لم تشذ عن القاعدة العامة المتبعة فى المدن الاغريقية ، والتى كانت تقضى بأن يختار عن كل قبيلة عدد معين يمثلها فى المجلس . وهذا العدد يوحى بأن عدد قبائل قورينى كان عشر قبائل ، مثلما كان الحال فى أثينا ، أو خمس قبائل . ويفضل البعض الأخذ بعدد الخمسة ، وذلك نظرا لوجود خمسة من القادة وخمسة من الايفوروى . يكاد يكون من المرجح أن العدول عن نظام القبائل الدورية الثلاث قد حدث بعد الثورة الديمقراطية التى أشار اليها أرسطو .

والى جانب مجلس البولى كان هناك أيضا مجلس الشيوخ الجيروسيا gerousia الذى تتحدث عنه المادة الرابعة من مواد الدستور . وكان بطلميوس هو الذى يعين أعضاء هذا المجلس عند تشكيله للمرة الأولى . ومجلس الشيوخ ، كما هو معروف ، مجلس أرستقراطى بطبعه . ولعله وجد فى المدينة قبل مجلس البولى . ويلاحظ أنه لم يشترط لعضوية مجلس الشيوخ نصاب مالى معين . ولكن تحديد الحد الأدنى لسن العضوية بسن الخمسين ، وقلة عدد الأعضاء ، ليكشفان عن الطابع الأوليجاركى الذى كان لهذا المجلس . وكان المجلس يتحول الى هيئة انتخابية عندما كان يقوم

بانتخاب عمال الاحصاء . ويدل احتفاظ بطلميوس نفسه بحق تعيين أعضائه عند تشكيله للمرة الأولى فى ظل الدستور الجديد ، على أنه كان يدرك أهمية المجلس وخطورته كعنصر أساسى من عناصر دستور المدينة . ويستوقف النظر أن أعضاء المجلس حرموا من شغل مناصب أخرى ، فيما عدا منصب القيادة العسكرية زمن الحرب . وهذا الاجراء يتفق مع اتجاه الاغريق نحو الفصل بين السلطات الثلاث ، وخاصة بين السلطتين التشريعية والتنفيذية[٧٠] .

وقد نص فى المادة الخامسة على اختيار كاهن أبوللون من بين أعضاء مجلس الشيوخ ولم يوضح ما اذا كانت هيئة العشرة آلاف هى التى تقوم بانتخابه ، أم أن الأمر متروك لمجلس الشيوخ . على أى حال ، فان اختيار الكاهن من طبقة الشيوخ ليعطى هذا المنصب أهمية خاصة فى حياة المدينة . وربما كان هذا المنصب ، الذى تخلف عن سلطة الملكية ، من نصيب الطبقة الأرستقراطية فى المدينة التى لا يزال مجلس الشيوخ يمثلها حتى فى ظل الدستور الجديد . ولما كانت الوثائق تؤرخ باسم الكاهن ، فانه كان من الطبيعى أن تكون الوظيفة لمدة عام واحد .

وكانت هيئة المواطنين العشرة آلاف ينتخبون خمسة لمنصب القيادة العسكرية . وفى الوقت نفسه كان بطلميوس يحتفظ بمنصب القائد مدى الحياة . ولما لم يكن فى استطاعته النهوض بنفسه بأعباء هذا المنصب ، فانه كان ينيب عنه قائدا يعينه الى جانب القادة الخمس المنتخبين . ولم ينص على الامتيازات التى كانت لهذا القائد . واذا كان القادة الخمس ، ينتخبون من كل قبائل المدينة ، فانه يرجح بحق أن عددها كان خمسا بالفعل .

ويختار العشرة آلاف أيضا تسع موظفين أوصياء على القانون هم النوموفولاكيس ، وكانت ترفع اليهم على الأرجح الالتماسات القانونية . والحد الأدنى لسن من يشغل هذا المنصب هو سن الخمسين[٧١] .

وكانت هيئة المواطنين تختار الايفوروى الخمسة ، وكانوا يباشرون سلطات قضائية ويراقبون سلوك المواطنين . ويتولون رفع الدعاوى ضد

مرتكبى الجرائم الخلقية . ومن نقش من القرن الثالث من مدينـة برينيكى (= يوسبيريدس = بنغازى) نعرف أن الايفوروى ، كانوا يشتركون مع مجلس الشيوخ فى تقـديم المقترحات أمام مجلس البولى[٧٣] . ويرجـح أن الايفوروى قد ورثوا أيضا عن الملوك حق رئاسة مجلس الشيوخ • ولا ننتظر أن نخرج بمعلومات ذات قيمة اذا قارنا اختصاصات الايفوروى فى كـل من اسبرطة وقورينى ، ذلك لأن المدينة الأخيرة كانت تخلو من عنصر الهيلوتس . ولما كانت سلطة بطلميوس بوصفه قائدا أو strategos ، تعلو سلطتهم ، لذلك يرجح أن هيئة القادة الخمسة كانت تتمتع بسلطات تنفيذية أوسع من تلك التى كانت للايفوروى .

وتوضح المادة الثامنة من مواد الدستور الاختصاصات القضائيـة التى كانت لمجلسى الشيوخ والشورى • وهى تقتصر على النظر فى القضايا أو الجنايات التى تكون عقوبتها الاعدام . اذ كانت المحكمة التى تنظر فى هـذا النوع من القضايا تشكل من المجلسين معا • والى جانب هذه المحكمة ، محكمة أخرى مؤلفة من خمسمائة وألف عضو ، تنتخبهم بطريق القرعـة ، هيئة المواطنين . ولذلك كانت لهذه المحكمة صفة الشعبية . ويبدو أنها كانـت تنظر فى دعاوى الاستئناف من أحكام المحكمة الأولى . وكان من حق المتهـم أن يرفع استئنافه أمامها أو أمـام بطلميوس ، ولكن عمل هـذه المحكمـة الشعبية ، واختصاص بطلميوس المماثل فى النظر فى دعاوى الاستئناف ، لا يستمر لأكثر من ثلاث سنوات .

وقد نص فى هذه المادة أيضا على حق بطلميوس فى النظر فى القضايا التى يكون العائدون من المنفى طرفا فيها وذلك لمدة ثلاث سنوات أيضا[٧٤] .

ويمكن ان نتبين أن اجراءات التقاضى كانت ، فيما يرجح ، تبدأ بـأن يقدم القادة strategoi بوصفهم وكلاء الدعوى ، المتهمين فى الجنايات التى يكون عقوبتها الاعدام الى مجلس الشيوخ . ويقوم أعضاء المجلس بوصفهم probouloi بالتحقيق فى القضية . ثم يحيلون القضية الى مجلس الشـورى ليصدر فيها حكمه .

وجاء فى هذه المادة أيضا أنه على الموظفين المختصين بالمسائل المالية أن يقدموا بيانا بحساباتهم ، دون أن تحدد الجهة المختصة بمراجعة هذه الحسابات . ونحن نعرف ، أنه فى أثينا ، كانت الدعاوى الناشئة عن الطعن فى الحسابات euthyna تنظر امام قضاة (الديموس) وقد ينتهى الأمر بعرضها على المحكمة . وكانت مثل هذه الدعاوى فى المدن الاغريقية الأخرى ، تعتبر من حق الشعب كله . ولكن الاجراء الذى كان متبعا فى قورينى غير واضح على الاطلاق[٧٥] .

ويفهم من المادة التاسعة أن أصحاب المهن ، مثل الأطباء ومدربى الألعاب الرياضية ومعلمى الموسيقا كانوا يستبعدون من الجماعات المعروفة باسم hetairiai ، وهى تنظيمات عسكرية . ومعنى الاستبعاد هنا ، لا يعنى حرمانهم من الخدمة العسكرية ، انما يعنى فقط اعفاءهم منها ، ذلك لأن أصحاب المهن من أطباء ومدرسين ، كانوا يتمتعون بمكانة ممتازة فى العصر الهيلينستى . وكان بعضهم فى مدينة الاسكندرية يعفون من بعض الضرائب. وبالتالى لا محل للقول بأن أصحاب المهن كانوا محتقرين فى قورينى ، أو أن استبعادهم أو اعفاءهم من الخدمة العسكرية ينم عن نزعة أرستقراطية ، ويدل على تحامل الأرستقراط على أولئك الذين يتقاضون أجرا مقابل عملهم . ولكن النزعة الأرستقراطية تظهر بوضوح ، فى حرمان أولئك الذين عرف عنهم سوء الخلق ، وارتكاب الجرائم المخلة بالشرف ، أو الذين يعملون فى تجارة التجزئة ، من حقوقهم السياسية . ولكن ينبغى أن يفهم أن حرمانهم من هذه الحقوق لا يعنى استبعادهم من عضوية العشيرة أو من ممارسة حقوقهم الأخرى[٧٦] .

هذه هى أهم مواد الدستور البطلمى ، كما حفظها لنا ذلك النقش من قورينى ، وتلك هى أهم الأسس الدستورية التى اشتملت عليها . ويلاحظ أن هذا الدستور جمع بين مظاهر أرستقراطية أو أوليجاركية وبعض المظاهر الديمقراطية . وتبدو المظاهر الأوليجاركية فى اشتراط النصاب المالى لعضوية هيئة المواطنين ، وفى طريقة تشكيل مجلس الشيوخ ، وجعل عضويته مدى

الحياة ، واشتراط حد مرتفع لسن الأعضاء ، ومناصب الايفوروى ، والنوموفولاكيس أو الأوصياء على القوانين . أما العناصر الديمقراطية للدستور ، فتتضح بصفة خاصة ، فى أن عضو مجلس الشورى كان ، بعد انتهاء مدة عضويته ، لا يستطيع أن يعيد ترشيح نفسه لعضوية المجلس من جديد قبل مضى سنتين على الأقل . والمعروف لنا ، أن المواطن الأثينى لم يكن يسمح له بشغل عضوية المجلس أكثر من مرتين طوال حياته[٧٧] . وعلى كل حال ، فان النزعة الأوليجاركية تغلب على هذا الدستور بشكل واضح ، ولم يكن ليسمح للمدينة فى ظل حكم ، مثل الحكم البطلمى ، أن تعود الى رحاب الديمقراطية . وينبغى ألا ننسى أن بطلميوس ، انما أتى الى برقة لنصرة أولئك النفر من الأوليجاركيين الذين لجأوا اليه بعد فرارهم من قورينى . وقد تضمن الدستور بعض الضمانات التى كفلها لهؤلاء الأوليجاركيين العائدين من المنفى . ولكن الدستور من ناحية أخرى لم يسمح لهم بأن يطلقوا أيديهم فى المدينة أو أن يحاولوا احتكار الحكم لأنفسهم ، ذلك لأنه زاد من عدد أعضاء هيئة المواطنين أو البوليتيوما من ألف الى عشرة آلاف ، ولم يقصر حق المواطنة على الطبقات الممتازة وحدها . وفضلا عن ذلك فان الدستور يكشف عن أن بطلميوس ، الذى ورد اسمه فى الدستور ، كان حريصا على أن يظهر بمظهر الحاكم الذى يحترم حرية رعاياه الاغريق . وهو وان كان قد أبقى للمدينة المظهر الدستورى للمدينة الاغريقية ممثلا فى مجالسها وموظفيها ، الا أنه فى الوقت نفسه حد من حريتها بالدرجة التى تشعرها بسيادته . ذلك أنه احتفظ لنفسه ببعض الامتيازات . وكان من حقه منح الحقوق السياسية للمدينة لبعض الأفراد ، وتعيين أعضاء مجلس الشيوخ عند تشكيله للمرة الأولى وفقا لهذا الدستور ، واحتفظ لنفسه أيضا بمكان دائم على رأس هيئة القادة الخمسة . وكان له حق النظر فى قضايا الاستئناف ، وان كان هذا الحق مقيدا بقيد زمنى . وفوق كل ذلك ، كان فى استطاعته مباشرة الضغط على المدينة بفضل جيشه ، وحامياته المنتشرة فى برقة .

وثمة ملاحظات تتعلق بالمصادر التى يظن أن دستور قورينى البطلمى

أخذ عنها . من ذلك ما يمكن أن يقال بصدد نظام الايفوروى بأنـه أتى من اسبرطة عن طريق جزيرة ثيرا ، وأن نظام الجماعات المعروفة باسم hetairiai التى ورد ذكرها فى هذا الدستور كان معروفا فى ثيرا وجزيرة كريت ، ويرجح أنه انتقل عن طريق هذه الجزيرة الى قورينى . ولعل هذه المدينة كانت قد أخذت عن الدستور الآثينى ، مجلس الشورى ، والمحكمة المؤلفة من واحد وخمسمائة وألف محلف ، ونظام القبائل . أما بالنسبة لبعض عناصر دستور قورينى مثل مجلس الشيوخ والقادة ، والأوصياء على القوانين أو النوموفولاكيس ، فقد كان يوجد مثيل لها فى كثير من مدن العالم الهيلينى ويرى البعض أنه بالرغم من الظن أن دستور قورينى البطلمى أخذ عن دساتير المدن الأخرى ، الا أنه يمكن أن يقال ، بصفة عامة ، أنه دستور نما وازدهر مرتبطا بواقع المدينة وحاضرها[٧٨] . ومن ناحية أخرى يمكن القول أن عناصر هذا الدستور لم تكن كلها مستحدثة ، ذلك أنه من دراستنا التى سلفت لدستور المدينة الأول فى العصر الملكى ، نرجح أن بعض عناصره ظلت قائمة ، وان كانت مصادرنا لا تفصح عنها ، حتى اذا كان العهد البطلمى الجديد ، أبقى عليها المشرع بعد أن أدخل عليها تعديلات تتناسب مع الأوضاع السياسية الجديدة فى المدينة .

وقد اختلف المؤرخون حول شخص بطلميوس ، الذى نسب اليه هذا الدستور . وقال بعضهم أنه بطلميوس بن لاجوس ، والى مصر ، قبل أن يصبح ملكا عليها[٧٩] . وقال آخرون أنه بطلميوس الثالث يورجتيس الأول ، وأنه وضع هذا الدستور عندما تم زواجه من الأميرة برينيكى ، ابنة ماجاس ملك برقة . وكان زواجه من هذه الأميرة ايذانا بعودة برقة ، لتصبح من جديد ، تابعة لمصر بعد تلك الفترة التى كانت قد استقلت فيها تحت حكم الملك ماجاس[٨٠] . ولكن أكثر الذين درسوا دستور قورينى البطلمى ، يفضلون نسبته الى بطلميوس الوالى . ذلك لأنه ذكر فى الدستور باسم بطلميوس فحسب دون أن يسبق اسمه لقب الملك ، ولأن ميناى الاسكندرية التى ذكرت فى المادة الثانية من مواد الدستور ، كان قد انتهى

تداولها فى عهد الملك بطلميوس الثانى . ومن المرجح أن يكون الدستور قد صدر فى عام ٣٢١ ق.م. ، لأنه وردت فى المادة الثانية من مواده ، الاشارة الى حرب وصفت بأنها لم تكن حربا ضد الليبيين . ولم تحدث فى ذلك العام غير تلك الحرب التى نشبت بين خلفاء الاسكندر ، ولأنه وردت أيضا اشارات الى بعض أبناء قوريني الذين لجأوا الى مصر ، وليست لدينا أى معلومات عن لاجئين أتوا اليها بعد هذا التاريخ[٨١] .

ويرتبط بدراسة دستور قوريني على عهد البطالمة ، تتبع بعض الأحداث السياسية الهامة التى مرت بها هذه المدينة ، وبقية مدن برقة . فى عام ٣١٣ق.م. قامت قوريني بثورة ضد الحكم البطلمى ، ولكن أوفلاس حاكم برقة من قبل بطلميوس الوالى أخمدها بسهولة ويسر . وفى عام ٣١٢ ق.م. أعلن ذلك الحاكم استقلاله ببرقة ، ولكنه ما لبث أن قتل وهو يقود حملة فاشلة ضد قرطاجة فى عام ٣٠٩ ق.م. على يد حليفه أجاثوكليس طاغية سيراكوز . وفى عام ٣٠٨ ق.م. نجح بطلميوس فى استعادة برقة بفضل ماجاس ، ابن زوجته برينيكى ، فأقامه نائبا عنه فى حكمها[٨٢] . وفى عام ٣٠١ ق.م. اضطر بطلميوس الى غزو الاقليم مرة أخرى ، وهذا يرجح حدوث ثورة فى قوريني فى الفترة ما بين عامى ٣٠٨ و ٣٠١ ق.م. وان كان التاريخ المحتمل لوقوعها هو عام ٣٠٦ ق.م ، عندما أوقع ديمتريوس الهزيمة ببطلميوس فى موقعة سلاميس . ولعل الثورة كانت بفعل عناصر ديمقراطية ، اذ يميل البعض الى أن ينسبوا الى هذه الفترة ، النقود التى نقشت عليها عبارة قوريني الشعب kyranion damo ، وذلك تمييزا لها عن النقود التى نقشت عليها عبارة قوريني بطلميوس Kyranion Prolemaio ، واشعارا بتحرر الشعب من حكم بطلميوس[٨٣] . وبعد اخماد هذه الثورة هدأت الاحوال فى قوريني ، ثم انتهز ماجاس فرصة وفاة الملك بطلميوس الأول فاستقل ببرقة وأعلن نفسه ملكا عليها . واختار الوقوف الى جانب السليوقيين فى صراعهم مع بطالمة مصر . وتزوج من أپاما ابنة أنطيوخوس الأول . وفى أواخر حياته آثر أن ينهج سياسة المسالمة مع أخيه غير الشقيق ، بطلميوس الثانى فيلادلفوس ، ملك مصر ، وذلك بخطبة

ابنته الاميرة برينيكى من ابن ذلك الملك وولى عهد مصر . وبعد وفاة ماجاس حوالى عام ٢٥٨ ق.م. ، تزعمت أياما اتجاها مناوئا للبطالمة ، فاختارت الأمير ديمتريوس الجميل، وكان أخا غير شقيق لأنتيجونوس جوناتاس ملك مقدونيا، زوجا لابنتها برينيكى بدلا من خطيبها ولى عهد مصر . وكان هدفها الاحتفاظ باستقلال برقة بعيدا عن التبعية للبطالمة . ولكن ديمتريوس ، بعد وصوله الى قورينى تورط معها فى علاقة غرامية ، انتهت بمصرعه الذى دبرته برينيكى. وتمكنت هذه الأميرة بعد ذلك من السيطرة على الموقف حوالى عام ٢٥٥ ق.م. ثم تزوجت من بطلميوس الثالث ، وهذا يعنى عودة البطالمة الى حكم برقة مرة أخرى[٨٤] .

والفترة التى تلت وفاة ماجاس ، تعد فترة غامضة بالنسبة للأوضاع الدستورية الخاصة ببرقة بصفة عامة ، وقورينى بصفة خاصة . ومعلوماتنا عنها تقتصر على ذلك الاتحاد الفيدرالى الذى انتظم كل مدن برقة ، والذى وضع دستوره الفيلسوفان اكديموس وديموفانيس . فى عام ٢٥٠ ق.م. وعرف باسم Koinon ton Kyranion [٨٥] . وقد أصدر الاتحاد نقودا خاصة به تحمل الحروف dem . وقد ترمز هذه الحروف الى ديموفانيس . وقد ترمز الى ديمتريوس[٨٦]. فاذا كان الفرض الثانى هو الصحيح ، فان ذلك يعنى أن الاتحاد كان قائما فى الفترة التى شارك فيها هذا الأمير فى حكم برقة، أو أنه أعيد تنظيمه تحت رعايته[٨٧] . بل ان البعض يرجح أنه هو الذى استدعى الفيلسوفين لوضع دستور هذا الاتحاد[٨٨] . واذا كان قيام هذا الاتحاد ينهض دليلا على استقلال برقة ومدنها ، فان عودة برقة الى التاج البطلمى تعنى نهايته . غير أن بعض المؤرخين لا يرى هذا الرأى ، ويفترض استمرار وجود الاتحاد ، لأنه ليس هناك أى تعارض أو تناقض بين وضع برقة على هذا الشكل الاتحادى ، وبين كونها جزءا من أملاك البطالمة[٨٩] . ويرى نفر من المؤرخين أن بطلميوس الثالث أقر دستور اكديموس وديموفانيس ، وأن هذا الدستور ، فى واقع الأمر ، ما هو الا ذلك الدستور البطلمى الذى أسلفنا الحديث عنه وأن بطلميوس الثالث هو ذلك البطلميوس ، الذى ذكر فى

ذلك الدستور، وليس بطلميوس الوالى. ولكن هذا الرأى ضعيف، ولا يصمد أمام قوة الأدلة التى تثبت نسبة الدستور الى بطلميوس الوالى. ونضيف، أن الدستور البطلمى لا يتلاءم بحال مع وضع نظمت فى ظله المدن الاغريقية فى برقة بوصفها اتحادا koinon ، لأن جميع مواد هذا الدستور لم تتضمن أى اشارة الى وجود نوع من العلاقات بين قورينى ومدن برقة الأخرى ، وبالتالى لم تحدد حقوقها والتزاماتها . وواضح أن الدستور وضع لمدينة بعينها وهى قورينى فحسب[٩٠] .

اذا كان اكديموس وديموفانيس قد جمعا المدن فى تحالف فيدرالى واحد ، فما هى هذه المدن ؟

وجد البطالمة فى برقة أربع مدن وهى قورينى وبرقة وتوخيرا ويوسبيريدس . وقد قال جونس A. H. M. Jones أن هذين الفيلسوفين جعلا من ميناء قورينى ، مدينة قائمة بذاتها وخلعا عليها ذلك الاسم الذى عرفت به فيما بعد وهو اسم أبوللونيا ، وكانت قبل العصر البطلمى ، لا تزال تعرف باسم ميناء قورينى ، أى أنها كانت لا تزال ، من الناحية السياسية جزءا من قورينى . وفى الواقع اننا لا نقف على اسم أبوللونيا فى مصادر سابقة على القرن الأول الميلادى . وأول ذكر لها فى هذا القرن ، بوصفها مدينة منفصلة عن قورينى ، انما ورد عند استرابون . وفى الوقت نفسه يستبعد أن يعزى اطلاق اسم أبوللونيا على ميناء قورينى الى البطالمة . ذلك لأنهم اعتادوا اطلاق اسماء ملوك أو ملكات من أسرتهم على المدن التى ينشئونها . وفى برقة ، غير بطلميوس الثالث من أسماء مدنها ، فتحول اسم يوسبيريدس الى برينيكى ، واسم توخيرا الى أرسنوى ، وأطلق اسم بطوليميس على ميناء برقة . بل حلت بطوليميس محل برقة . وقياسا على ذلك كان حريا ببطلميوس الثالث أن يطلق على ميناء قورينى اسما من هذا النوع ، ولذلك فانه من المرجح أن يكون اسم أبوللونيا قد أصبح معروفا قبل أن يصبح بطلميوس الثالث بزواجه من بيرينيكى ، ملكا على برقة . وقد يؤيد ذلك ، أن رفع ميناء قورينى الى مرتبة المدينة كان مرتبطا باطلاق اسم المدن الخمس

(بنتابوليس **Pentapolis**) على أقليم برقة ، لأن المدن فى هذا الاقليم كانت أربعا فقط ولم يزد عددها الى خمس الا بعد ضم أبوللونيا اليها . وكان بلينى أول من أشار ، فى القرن الأول الميلادى ، الى أن برقة هى اقليم المدن الخمس **Pentapolitana regio** . فاذا كان هذا الاسم قد تأخر الى القرن الأول الميلادى فان ذلك لا ينفى أنه لم يكن مستعملا قبل هذا التاريخ ، لأنه ظل قائما حتى العصر البيزنطى . واسم مثل اسم المدن الخمس كان يستعمل عادة ليدل على حلف من المدن . ولابد وأن هذا الاسم كان قد ظهر مقترنا بتكوين حلف بالفعل بين مدن برقة . وبذلك يمكن نسبة ظهور اسم أبوللونيا الى الفترة التى أعاد فيها اكديموس وديموفانيس تنظيم برقة . وكان هدفهما من اعطاء أبوللونيا صفتها المستقلة احداث توازن بين القوى ، التى يتألف منها الاتحاد ، اذ كانت قورينى أكبر المدن وأقواها . وفصل مينائها عنها ، مع اعطاء هذه الميناء اسما ووضعا مستقلين ، ينزل بقورينى الى مرتبة المدن الأخرى[٩١] . والواقع نأ اسم المدن الخمس استمر قائما بالفعل حتى العصر البيزنطى . ولكن يستثنى من ذلك تلك الفترة التى أنشأت فيها مدينة هادريانوبوليس بعد ثورة يهود برقة فى عام ١١٥م. فأصبح فى برقة ست مدن ، ووصفت قورينى فى نقش يؤرخ بالفترة الواقعة بين عامى ١٨٥ ، ١٩٢م، بأنها عاصمة المدن الست **ba matropolis tas hexapolis** . ولكن اصطلاح المدن الخمس ما لبث أن عاد الى الظهور من جديد على عهد الامبراطور دقلديانوس (٢٨٤ — ٣٠٥) وذلك بالرغم من استمرار وجود مدينة هادريانوبوليس[٩٢] .

ونظرية جونس تبدو صحيحة ، ومن السهل قبولها . وكان من الممكن تأييدها بأدلة أو شواهد معينة . ولكن ليس أمامنا الا نقود هذا الاتحاد. وهذه النقود لا تحمل الى جانب كلمة **koinon** أسماء المدن أعضاء الاتحاد . وقد صدرت فى قورينى بوصفها عاصمة هذا الاتحاد [٩٣] .

على أى حال فان عودة الحكم البطلمى الى قورينى على يد بطلميوس الثالث وضع نهاية لاتحاد مدن برقة . ولا نستطيع بعد ذلك أن نتبين ماذا

كانت عليه علاقة الملوك البطالمة وخاصة فى الفترة التىاصبح فيها بطلميوس الأخ الأصغر لبطلميوس السادس ملك مصر ، والذى سيتولى ملك مصر فيما بعد باسم بطلميوس الثامن يورجتيس الثانى ، ملكا على برقة ، والفترة التى كان فيها ابنه غير الشرعى بطلميوس أبيون ملكا عليها أيضا . غير أننا نقرأ فى وصية بطلميوس ، يورجتيس الثانى ، التى أوصى فيها ببرقة للشعب الرومانى فى عام ١٥٥ ق.م. أنه يناشد الرومان باسم جميع الآلهة وبشرفهم أن يقدموا المساعدة بكل قواهم اذا اعتدى أحد على مدن مملكته أو أراضيها طبقا لما تقتضيه العدالة ومعاهدة الصداقة والتحالف القائمة بينه وبينهم[٩٤] . وقد يفهم أن هذه العبارة قد تشير الى وجود نوع من التفاهم بين هذا الملك وبين المدن ، وأن المدن كانت راضية بالحكم الملكى المستقل عن بطالمة مصر على عهده وربما أيضا على عهد بطلميوس أبيون . وذلك مقابل موافقة هذين الملكين على أن يكون لهذه المدن وضع خاص تتمتع المدن فى ظله بنصيب أوفر من الحرية لم يكن لها على عهد الحكم البطلمى المباشر من قبل ملوك مصر . وقد يرجح هذا الظن ، أنه بعد وفاة بطلميوس أبيون فى عام ٩٦ ق.م. وانتقال ملكية برقة الى الشعب الرومانى تنفيذا لوصيته ، اكتفى مجلس الشيوخ الرومانى بوضع يده على الأراضى الملكية وترك للمدن الحرية فى ادارة شئونها وشئون أراضيها[٩٥] . ونستطيع القول أن عنصر الاغريق ، وخاصة مواطنى المدن الاغريقية ، كان من أهم عناصر سكان برقة على عهد البطالمة ، وأن أهمية هذا العنصر كانت تزداد كلما تراخت قبضة هؤلاء الملوك على برقة، وضعفت سيطرتهم عليها ، وأن المدن وخاصة قورينى ، كانت تنتهز كل فرصة ممكنة لتثبت وجودها وتؤكد ذاتيتها .

وكان الى جانب الاغريق عناصر أخرى من السكان ، وذلك حسب ماروى استرابون . وهذه العناصر هى : المزارعون والأجانب واليهود[٩٦] . واذا كان استرابون ، وهو المعاصر لأغسطس ، قد كتب عن برقة فى أوائل العصر الرومانى ، الا أن حصره عناصر السكان على هذا النحو . ينصرف أيضا الى عصر البطالمة .

وأن بعضهم كانوا يستأجرون مساحات من أرض الملك أو أرض المدن أو أرض مدينة تضم المواطنين منهم ، وطبقة يتمتع أفرادها بامتيازات أقل وتضم جموع الاغريق من غير المواطنين ، وربما سمح لهم البطالمة بتشكيل جاليات قومية .

أما المزارعون فيرجح أنهم كانوا طبقة ضمت الليبيين الأحرار العاملين فى الزراعة والرعى . وربما يمكننا أن نفترض أن بعضهم كانوا ملاكاللأرض، وأن بعضهم كانوا يستأجرون مساحات من أرض الملك أو أرض المدن او أرض الأفراد . وربما كان يعيش بين هؤلاء المزارعيين بعض سلالة الجند المرتزقة وأصحاب الاقطاعات الذين جلبهم البطالمة الى برقة[٩٧] .

وكان للأجانب وضع خاص ، وذلك شأنهم فى أى مدينة اغريقية . أما اليهود فقد كانوا عنصرا على جانب كبير من الأهمية ، وقد سمح لهم البطالمة ، جريا على سياستهم فى مصر ، بتشكيل جاليات ، تمتعت بجانب كبير من الاستقلال الذاتى . وقد أفردت لدراسة اليهود وأوضاعهم فى العصرين الهيلينستى والرومانى ، المقال الثالث من هذه الدراسات .

هذه هى عناصر السكان الأربعة التى وجدها الرومان فى برقة عندما آل اليهم أمر حكمها . وكان لابد وأن تأتى عناصر رومانية وايطالية . وأن تصبح المكانة الأولى فى المدن للمواطنين الرومان .

ويساعد على تبين حقيقة الأوضاع الدستورية فى قورينى وفى برقة القرارات الخمسة المعروفة التى أصدرها الامبراطور أغسطس لمدينة قورينى . وقد نقشت هذه القرارات على لوحة من الرخام ، عثر عليها فى منطقة الأجورا وهى معروضة الآن فى متحف شحات[٩٨] . وهذه القرارات من نوعين :

النوع الأول ، ويضم القرارات الأربعة الأولى ، وكلها تتعلق بشئون برقة وتشتمل على نصوص على جانب كبير من الأهمية اذ تتعلق أساسا بالتنظيم القضائى أو القانونى للولاية ووضع الاغريق الذين منحوا حديثا حقوق المواطنة الرومانية . وتؤرخ هذه القرارات بشهر فبراير أو شهر مارس من عام ٦ ق.م.

٢ ـ النوع الثانى ، ويضم القرار الخامس ، وهو يختلف كل الاختلاف عن القرارات الأربعة الأولى اذ أنه عبارة عن قرار موجز للامبراطور ، يتضمن أمره بنشر قرار كان مجلس الشيوخ قد أصدره ليعلن فى كل أنحاء الامبراطورية ، ويتعلق بحالات قيام الموظفين الرومان بتجاوز سلطات وظائفهم وابتزازهم لأموال رعايا الامبراطورية **repetundae** . ويلى أمر الامبراطور نص قرار مجلس الشيوخ . وتاريخ القرار عام ٤ ق.م. [٩٩]

ويلاحظ أن القرارات الأربعة الأولى صيغت باللغة الاغريقية مباشرة ، فى حين أن القرار الخامس ترجم الى هذه اللغة عن اللاتينية[١٠٠] . ولما كان القرار الأخير خاصا بالامبراطورية كلها ، ولا يتصل بموضوعنا ، فاننا نقصر اهتمامنا على القرارات الأربعة الأولى .

يفهم من القرار الأول أن المحلفين كانوا يختارون من طبقة المواطنين الرومان ، ممن كانوا يمتلكون حوالى خمسمائة وألفى دينار رومانى ، وأن عدد هؤلاء كان خمسة عشر ومائتين مواطنا . وأن الرومان اعتادوا اتهام الاغريق بتهم كاذبة ، مما ترتب عليه تقديمهم للمحاكمة لارتكابهم جرائم عقوبتها الاعدام . وفى الوقت نفسه كان الرومان يتقدمون للادلاء بالشهادة ضد هؤلاء الاغريق الأبرياء الذين أعدم الكثيرون منهم . وهذا أمر لا يقره الامبراطور . ولذلك فانه يأمر حكام ولاية كريت وبرقة أن يعملوا على أن يختار عدد من المحلفين الاغريق ، يماثل عدد المحلفين الرومان ، وممن يمتلكون نفس النصاب المالى . وقد أوضح الامبراطور أنه من حق المتهم قبل بدء المحاكمة بيوم واحد ، أن يقرر ما اذا كان يريد أن يكون جميع المحلفين من الرومان أو أن يكون نصفهم من الاغريق . ومن رأى الامبراطور أنه ينبغى على حكام ولاية كريت وبرقة ألا يسمحوا لمواطن رومانى باقامة الدعوى ضد أغريقى أو اغريقية فى جرائم القتل الا اذا كان الذى يقيم الدعوى شخص منح حقوق المواطنة الرومانية ، وقتل واحد من أقاربه أو مواطنية .

وفى القرار الثالث يأمر الامبراطور بأن يلزم الأشخاص الذين منحوا فى برقة حقوق المواطنة الرومانية ، بأن يؤدوا الخدمات الالزامية الشخصية

المفروضة على المواطنين الاغريق تجاه مدينتهم . ويستثنى من هذا الأمر أولئك الذين أعفوا ، بمقتضى قرار من والده (قيصر) أو بمقتضى قرار منه بما يتفق مع القانون أو مع قرار لمجلس الشيوخ ، من الالتزام بأداء هذه الخدمات عند منحهم حقوق المواطنة . وحتى بالنسبة لأولئك الذين منحوا مثل هذا الاعفاء ، فان الامبراطور يبدى رغبته الشخصية فى أن يطبق الاعفاء فقط على ممتلكاتهم التى كانت لهم عند حصولهم على قرار بهذا الاعفاء . أما الممتلكات التى يحوزونها بعد ذلك ، فانها تخضع للالتزامات العادية .

وفى القرار الرابع ، ينص الامبراطور على أنه فى حالة المنازعات بين الاغريق ، فيما عدا القضايا الكبرى التى تستوجب الحكم بالاعدام ، فانه ينبغى أن يختار المحلفون من الاغريق ، مالم يطلب المدعى عليه أن يكون المحلفون من المواطنين الرومان . وبالنسبة للذين يختارون محلفين اغريق ، فان الامبراطور يوصى بألا يكونوا من مدينة المدعى أو المدعى عليه .

أما القرار الثانى فهو يتعلق بمحاكمة أجراها الامبراطور فى روما لبعض المواطنين الرومان الذين قرروا أمام حاكم الولاية أن لديهم معلومات تتعلق بسلامة المواطن الأول وأمن الامبراطورية. فبعث بهم الحاكم الرومانى مكبلين بالاغلال ليتولى الامبراطور استجوابهم بنفسه . وهذا القرار نستبعده من دراستنا ، فيما يتعلق بالأوضاع الدستورية على عهد هذا الامبراطور . وهذا القرار ان دل على شىء فانما يدل على مدى حرص الامبراطور بأن يقف بنفسه على ما يتصل بالأمن والسلام فى الولايات .

وفى القرار الأول نعرف أن برقة ضمت عددا من الرومان ، كان يختار من بينهم محلفون ممن يمتلكون نصابا قدره خمسمائة وألفا دينار على الأقل . وعدد أولئك الذين يتوفر فيهم هذا الشرط لم يتجاوز خمسة عشر ومائتى مواطن فقط . وهذا النصاب لا يعد نصابا مرتفعا آذا قارناه بنصاب المواطن الذى كان يدرج فى عداد المحلفين فى روما اذ كان يجب أن يكون نصابه أربعمائة ألف من السسترات أى ما يعادل مائة ألف دينار . وهذا يدل على مدى ما كان عليه مواطنو برقة الرومان من تواضع فى الثراء وبالتالى من

تواضع فى الاخلاق . وهذا يفسر سبب تلك المؤامرات التى يحيكها الرومان للاغريق .

وكان هدف هذه المؤامرات اقحام أكثر أثرياء الاغريق فى التهم الكبرى . وكان من الممكن بالتواطؤ مع المحلفين الرومان اثبات التهم المقامة ضدهم . واذا قبل المتهمون دفع مبالغ كبيرة من المال لهؤلاء المتآمرين فانه كان يجرى اطلاق سراحهم والا كان جزاءهم الاعدام[١٠١] .

ويمكن أن ندرك أهمية القرار الذى نظم طريقة اختيار نصف المحلفين من الاغريق ، وفى قصر حق اقامة الدعوى فى قضايا القتل بالنسبة للاغريق على أقارب القتيل أو مواطنيه وتحريم ذلك على الرومان . لأنه فى هذا الاجراء ، ضمان العدالة الكافية للاغريق حتى لا يقعوا فى براثن الرومان ويذهبوا ضحية لمؤامراتهم ودسائسهم[١٠٢] . وحرصا على مراعاة العدالة فى النظر فى قضايا يكون الاغريق فيها هم أطراف النزاع ، تضمن القرار الرابع رأى الامبراطور فى أن يختار محلفون اغريق من غير مدينة المدعى أو مدينة المدعى عليه ، وذلك فى القضايا العادية . أما فى القضايا التى يصدر فيها الحكم بالاعدام فان النظر فيها يكون من اختصاص الحاكم .

واذا أخذت قرارات أغسطس ككل ، فانها كانت بدون شك فى صالح الاغريق . فمن كان هؤلاء الاغريق ؟

فى رأى ڤنجر M. Wenger أن الاغريق هم :

أولا — مواطنو مدن برقة الاغريقية وسكان القرى من الاغريق .

ثانيا — كل المقيمين فى اقليم برقة وفى امكانهم البرهنة على انتمائهم اما الى مدن اغريقية واما الى معهد التربية (الجومنازيوم)اذ أن عضوية هاتين المنظمتين كانت مقصورة على الاغريق .

وهذه النظرية تتفق مع سياسة روما العامة فى البلاد التى تتحدث الاغريقية حيث نصبت من نفسها حامية للحضارة الاغريقية ومدافعة عن

تراثها . وبذلك كان الاغريق فى برقة ، سواء فى المدن أو خارجها يكونون طبقة ممتازة ، تتفوق على غيرها بوضعها الاجتماعى أو السياسى ، ويمكن التعرف عليها بسهولة . ويقابل الاغريق ، كما حدثنا استرابون ، الأجانب واليهود . وهؤلاء كانت لهم جالياتهم الخاصة بهم ، والمزارعون الذين يغلب على الظن ، كما أسلفنا أنهم كانوا من الليبيين الوطنيين . وقد بنى ڤنجر نظريته على أساس ما كان حادثا فى مصر ، حيث كان الاغريق والمصريون يكونون طبقتين منفصلتين متمايزتين ، لكل منهما وضع قانونى معين .

ويقابل هذه النظرية ، نظرية أخرى قال بها ديساو **Dessau** . وملخصها أن الرومان أدخلوا فى عداد الاغريق كل سكان برقة بدون ما تمييز على الاطلاق بين جنس وجنس أوعنصر وعنصر ، وفى رأيه أن ولاية برقة قد تأغرقت تأغرقا تاما . حتى ان كل واحد من سكانها أصبح يقال له اغريقى ، ومن ثم فهو ينتسب الى الهيلينية . وبذلك يدخل هذا المؤرخ الليبيين واليهود فى عداد الاغريق . ويدعم فكرته بأن اسم الاغريق على عهد أغسطس كان ينتظم كل سكان آسيا الصغرى وسوريا . ولكن الأوضاع التى كانت قائمة ليست فى صالح هذه النظرية . اذ أن استرابون فرق بوضوح بين الاغريق والأجانب ، والليبيين واليهود . ثم ان تلك الثورات العنيفة التى قام بها اليهود على عهد الامبراطور ڤسباسيان حوالى عام ٧٠ م. وعلى عهد الامبراطور تراجان فى عام ١١٥م. أثبتت بما لا يدع مجالا للشك أن اليهود لم يستطيعوا بحال الاندماج فى المجتمع الاغريقى فى برقة . والواقع أنهم لم يكونوا بحاجة الى ان يذوبوا فى هذا المجتمع وكذلك لم يكن فى استطاعتهم الحصول على مواطنة المدن الاغريقية . ويكشف عن هذه الحقيقة ، كما سيلى فى الدراسة التالية عن يهود برقة ، فانهم كانوا ينتظمون فى جاليات خاصة بهم ولهم أراكنتهم وحكامهم ولهم حق ممارسة شريعتهم الخاصة بهم . ويؤكد هذا الأمر نقش من برينيكى (= بنغازى) . ولكن ديساو يحاول أن يضعف من هذه البينة بقوله ان هذه التفرقة بين اليهود والاغريق كانت قد محيت فى الفترة التى أصدر فيها الامبراطور أغسطس قراراته تلك . ولكن يضعف من رأيه استمرار الأدلة

على وجود جاليات يهودية ، وأن قرارات أغسطس لم تشر لغير الاغريق . ولذلك فمن الأفضل الأخذ بنظرية ڤنجر[١٠٣] .

ويلاحظ أن القرارات ، من ناحية أخرى ، تحدثت عن الاغريق ، دون ما اشارة الى المدن ومواطنيها الاغريق . وهؤلاء جميعا يستنفيدون من قرارات أغسطس بوصفهم أغريق برقة ، وليس بوصفهم مواطنين فى مدنها . ولا يمكن تصور أن السلطات الرومانية كانت تجهل الاطار السياسى للمدن . وما كانت لتشرع القوانين دون أن تهتم بالروابط التى تربط بين كل اغريقى ومدينته . ولذلك ، فالى جانب الاهتمام برفع المظالم عن الاغريق بصفة عامة ، اهتم الامبراطور فى القرار الأول أن يوضح أن مندوبى مدن برقة أتوا الى روما يرفعون شكاواهم . ومعنى ذلك أنه كانت لهذه المدن الصلاحية لأن تحمى مصالح الاغريق فى مواجهة السلطات المركزية . وهذا اعتراف بالوضع المدنى للاغريق فى مدنهم . وفى القرار الرابع أوصى الامبراطور أن يختار المحلفون من مدن غير مدينة المدعى ، ومدينة المدعى عليه . وهذا اعتراف ضمنى بوجود تنظيم للمدن واعتراف الامبراطور بها .

وقد جاء فى القرار الثالث عبارة هيئة soma الاغريق . فهل كانت هذه الهيئة تنتظم كل اغريق برقة أو اغريق المدن ؟ وفى رأى البعض أن كلمة soma تصف جالية تعلو المدن الاغريقية وتضم كل اغريق برقة . وهذا يعنى أن أغسطس كان يفضل اتباع سياسة جنسية بايثار هذا التنظيم القومى للاغريق ، باعتبارهم ينتمون الى جنس واحد . ولكن هناك من يرى غير هذا الرأى ويقول أن كلمة soma وردت فى النص بمناسبة الحديث عن الخدمات الالزامية المفروضة على هيئة soma الاغريق . وهذه الخدمات لا يمكن أن تكون الا التزامات تؤدى للمدن . ولا شىء يدل على أن الخدمات الالزامية امتدت الى تنظيمات سياسية أكثر شمولا واتساعا من تنظيمات المدن ، وأنه يجب أن يؤخذ فى الاعتبار أن وجود مثل هذه المنظمات الواسعة يتعارض مع الأسس الدائمة التى قامت عليها السياسة الرومانية ، والتى تميل الى استبعاد كل تحالف ، وكل تنظيم يهدف الى تجميع مواطنى عدة مدن فى

هيئة واحدة . لأن ذلك لا يتفق مع السياسة الرومانية التى ابتكرت مبدأ فرق تسد divide et impera وأمام هذه الاستحالة يبرز رأى ثالث يقول بأنه يجب أن نفهم أن كلمة soma تعنى هيئة المواطنين فى كل مدينة على حدة . وحتى الدول الهيلينستية لم تكن لترحب بالتنظيمات السياسية الواسعة، وكان ملوك تلك الدول يتجهون نحو جمع السلطة فى أيديهم فى نظام سياسى قوى يعلو كل السلطات فى الدولة . وهذا النظام الهيلينستى يقابله النظام الرومانى، الذى أدخل فى نطاق سيطرته المدن والجاليات الأخرى بل ان ادارة الولاية أصبحت خاضعة لمجلس الشيوخ أو الامبراطور ، وهذا هو تنظيم الدولة الكبيرة الموحدة ، وقد خصت روما نفسها بالاشراف على الادارة المحلية ، وكانت تنظم بحكم وضعها المتفوق ، الذى كان يتلاشى أمامه كل مفاضلة بين الأفراد بحسب المدن التى ينتمون اليها . أى أن نظام الدولة يفوق كل ما عداه من أنظمة ، واصبح فى امكان الدولة أن تصل بقوانينها وعدالتها الى هؤلاء الأفراد بعد أن نجحت فى تحويل الأنظمة السياسية مثل المدن الى مجرد ادارات محلية بسيطة . وتمشيا مع هذا الاتجاه نجد الامبراطور فى القرار الثالث يمارس الوصاية على الادارة الداخلية للمدن . ثم ان هذا الاتجاه سيؤدى الى تطوير هام اذ ابتداء من القرن الثانى ستضعف البلديات بصفة تدريجية وتتحول الى مجرد فروع للادارة المركزية[١٠٤] .

وقد تضمن القرار الثالث الاشارة الى مواطنين اغريق منحوا حقوق المواطنة الرومانية . وكان عليهم بأمر من الامبراطور أن يلتزموا بأداء الخدمات الالزامية الشخصية munera personalja. والمعروف أن بعض اغريق قورينى كانوا قد منحوا حقوق المواطنة الرومانية ابان فترة الحروب الأهلية مقابل خدماتهم التى قدموها للمتصارعين من زعماء روما . ويبدو أن هؤلاء كانوا من أبرز عناصر سكان المدينة وأكثرهم ثراء . ولكن اعفاءهم من الخدمات الالزامية نحو مدينتهم ، قد تتسبب عنه أزمات اقتصادية ، اذ قد تعجز المدينة عن القيام بما هو مطلوب منها . ولذلك كان أغسطس حاسما باصداره أمرا صريحا بأنه يجب على هؤلاء المواطنين ، بالرغم من حصولهم على حقوق المواطنة الرومانية

أن يستمروا فى أداء الخدمات الالزامية لمدينتهم ، الا اذا كان قرار منحهم حقوق المواطنة الرومانية ، قد نص على اعفائهم من هذه الخدمات . وبذلك منع أغسطس الاغريق الذين اكتسبوا الجنسية الرومانية من الانفصال عن مدينتهم . ومن ناحية أخرى كان أغسطس حريصا على الزام هؤلاء بالخدمات الالزامية المفروضة على ممتلكاتهم munera patrimonii وقصر الاعفاء على الممتلكات ، الى كانت لهم عند منحم الجنسية الرومانية ، أما ما أضافوه من ممتلكات بعد ذلك ، فتخضع للالتزامات العادية .

ويبدو أن هؤلاء المواطنين قد أرادوا أن يحيوا لصالحهم مبدأ عدم جواز الجمع بين حق المواطنة فى مدينة ، وحق المواطنة فى مدينة أخرى . فبحصولهم على مواطنة روما تسقط عنهم مواطنة مدينتهم الأصلية فى برقة ، وما يتعلق بها من التزامات . ولكن القاعدة الجديدة فانها تترك المواطن الرومانى الجديد ليخضع للالتزامات التى كانت تفرضها عليه مواطنته القديمة لمدينته الأصلية . وكان على أغسطس أن يوضح فى هذا القرار الثالث ، أنه لا بد من صدور قرار خاص ينص فيه على الاعفاء الشامل من هذه الالتزامات . ونحن بذلك بصدد طائفتين من المواطنين الاغريق ، الذين منحوا حقوق المواطنة وأولاهما ، طائفة تنتظم المواطنين العاديين ، ولا يعفون من الخدمات الالزامية الشخصية ، والطائفة الثانية يقتصر حقهم فى الاعفاء بالنسبة لممتلكاتهم التى كانت لهم عند منحهم الجنسية الرومانية فقط . ولا يشمل الاعفاء التخلص من الخدمات الالزامية الشخصية[١٠٥] .

وبذلك يكون أغسطس قد أقر بوضع المواطنين الاغريق الممتاز فى برقة واستمر فى منحهم حقوق المواطنة الرومانية مع الاهتمام بتنظيم العلاقة بينهم بوصفهم مواطنين رومان ، وبين مدنهم الأصلية ببرقة .

ولم تتوقف عملية منح الحقوق الرومانية للاغريق بل استمرت على نطاق واسع فى عهد تيبريوس وربما أيضا فى عهد كلاوديوس . حتى أن نصف عدد سكان قورينى فى القرن الثالث كان من المواطنين الذين كانوا من أصل اغريقى[١٠٦] .

الحواشي

١ – Herodotus, IV 160
٢ – idem, IV. 159
٣ – idem, IV. 161
٤ – idem, IV. 162
٥ – Aristotles, Politic. 1320, 6 21 - 25; Diodorus Siculus, XVII, 21
٦ – Diodorus Siculus, op. cit.
٧ – Plutarchos, Philopoemen, I, Polybius X, 22
راجع ابرهيم نصحى ، تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، جـ ١ ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٦٠ ص ١١٤ وما يليها .
٨ – A.J.B. Wace, Handbook on Cyrenaica, Part III. The Classical Period. P. 13, P. Romanelli, La Cirenaica Romana, Rome, 1943. P. 39.
٩ – P. Romanelli, op. cit. P. 41 ff.
١٠ – idem op .cit. P. 45
١١ – ابراهيم نصحى ، المرجع السابق ص ٣٠٥ ، idem, op. cit. PP. 46 - 71
١٢ – راجع حاشيـة ٣ .
١٣ – S.E.G. IX 1
١٤ – S.E.G. IX 8
١٥ – Herodotus, IV. 153.
١٦ – S.E.G. IX, 3 cf. F. Chamoux, Cyréne Sous la monarchie des Battiades, Paris 1953, P. 105 ff.
١٧ – F. Chamoux op. cit. P. 111
١٨ – idem, op. cit., PP. 140, 213
١٩ – idem. op. cit. P. 214, M. Cary "A Constitutional Inscription from Cyrene", *JHS*, vol. XLVIII, 1928, PP. 222 - 238, P. 235
٢٠ – F. Chamoux, op. cit. PP. 140, 221
٢١ – idem. op. cit. P. 139
٢٢ – Herodotus, IV, 160
٢٣ – F. Chamoux, op. cit. P. 215
٢٤ – idem, op. cit. P. 214 N. 8
٢٥ – Herodotus IV. 165

٢٦- F. Chamuox, op. cit. P. 216

٢٧- idem, op. cit. 140 N. 4

٢٨- cf. F. Chamoux, op. cit. P. 215 N. 6

٢٩- راجع حاشيــة ٢٠ .

٣٠- F. Chamoux, op. cit. P. 129

Herodotus, IV. 160

٣٢- F. Chamoux op. cit. P. 137

٣٣- Herodotus, IV, 161

٣٤- الحاشيــة الســابقة .

٣٥- C.A.H. III, P. 668, A.H.M. Jones, Cities of the Eastern Roman Empire, Oxford. 1937. P. 353

٣٦- F. Chamoux, op. cit. P. 221 ff.
عن تماثيل الأشخاص الذين تظهر فيهم الملامح الليبية راجع أيضا .
E. Rosenbaum, A. Catalogue of Cyrenaican Portrait Sculpture London, 1960 PP. 8, 22.

٣٧- S.E.G. IX, 1.

٣٨- Herodotus, IV. 155

٣٩- F. Chamoux op. cit. P. 96

٤٠- idem op. cit. P. 140

٤١- Herodotus IV. 160

٤٢- F. Chamoux, op. cit. P. 217

٤٣- A.H.M. Jones, op. cit. P. 353

٤٤- F. Chamoux, PP. 141, 217 ff., S.E.G. IX, 1 cf. M. Cary op. cit. P. 231 ff.

٤٥- Herodotus, op. cit. IV 162 - 166, 200 - 205

٤٦- A.J.B. Wace op. cit. P. 8 ff.

٤٧- S.E.G. IX, 1

٤٨- راجــع حاشيــة ٥ .

٤٩- راجــع حاشيــة ٥ .

٥٠- F. Chamoux, op. cit. PP. 215 N. 6, 237

٥١- cf. A.H.M. Jones op. cit. P. 355

٥٢- Aristotles. Ath. Polit. 20

٥٣- ابراهيم نصحى ، المرجع السابق ص ٥٦ .
Diodorus Siculus XIV. 34.

٥٤- نشرت هذه الوثيقة عدة مرات ، وكان آخر نشر لها فى مجموعة S.E.G. IX
تحت رقم (١) . وقد توفر على دراستها والتعليق عليها كثير من المؤرخين
مثل S. Ferri الذى كان أول من نشرها فى

(Abhandlungen der Berliner Akad. 1925 N. 5), Oliverio, De Sanctis, Heichelheim Wilamowitz, M. Cary, S. Reinarch.
S. Reinach, La Charte Ptolémaïque De Cyrene. راجـع
Rev. Arch. 5eme serie Tome XXVI, Juil. - Dec. 1927 PP. 1 - 30, M. Cary. A constitutional Inscription from Cyrene, *JHS* vol. XLVIII, 1928, PP. 222 - 238, P. 222 Nos. 1 - 4, G. Oliverio, Documenti Di Cirene Antica, *Riv. di Filologia Classica* Anno VI.Fasc. 2 -3, 1928, PP. 183 - 222

٥٥ – S. Reinach op. cit. P. 2, M. Cary op. cit. P. 222

٥٦ – cf. A.H.M. Jones, op. cit. P. 357 ff. M. Cary P. 223

٥٧ – راجع المواد ، الثانية ، والثامنة ، والتاسعة عشرة .

٥٨ – M. Cary op. cit. P. 224

٥٩ – S. Reinach. P. 2

٦٠ – A.H.M. Jones, op. cit. N. 9 P. 485

٦١ – M. Cary op. cit. P. 222

٦٢ – راجـع حاشيـة ٦٠ .

٦٣ – S. Reinach op. cit. P. 2

٦٤ – M. Cary, op. cit. P. 224

٦٥ – idem

٦٦ – idem

٦٧ – idem

٦٨ – idem, P. 226

٦٩ – idem

٧٠ – idem, P. 230

٧١ – idem, P. 231

٧٢ – idem, P. 223 N. 86, F. Chamoux, op. cit. P. 214 N. 8

٧٣ – M. Cary op. cit. P. 223

٧٤ – M. Cary op. cit. P. 224, A.H.M. Jones, The Greek City From Alexander to Justinian, Oxford, 1940, P. 104

٧٥ – M. Cary, op. cit.

٧٦ – idem P. 235

٧٧ – idem P. 228

٧٨ – M. Cary, op. cit. P. 238

٧٩ – راجع ابراهيم نصحى ، المرجع السابق ص ٥٦ .
M. Cary, op. cit. P. 222, 223 Nos. 12, 13.

A.H.M. Jones The Cities, P. 357

٨٠ – S. Reinarch, op. cit. P. 10 ff., Jouguet. Macedonian Imperialism. London 1928 P. 192

٨١ – M. Cary, op. cit. P. 222

٨٢ – ابراهيم نصحى ، المرجع السابق حـ ١ صص ٧٨ ، ٧٩ .
M. Cary. A History of the Greek World (323 - 146 B.C.), 2nd ed. Lond. 1959 PP. 27, 31.

٨٣ – E.S.G. Robinson, Catalogue of the Greek Coins of Cyrenaica (B.M.C.), London, 1927, PP. lxxxiii - lxxxvii, A.H.M. Jones op. cit. P. 358

٨٤ – ابراهيم نصحى ، المرجع السابق حـ ١ ص ١١٤ وما يليها .
A.H.M. Jones op. cit. P. 358

٨٥ – راجع حاشية ٧ وحاشية ٨٠ .

٨٦ – E.S.G. Robinson, op. cit. P. CXXIV ff., A.H.M. Jones op. cit. P. 359.

٨٧ – idem, P. 359

٨٨ – الحاشيـــة السـابقة .
P. Jouguet op. cit. P. 192

٨٩ – A. Wace, op. cit. P. 12

٩٠ – راجـــع حاشيـــة ٨٠ .

٩١ – A.H.M. Jones, op. cit. PP. 359 & 485 N. 11

٩٢ – R.G. Goodchild, The decline of Cyrene and the rise of Ptolemais: Two new inscriptions, *Quaderni di Archeologia della Libia* N. 4, 1961, PP. 83 - 95 P. 85 ff.

٩٣ – راجـــع حاشيـــة ٨٦ .

٩٤ – S.E.G. IX, 7
انظر ترجمة هذه الوثيقة ، عبد اللطيف احمد على . مصر والأمبراطورية الرومانية فى ضوء الأوراق البردية ، القاهرة ١٩٦٠ ص ١٠ .

٩٥ – راجع حاشية ١٠ ، ذكر شيشرون فى De lege agraria, ii. 50 أن ارض الملك أبيون فى برقة تحولت الى
Ager Publicus populi Romani; M.I. Rostovtzeff, Social and Economic History of the Hellenistic world. Oxford 1941 P. 851

٩٦ – Strabo, ap. Josephus, ant. XIV 115 cf. C.A.H. XI, P. 670 ff.

٩٧ – M.I. Rostovtzeff, Social and Economic History of the Roman Empire, 2nd ed. Oxford. 1957 P. 310, G.A.H. IX, P. 671

٩٨ – عن هذه القرارات والدراسات المتعلقة بها . انظر قائمة المراجع فى .
F. De Visscher, Les Edits D'Auguste Decouvertes a Cyréne, Osnabrück, 1965, P. 13 ff., S.E.G. IX. 8,

٩٩- N. Lewis & M. Reinhold, Roman Civilisation, Vol. II, New-York, 1955, P. 37 ff.

١٠٠- F. De Visscher op. cit. P. 35 ff.

١٠١- idem P. 36

١٠٢- idem P. 56, C.A.H. IX, P. 670

١٠٣- F. De Visscher, op. cit. PP. 57, 76

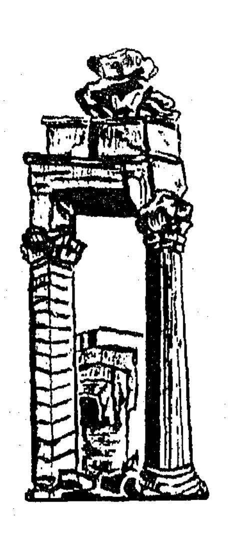
١٠٤- عن هذه الآراء راجع .

idem, op. cit. P. 48 ff.

١٠٥- idem P. 92 ff.

١٠٦- idem P. 98 ff., C.A.H. IX; P. 670

J. Reynolds, Four Inscriptions from Roman Cyrene *JRS* vol. XLIX, 1959, Parts 1, II, PP. 95 - 101, P. 97 ff. C.A.H. IX, P. 670 N. 1.



اليهود في برقة
في العصرين الهيلينستي والروماني

اليهود فى برقة

ذكر المؤرخ يوسف أن «بطلميوس أرسل فريقا من اليهود الى مدينة قورينى (شحات) ليستقروا بها، ذلك لأنه كان مهتما بتشديدقبضته على هذه المدينة ومدن ليبيا (برقة) الأخرى»[1] ، ونقل هذا المؤرخ أيضا عن استرابون قوله «أن اليهود على عهده (أى على عهد الامبراطور أغسطس) كانوا قد وجدوا طريقهم الى كل مدينة . ومن العسير ألا تجد فى أى مكان من العالم المعمور موطنا لهذا الشعب الذى كان يشعر بقوته . وقد حدث أن قورينى التى كان يحكمها نفس حكام مصر (البطالمة) قلدت هذا ، فى مواطن كثيرة ، وخاصة فى تشجيع انتشار جماعات اليهود المنظمة syntagmata والتى كانت تحافظ على شرائعها»[2] .

ويعنى قول يوسف أن اليهود أخذوا يتوافدون على برقة بعد عام ٣٢٢ ق.م. ، عندما أتيحت الفرصة لبطلميوس ، وكان لايزال واليا على مصر من قبل أسرة الاسكندر ولم يصبح بعد ملكا عليها ، للتدخل فى شئون قورينى ، مستغلا الصراع بين أحزابها ، وتمكن من بسط سيطرته عليها[3] . ويفهم أيضا من قول يوسف أن العناصر اليهودية الأولى فى برقة كانت ذات صبغة عسكرية . وقياسا على ما حدث بمصر يرجح أن غالبية الجند اليهود كانوا من الأسرى الذين أتى بهم بطلميوس نتيجة لغزواته المتكررة ، لأرض فلسطين[4] . ولم يحل وضعهم كأسرى دون استخدام عدد كبير منهم جندا فى الحاميات[5] . وجريا على سياسة البطالمة فى تشجيع توطن العناصر الأجنبية ومن بينها اليهود ، يغلب على الظن أن طائفة من أحرار اليهود وجدت فى برقة البيئة الصالحة لاستقرارها وبدأت تهاجر اليها من مصر ، لأن قورينى على — حد قول استرابون — بلد

مجاور لمصر أو بالأحرى كان تابعا لها[6] • ويبدو كذلك أن بعض اليهود فى أرض يهوذا بفلسطين المتمسكين بحرفية الشريعة ، لجأوا الى برقة وانضموا الى يهودها ابان تلك الفترة التى تعرضوا فيها لمحنة قاسية عندما أراد أنطيوخوس أن يحملهم على التأغرق[7] •

وتؤكد الشواهد الأثرية ما ذهب اليه استرابون من تشجيع البطالمة لانتشار جماعات اليهود المنظمة فى برقة • وتنهض هذه الشواهد دليلا واضحا على وجود يهود فى بطوليميس (طلميثة) منذ عصر البطالمة ، اذ عثرت بعثة المعهد الشرقى بجامعة شيكاغو على عملة برونزية يهودية من ذات ربع الشاقل من ذلك النوع الذى أصدره فى يهوذا سيمون المكابى (١٣٩ — ١٣٥ ق٠م٠)[8]• وتقدم مقابر مدينة أرسنوى (توكره) دليلا على وجود اليهود فى هذه المدينة فى العصر البطلمى ، ولو أن هذه المقابر من العصر الرومانى[9]• ذلك أن اسم بطلميوس[10] يظهر على بعض شواهد القبور مما يوحى بأن يهود أرسنوى كانوا يحتفظون فى أنفسهم بذكرى طيبة لأحد ملوك البطالمة الذى مكن لأسلافهم من الاستقرار بهذه المدينة[11] ، ويتبين أيضا من دراسة هذه الشواهد أن بعض اليهود الطاعنين فى السن ولدوا فى أواخر القرن الثانى ق٠م٠[12] فاذا كانوا قد أقاموا فى المدينة منذ أول نشأتهم فان هذه الحقيقة قد تعنى أن اليهود كانوا يقيمون بالمدينة منذ عصر البطالمة ، وقد يقوى من هذا الظن أن شواهد القبور مؤرخة بالشهور المصرية • وهذا فى حد ذاته دليل على بقاء التقاليد البطلمية ممثلة فى طريقة التأريخ لدى أهل أرسنوى[13] . وكنا نتوقع أن نظفر بأدلة أثرية على وجود اليهود فى قورينى حتى تعزز المصادر الأدبية • ولكننا حتى الآن مضطرون الى الاعتماد على تلك المصادر ، اذ لم تتضمن نقوش المدينة من العصر البطلمى ، على كثرتها ، اشارة الى اليهود أو الى بيعهم أو أحداث تتصل بهم •

وفيما عدا ذلك لانظفر بأدلة أخرى على وجود يهود فى بقية مدن برقة • فهل يعنى هذا أن اقامة اليهود فى العصر البطلمى اقتصرت على قورينى وبطوليميس وأرسنوى ؟ الواقع اننا نملك الأدلة على قيام جالية قوية لهم فى

برينيكى (= بنغازى) فى أوائل العصر الرومانى[١٤] ، ومن المرجح جدا أن جالية يهود برينيكى فى العصر الرومانى كانت قائمة أيضا فى العصر البطلمى . ولما كان يوسف قد أوضح أن الهدف الأول لاحضار اليهود الى برقة كان لتمكين بطلميوس من السيطرة على قورينى ومدن برقة الاغريقية الأخرى فان بعض المؤرخين يتوقع أن تسفر أعمال التنقيب مستقبلا عن ظهور أدلة تؤكد وجود جاليات عسكرية يهودية فى مناطق كثيرة على ساحل برقة[١٥] ، والى جانب ذلك من المعروف أن البطالمة كانوا يقطعون جندهم المرتزقة اقطاعات من الأرض الزراعية فى ريف مصر[١٦] ، ومن المرجح أنهم فعلوا نفس الشىء بالنسبة لجندهم المرتزقة ، ومن بينهم اليهود فى ريف برقة . والمعروف أن برقة على عهد البطالمة كانت ، بصفة عامة ، بلدا يضم عددا قليلا من المدن ، وعددا كبيرا من القرى[١٧] . وكان من الطبيعى أنه كانت تقيم فى هذه القرى طبقة من المزارعين الذين كانوا يقومون على زراعة أرض الملك وأرض المدن[١٨] . ومن الممكن القول أن هذه الطبقة ضمت جماعات من الجند أصحاب الاقطاعات . وهذه بدورها يدخل الجند اليهود فى عدادها . واذا سلمنا بذلك ، فان هذا يعنى أن اليهود كانوا يشكلون عنصرا من عناصر السكان فى القرى المنتشرة فى ريف برقة ، الى جانب أنهم كانوا عنصرا من عناصر سكان المدن .

ولم تكن الجندية ، فيما يرجح ، هى العمل الوحيد الذى نشط اليه اليهود فى برقة . بل انه من المحتمل أن يكون نشاطهم قد امتد الى العمل فى خدمة الحكومة ، ذلك لأن برقة كانت فى معظم فترات العصر الهيلينستى جزءا من امبراطورية البطالمة . ومن الطبيعى أن تكون الادارة الحكومية فيها قد سارت تقريبا على نسق مثيلتها فى مصر ، وكان لليهود فى تلك الادارة نصيب وافر . وتدل البرديات والأستراكا على كثرة عدد اليهود الذين شغلوا وظائف حكومية ، وخاصة فى الادارة المالية . لذلك لا يستبعد أن تكون الادارة الحكومية فى برقة قد عملت على توظيف اليهود فى بعض الوظائف الحكومية وبنوع خاص تلك المتصلة بالاحتكارات الملكية وجباية الضرائب وادارة الأراضى الملكية ومساعدة الأويكونوموس الذى كان يرأس الجهاز المالى

وخاصة فى الموانى ذات النشاط التجارى مثل ميناء بطوليميس التى تدين بوجودها للبطالمة[20] .

والى جانب العمل فى خدمة الحكومة ، كانت مجالات النشاط الاقتصادى الحر غير الحكومى كثيرة ومتنوعة ، اذ أتيحت للمدن البرقاوية فرص كثيرة للازدهار والرخاء ، فأفادت من اتجاه البطالمة نحو تنشيط التجارة فى امبراطوريتهم وتنمية مواردها الاقتصادية . وواضح أن العاملين فى التجارة وشحن السفن وتفريغها ونقل السلع وأصحاب المخازن التجارية وربابنة السفن كانوا من أبرز عناصر السكان فى المدن الساحلية مثل بطوليميس[21]. وفى مثل هذه المدن التى تزخر بهذا النشاط ، كانت تنشأ عادة طائفة المرابين الذين يقرضون الأموال للتجار والعاملين فى التجارة البحرية . ومن السهل علينا فى ضوء دراسة نشاط اليهود فى الاسكندرية[22] ، تصور أنه كان منهم التجار وأصحاب السفن والمرابون فى مدن برقة ولعل الذى ساعد اليهود على أن يحرزوا هذا النجاح فى هذا المجال انما كان اتقانهم للغة الاغريقية ، التى اصطنعوها واتخذوها لسانا لهم حتى فى المسائل المتصلة بالعبادة والعقيدة ، وتزييهم بالزى الاغريقى وحرصهم بصفة عامة على ألا يبدوا عنصرا غريبا من سكان المدن[23] .

أما فى ريف برقة ، حيث الحياة الاقتصادية تكاد أن تكون مركزة فى الزراعة والرعى والمهن الزراعية المتصلة بهما ، فقد كان فى وسع اليهود ، وهم على جانب كبير من الخبرة فى مثل هذه الأمور ، الأخذ بنصيب منها سواء كانوا جندا من أصحاب الاقطاعات أو كمستأجرين للأرض أو أجراء يعملون فيها .

وهكذا كان فى استطاعة اليهود العمل فى شتى مجالات النشاط الحكومى والحر . وماكانوا ليفلتوا الفرص التى أتيحت لهم بفضل الحماية التى وفرها لهم البطالمة كما حدث بالنسبة لبنى جلدتهم فى مصر .

ويتصل بدراسة نشاط اليهود وحياتهم الاقتصادية دراسة أوضاعهم القانونية على عهد البطالمة . ويسترعى النظر ما ذكره استرابون من أن قورينى

فى ذلك العصر شجعت انتشار جماعات اليهود المنظمة التى كانت تحافظ على شرائعها . ولكن مصادرنا لا تفصح عن طبيعة تنظيم هذه الجماعات فى العصر البطلمى . ومن المعروف أن البطالمة سمحوا ليهود الاسكندرية بأن ينتظموا فى جالية أو جمعية قومية politeuma [٢٤] . وقد ابتكر البطالمة نظام الجالية لارضاء جموع الأجانب غير المواطنين فى مدن مصر الاغريقية والعناصر الاجنبية الأخرى التى لم يكن لها حظ المشاركة فى مواطنة المدن . وفى نطاق هذه الجالية كانت هذه العناصر تستطيع مباشرة حياتها الخاصة بحرية تامة لأن الدولة اعترفت لها بشخصيتها القانونية من حيث استطاعتها تصريف شئونها وحقها فى التملك وادارة أملاكها[٢٥] . وكان لجالية يهود الاسكندرية هذه الامتيازات التى تبدو ممثلة بوضوح فى تمتعهم بالاستقلال القضائى اذ كان لهم الحق فى تطبيق شريعتهم فى المسائل المتصلة بالأحوال الشخصية والسماح للقائمين على أمر الجالية بتحصيل الضرائب التى حددتها تعاليم التوراة من اليهود ، وارسال ما يتجمع منها فى خزانة الجالية ، مع ما يقدمه بعض أفرادها من أموال ومعادن نفيسة ، الى هيكل أورشليم[٢٦]. هذا فضلا عن السماح لهم باقامة البيع[٢٧] . وقياسا على ذلك فانه من المرجح أن يكون البطالمة قد اعترفوا ليهود قورينى وغيرها من مدن برقة بمثل هذا الوضع وسمحوا لهم بتشكيل الجاليات ، ويدعم هذا القول أن نقشين من برينيكى[٢٨] من أوائل العصر الرومانى يتحدثان عن جالية لليهود فى المدينة لها أراكنة يصدرون القرارات ويذيعونها باسمها . وفى ضوء هذين النقشين يكون من المرجح أنه قد قامت لليهود فى العصر البطلمى أيضا مثل هذه الجالية أو بالأحرى ان وجود هذه الجالية هو استمرار لوضع كان قائما فى العصر البطلمى . ويفهم من نقوش أخرى[٢٩] ، من نفس المدينة أنه كانت لليهود فى عصر الامبراطور نيرون بيعة . وقد تعنى هذه الحقيقة أن الرومان أبقوا على امتيازات دينية كانت لليهود فى العصر البطلمى .

ويتبين مما سبق أن يهود برقة ، مثل يهود مصر ، حظوا فى ظل حكم البطالمة ، بامتيازات تمثلت فى منحهم الحق فى تشكيل جاليات يتمتعون فيها

بحظ من الاستقلال الذاتى ومزاولة شعائر دينهم فى بيعهم • وكان كل ذلك فى حماية الدولة وبدون ما تدخل من جيرانهم •

ونخلص من هذا الى القول بأن البطالمة حددوا الوضع القانونى لليهود فى البناء السياسى للمدن البرقاوية على نحو ما فعلوا بالنسبة ليهود الاسكندرية • فلم يرفعوهم الى مرتبة مواطنى المدن الاغريقية تلك[٣٠] ، بل قصروا امتيازاتهم على حقهم فى تشكيل الجاليات وانشاء البيع • وجدير بالذكر أن الدستور الذى وضع لقورينى على عهد البطالمة جاء خلوا من أى اشارة الى اليهود بالرغم من اهتمامه الواضح بتحديد هيئة مواطنى المدينة والذين يسمح لهم بالانضمام اليها[٣١] • والملاحظ كذلك أن المؤرخ اليهودى يوسف وقد أجهد نفسه فى اثبات حق مواطنة الاسكندرية ليهودها فى العصر البطلمى[٣٢] ، لم يتحدث بشىء عن وضع اليهود فى قورينى وغيرها من مدن برقة •

واذا كان اليهود قد وفقوا على هذا النحو الى تكوين مجتمع خاص بهم فهل يعنى ذلك أنهم تباعـدوا عن حياة المجتمعات الاغريقيـة فى المدن البرقاوية ؟ وهل استطاعوا أن يتمسـكوا بتعاليم دينهم وحرفية شـريعتهم فعصمهم ذلك من أن تجرفهم مباهج الحياة الاغريقية الوثنية ؟ وهل أعرضوا عن التردد على مسارح قورينى وبرينيكى وبطوليميس وحماماتها ؟ وهل حرموا أنفسهم من التزود بالثقافة الاغريقية والمشاركة فى المباريات الرياضية فى الجومنازيوم ؟

الواقع أن مصادرنا عن اليهود فى برقة فى العصر البطلمى لاتكاد تساعد على الاجابـة على هذه الأسئلـة ، ولكن قد تعيننا على تفهم حياة اليهود الاجتماعية ، دراسة حياتهم تلك فى ضوء ما نعرفه من يهود العالم الهيلينستى بصفة عامة ، ويهود الاسكندرية بصفة خاصة • المعروف لنا أنه لم يكن هنالك ما يمنع اليهود من الأخذ بأسباب الحضارة الهيلينستية • ومظهر ذلك هو اصطناعهم للغة الاغريقيـة ونقلهم التوراة اليها بعد أن تبين لزعماء جاليـة الاسكندرية أنه قد أصبح من المتعذر على عامة اليهود قراءة التوراة فى لغتها الأصلية[٣٣] • والمعروف أيضا أن يهود الاسكندرية أسهموا فى الأدب الاسكندرى

وخلفوا تراثا أدبيا يتضح فيه تقليدهم النماذج الاغريقية من حيث صيغتها وصورها ، حتى أن القارىء لها لايكاد يحس أنه بصدد أدب يهودى الا من حيث أنه كان يتناول مواضيع متصلة بحياة اليهود وتاريخهم ومساجلاتهم الأدبية والفلسفية مع بعض فلاسفة الاغريق ومفكريهم . وما كان فى استطاعة اليهود تحقيق هذا التعمق الواضح لو لم يكونوا قد ألموا الماما كافيا بالعناصر الأساسية للثقافة الاغريقية[٣٤] . ولما كانت قورينى مركزا من مراكز النشاط الفكرى فى العصر الهيلينستى ، فانه ليس من المستبعد أن يهودها أقبلوا على مجاراة جيرانهم الاغريق فى مجالات الفكر المختلفة . وقد برز من بين يهود قورينى بالفعل مفكر يدعى ياسون عاش على الأرجح حوالى منتصف القرن الثانى ق.م. وقد وضع مؤلفا باللغة الاغريقية فى خمسة أجزاء عن تاريخ اليهود .وقد أقر واضع سفر المكابيين الثانى أن هذا الكتاب مستخرج من مؤلف ياسون ، وينتمى هذا المؤلف على أى حال الى نتاج المدرسة التاريخية فى العصر الهيلينستى[٣٥].

والى جانب اصطناع اليهود للغة الاغريقية ، يغلب على الظن أنهم أطلقوا على أبنائهم أسماء عبرية بعد ترجمتها الى اللغة الاغريقية أو أسماء اغريقية صريحةأو أسماء تحتمل الصفتين اليهودية والاغريقية معا أو أسماء وثنية أو أسماء يدخل فى تركيبها اسم الرب ، وذلك قياسا على ما فعلوه فى مصر[٣٦]. وللأسف لم يعثر على أسماء ليهود فى برقة من العصر البطلمى ولكن سنجد هذه الظاهرة واضحة تماما فى أسماء يهود قورينى وأبوللونيا وتوكره وبرينيكى فى العصر الرومانى[٣٧]. فضلا عن ذلك من المرجح أن بعض اليهود فى مدن برقة على الأقل تزيوا بزى الاغريق . وبذلك اكتمل لهم المظهر الاغريقى الذى ساعدهم على الاندماج فى حياة المدن الاغريقية دون أن يلفتوا نظر جيرانهم الاغريق أنهم غرباء عن مجتمعهم عنصرا ولغة ودينا . وفى الوقت نفسه تمكنوا بفضل بيعهم وجالياتهم من المحافظة على وجودهم وكيانهم الخاص بهم. وبذلك كان اليهود هم الذين يحددون المدى الذى يستطيعون الذهاب اليه فى احتكاكهم بالمجتمع الاغريقى. ولكن ليس معنى هذا ، أن كل اليهود اتجهوا هذا الاتجاه . ولابد أن نتوقع

أن طائفة من يهود برقة تمسكت بحرفية الشريعة ورفضت أن تتقرب من المجتمع الاغريقى أكثر من اللازم . وقد تعرض اليهود فى أورشليم لتجربة قاسية عندما أراد أنطيوخوس الرابع (١٧٥ — ١٦٤ق.م.) أن يحملهم على التأغرق ، وقد استجاب الكثيرون لمحاولات هذا الملك وبالغوا فى ذلك حتى أنهم التمسوا منه السماح لهم بانشاء جومنازيوم خاص بهم[٣٨] . وقاوم اليهود المتعصبون لشريعتهم هذا الاتجاه جهد طاقتهم . ولقى أونياس الثالث الحبر الأعظم لأورشليم مصرعه وآثر ابنه أونياس الرابع أن يفر من هذه الفتنة مع أتباعه الى مصر ، حيث رحب بهم ملكها بطلميوس السادس فيلومتور (١٨١ — ١٤٥ق.م) وسمح لهم باقامة معبد على نسق هيكل أورشليم فى مدينة ليونتوبوليس[٣٩] . وقد هاجر نفر من الفارسيين فى نفس هذا الوقت الى قورينى ، ليقيموا بين يهودها وربما كانوا قد ارتبطوا ارتباطا دينيا بمعبد أونياس فى مصر[٤٠] . ولعل البطالمة رحبوا بمجىء هؤلاء اليهود الى برقة على نحو ما فعلوا بالنسبة لأونياس وأتباعه وذلك كيدا لخصومهم السليوقيين .

ويبدو أن يهود برقة عاشوا فى ظل الحكم البطلمى فى أمن وطمأنينة اذ لم يرد فى مصادر تلك الفترة من تاريخ برقة ذكر لأى اضطراب كان اليهود طرفا فيه ، أو سببا من أسبابه . وكنا نود أن نظفر من تلك المصادر ببيان عن حقيقة موقف هؤلاء اليهود من الملك يورجتيس الثانى (١٤٥ — ١١٦ ق.م.) ، الذى كان قبل أن يتولى عرش مصر معروفا باسم بطلميوس الصغير يوم أن كان ملكا على برقة ، وكان ينافس أخاه ملك مصر بطلميوس السادس فيلومتور ويتوق الى ارتقاء عرشها . فما أن قتل هذا الملك فى سوريا فى أوائل عام ١٤٥ ق.م. ، حتى هرع الى الاسكندرية ، وكان يناصره أحد أحزابها . وتصدت لمقاومته أخته وأرملة أخيه الملكة كليوباترة الثانية . وكانت تعتمد على تأييد أرستقراطية الاسكندرية وعلى يهودها ، بل انه كان يقود جيشها قائدان يهوديان . وقد سارع أيضا الى نجدتها أونياس الرابع . وما أن انتصر ملك برقة حتى شن حملة انتقام على أعدائه ومن بينهم اليهود . وذكر يوسف أنهم تعرضوا لمحنة قاسية لم ينقذهم منها فيما يبدو سوى عفو الملك عنهم

فيمن عفا عنه من خصومه بعد أن تزوج من كليوباترة . وما لبث الصراع أن تجدد بين هذه الملكة وزوجها يورجتيس وعاد اليهود الى مؤازرة الملكة[٤١] . فهل لزم يهود برقة الهدوء وركنوا الى السكينة وكتموا سخطهم على الملك لموقفه من يهود مصر ؟ عثر على نقش فى قورينى[٤٢] يتحدث عن شكر المدينة لقرارات العفو التى أصدرها يورجتيس الثانى ، فيما يرجح . ويفهم من النقش أن المدينة وريفها كانا فى حالة من الاضطراب وعدم الاستقرار اذ أهدر سكان الريف القانون . ويبدو أن بعض المستعمرين من العسكريين قد أدينوا فى هذه الاحداث وأن ثمة حربا أهلية أو أسرية قد نشبت وأدت الى تقديم المسئولين الى المحاكمة . على أى حال يبدو أن برقة كانت مشتركة فى أحداث مصر . ولو كنا نملك المزيد من التفاصيل ، لساعد ذلك على تبين حقيقة موقف اليهود من هذه الأحداث الغامضة ، خاصة وأنه يبدو أن بعض أصحاب الاقطاعات قد فقدوا أراضيهم لسبب أو لآخر فى عهد يورجتيس الثانى [٤٣] . وليس لدينا دليل مباشر كذلك على اشتراك يهود برقة فى الصراع الأسرى كما حدث فى مصر وليس لدينا الدليل أيضا على تعرضهم لأى اضطهاد أو على وقوع صدام بينهم وبين الاغريق أو الليبيين طوال فترة الحكم البطلمى لبرقة .

هذا ما كان من شأن اليهود فى العصر البطلمى ، فماذا كانت أحوالهم وأوضاعهم على عهد الرومان ؟

فى عام ٩٦ ق.م. وبعد وفاة بطلميوس أبيون آخر ملك بطلمى على قورينى آلت مملكة برقة بموجب وصيته المعروفة الى الرومان[٤٤]. ولكن مجلس الشيوخ الرومانى اكتفى بالاهتمام بوضع يده على الأراضى الملكية ولم يشأ أن يحد من حرية المدن الاغريقية فاعتبرها حليفة لروما ، وأطلق لها حرية تصريف شئونها فعانت هذه المدن كثيرا من الفوضى والاضطراب وأصبحت نهبا لأعمال الطغيان والاستبداد[٤٥] .

ويبدو أن جاليات اليهود كانت قد اكتسبت صفة الثبات والاستقرار وأن تكون قد دعمت بوافدين جدد من يهوذا ومن مصر . والأدلة متوفرة على استمرار وجود اليهود فى المدن التى كانوا يقيمون بها فى العصر السابق .

وتأتى قورينى فى مقدمة هذه المدن ، اذ عثرت بعثة جامعة مانشستر أثناء عملها فى هذه المدينة فى الفترة ما بين عامى ١٩٥٥ و ١٩٥٧ على قطعة من العملة من ذات نصف الشاقل يعود تاريخها الى العام الثانى بعد ثورة اليهود الأولى فى أورشليم ، على عهد الامبراطور نيرون ٦٧ — ٦٨م[٤٦] . ووردت أسماء يهودية فى نقش يتضمن قائمة بأسماء منظمة للشباب بالمدينة[٤٧] . وقد استطاع استرابون أن يميز طائفة اليهود عن غيرها من عناصر سكان المدينة[٤٨] . ويبدو أن بعض يهود قورينى ذهبوا الى أورشليم واستقروا بها وأنشأوا لأنفسهم بيعه هناك[٤٩].

وفى بطوليميس ، عثرت بعثة المعهد الشرقى بجامعة شيكاغو مؤخرا على شاهد قبر نقش عليه اسم ، اذا قرىء على أنه سارا[٥٠] ، فهذا يعنى أننا بصدد وجود أسر يهودية فى المدينة وأن جالية يهود المدينة التى كانت قائمة على عهد البطالمة استمرت فى العصر الرومانى . ويؤكد ذلك أحد النقوش التى يستدل منها على وجود يهود بالمدينة قبل عصر تراجان[٥١] . وقد عسكرت بالمدينة سرية عسكرية رومانية وقت قيام يهود برقة بثورتهم الكبرى عام ١١٥ م. ولعل الغرض من وجودها كان الحيلولة بين يهود بطوليميس وبين تخريبهم لها كما فعل اليهود فى قورينى[٥٢] .

وفى توكرة اهتمت بعثة جامعة مانشستر فى موسم عملها فى عام ١٩٥٦ م. بالمحجر الخامس عشر من محاجر توكرة والواقع الى الشرق قليلا من القلعة . ويضم هذا المحجر خمسة وأربعين قبرا تحمل شواهدها أسماء ليهود. وتؤرخ المقبرة بالفترة الواقعة بين عام ٣١ق.م وعام ٨٣م[٥٣] . وقد أسلفنا أن ظهور اسم بطلميوس بين أسماء أفراد جالية المدينة يرجح أن هذه الجالية كانت قائمة منذ عصر البطالمة . واذا كانت بعثة جامعة مانشستر قد اهتمت بهذا المحجر الا أن حفريات عام ١٩٥٤ كشفت عن محجر آخر الى الغرب من توكرة بالقرب من ساحل البحر وعن مقابر لم يعثر فيها الا على مصباح نقشت عليه صورة الشمعدان ذى الأفرع السبعة المعروف عند اليهود[٥٤]. وقد وجدت أسماء أخرى على شواهد القبور فى بعض محاجر المدينة الأخرى[٥٥] .

وتضيف مصادر العصر الرومانى الأدلة على وجود يهود فى أبوللونيا (سوسه)[٥٦] وفى برينيكى • وقد أمدتنا نقوش من هذه المدينة بدليل على أنه كان لليهود بها جالية[٥٧]• وأنه كانت لهم بيعة[٥٨] • وفى أقصى الغرب من برقة يذكر بروكوبيوس أن اليهود قد عاشوا بالقرب من بوريوم على خليج سرت (ويحتل موقع بوريوم رأس بوقرادة على مسافة ١٢ كم الى الشمال الشرقى من مرسى بريقة) وذلك منذ عصور متقدمة ، وأنه كان لهم معبد هناك ينزلونه من أنفسهم منزل القداسة ، وأنهم زعموا أن النبى سليمان هو الذى شيده ، ويذكر هذا المؤرخ أيضا أن جستنيان حول هذه الجالية الى المسيحية كما حول معبدهم الى كنيسة[٥٩] • ومما يؤكد وجود جالية يهودية فى منطقة خليج سرت فى العصر الرومانى وجود محطة تحمل اسم Iseina locus Iudaeorum Augusti[٦٠] وقد ذكر سلوش Slousch أن المنظمة التى نظمت للبحث عن موطن لليهود وهى المعروفة باسم 'ITO (= Jewish Territorial Organization'، والتى جاءت الى برقة عام ١٩٠٩ لبحث امكانية توطين اليهود بها، قد اكتشفت بقايا مستعمرات اليهود فى الدواخل وأن هذه المستعمرات قد تمكنت من الاستمرار بفضل مساعدة البربر (ولعله يقصد الليبيين) . ويقرر سلوش أيضا أنه كانت لليهود مستعمرات يهودية فى كل من المواقع الاستراتيجية فى عين شحات ومسة ، وللمودة ، وأن البعثة عثرت أيضا على بقايا قلعة أو حصن يهودى ومقابر يهودية وخرائب مدن ونقوش باللغتين العبرية والاغريقية • وللأسف لم يثبت الكاتب أى تفاصيل ولم ينشر أى نصوص ، مما يجعلنا ننقل عنه هذا القول على علاته[٦١] .

وقد استمر اليهود يتابعون نشاطهم وحياتهم التى ألفوها فى العصر البطلمى وان كنا نستبعد أنهم ظلوا يعملون فى خدمة الجيش • وفيما عدا ذلك لم يكن هناك ما يحول بين اليهود والاسهام فى شتى نواحى النشاط الاقتصادى • وقد اجتذبتهم بعض المدن ، التى ازدهرت بها الحياة الاقتصادية وزاد حجم تجارتها مع مختلف أرجاء الامبراطورية مثل بطوليميس وقورينى وبرينيكى • وقد تضخمت ثروة بعض يهود المدينة الثانية • وذكر يوسف فى معرض حديثه عن فتنة أشعلها يهود قورينى عام ٧٠ م• أن الحاكم الرومانى ذبح من أثرياء

اليهود بالمدينة زهاء ثلاثة آلف وصادر ممتلكاتهم[٦٢] • وقد سجل على نقش من مدينة برينيكى أسماء عدد من اليهود الأثرياء الذين تبرعوا لترميم بيعتهم فى المدينة[٦٣] • وسجل على نقش آخر من هذه المدينة قيام أحد الاغنياء بكسوة أرضية المسرح الدائرى وحوائطه مما يدل على أن أفرادا فى الجالية حققوا نجاحا ملحوظا • ويمكن القول أيضا أن اليهود بصفة عامة فى ريف برقة استطاعوا أن يحققوا لأنفسهم نصيبا من الرخاء الاقتصادى وتملكوا مساحات من الأرض الزراعية وقطعانا من الماشية •

واذا كان اليهود فى العصر البطلمى قد اطمأنوا الى الحماية التى بسطها لهم ملوك البطالمة فان الامبراطور أغسطس ، أول أباطرة روما زادهم اطمئنانا وأمنا • وقد أصدر هذا الامبراطور تصريحا أعلن فيه أن يهود الامبراطورية أثبتوا ولاءهم للشعب الرومانى فى الحاضر وفى الماضى وبصفة خاصة عندما كان هيركانوس حبرا أعظم زمن يوليوس قيصر • ولذلك فانه (أى أغسطس) قد قرر السماح لليهود بمباشرة عاداتهم طبقا لشريعة آبائهم على نحو ما كانوا يفعلون على عهد هذا الحبر ، وأن يسمح لهم بارسال أموالهم الى أورشليم • ويتوعد كل من يسرق أموالهم أو كتبهم المقدسة بالجلد ، ويهدد بمصادرة ممتلكاته[٦٤] •

اذن كان فى استطاعة يهود برقة فى ظل الحكم الرومانى مباشرة حياتهم الخاصة بحرية تامة وفى حماية الدولة وهذا يدفعنا الى بحث وضعهم الدستورى والقانونى فى مدن برقة فى العصر الرومانى •

وصلنا من مدينة برينيكى نقشان[٦٥] تضمن كل منها قرارا صادرا عن جالية **politeuma** اليهود • ويستفاد من القرار الأول ، وهو مؤرخ بالفترة ما بين عام ٣٠ ق•م• وعام ١٠٠م•، أنه كان يرأس الجالية سبعة رؤساء (أراكنة)• ويستفاد من القرار الثانى وهو مؤرخ بعام ٢٥ ق•م• أنه كان على رأس الجالية تسعة أراكنة • وفى نقش ثالث[٦٦] نقرأ أن عشرة أراكنة أسهموا فى ترميم بيعة اليهود بالمدينة • وهذا النقش يعود الى عصر الامبراطور نيرون •

وكانت جالية يهود الاسكندرية فى عصر أغسطس تشبه جالية يهود برينيكى من حيث أنه كان يراسها أيضا أراكنة، وكان عددهم تسعة. ومعنى ذلك أننا بصدد جالية من جاليات اليهود، التى عرفتها الامبراطورية الرومانية فى الشرق الهيلينستى، وخاصة فى مدن مصر التى قامت فى بعضها جاليات منذ فترة مبكرة من عصر البطالمة، وأقر الرومان وجودها عندما أبقى أغسطس على الامتيازات التى اكتسبتها جالية يهود الاسكندرية[٦٧] .

فاذا كان لدينا الدليل على وجود جالية لليهود فى برينيكى ومن عصر أغسطس بالذات ، فهذا وحده كاف ليجعلنا نوقن أن وجود هذه الجالية يتفق تماما مع السياسة العامة للامبراطورية الرومانية . واذا كانت جالية برينيكى مؤسسة على نسق جالية الاسكندرية ، فانها كانت تتمتع بعدد من الامتيازات ، لعل أهمها كان حقهم فى تطبيق أحكام شريعتهم واصدار قرارات يسمح باذاعتها ونشرها وذلك فى المسرح الدائرى . أى فى أبرز مكان فى المدينة . ولما كان أحد النقوش السابق ذكرها يشير الى بيعة لليهود، فهذا دليل على احترام الادارة الرومانية لحريتهم الدينية . فاذا كان لليهود جالية فى برينيكى فان ذلك لا يعنى أن هذا الامتياز كان مقصورا على هذه الجالية فحسب بل من الأرجح أنه قامت لهم جاليات أخرى مماثلة فى مدن برقة ، وان كان ينقصنا الدليل على قيامها .

وبذلك يكون اليهود قد نجحوا فى تشكيل تنظيم خاص بهم فماذا كان وضعهم بالنسبة للبناء السياسى للمدن ؟

ذكر استرابون[٦٨] أن سكان قورينى على عهد أغسطس كانوا موزعين بين أربع طبقات ؛ الطبقة الأولى وتشمل مواطنى المدينة من الاغريق ، والطبقة الثانية وتضم المزارعين georgoi والطبقة الثالثة وتضم الأجانب المقيمين فى المدينة metoikoi ، والطبقة الرابعة وتضم اليهود .

وواضح هنا أن استرابون قد أدرك أن اليهود كانوا طائفة متميزة عن

بقية سكان المدينة ، وأنه كان حريصا على أن يفصل بين طبقة اليهود وطبقة المواطنين من ناحية ، وعلى أن يفصل بينهم وبين الأجانب من ناحية ثانية .

ونود أن تتبين مكانتهم فى القرارات[٦٩]، التى أصدرها الامبراطور أغسطس لمدينة قورينى . تعتبر القرارات الأربعة الأولى على قدر كبير من الأهمية لأنهـا تتعلق أساسا بالتنظيم القانونى والقضائى للولايـة ووضع الاغريق الذين منحوا حديثا حقوق المواطنة الرومانية. وقد أثارت القرارات مسألة هامة هى العلاقة بين الادارة الرومانية والاغريق .

وقد سبق أن ناقشنا هذه القرارات فى المقال السابق ، وتساءلنا من هم الاغريق ، وقلنا أن ڤنجر يعتبر أن الاغريق هم أؤلئك الذين كان فى امكانهم البرهنة على انتمائهم اما الى مدن اغريقية أو الى تنظيمات اغريقية مثل منظمات الشباب والجومنازيوم . وهذه التنظيمات كانت مقصورة على الاغريق دون غيرهم من بقية عناصر السكان . ويقابل الاغريق بالضرورة الشعب الليبى ، بالرغم من الزيجات المتكررة التى تمت بين الاغريق والليبيين . ويقابل الاغريق أيضا العنصر اليهودى الذى زاد عدده كما يفهم من استرابون وأصبح يشكل تنظيما قوميا خاصا . وقد لقيت هـذه النظرية قبولا من معظم الدارسين لأنها بنيت على أساس بعض الملابسات المتشابهة مع مثيلاتها فى مصر ، حيث كانت الفوارق القانونية واضحة بين طبقة الاغريق وطبقة المصريين .

وعلى العكس من هذه النظرية ، نظرية أخرى قال بها ديساو **Dessau** وملخصها أن الرومان أدخلوا فى عداد الاغريق كل سكان برقة بدون تمييز على الاطلاق بين جنس وجنس باعتبار أن برقة قد تأغرقت تأغرقا تاما وعميقا . وأصبح يقال لـكل واحد من سكانها أنه اغريقى ينتسب الى الهيلينيـة وبذلك يدخل هذا المؤرخ الليبيين واليهود فى عداد الاغريق الذين تنطبق عليهم قرارات أغسطس لأنه ليس من المعقول أن يستبعد عنصر هام من عناصر السكان مثل عنصر اليهود من مزايا هذه القرارات . وقد بنى ديساو نظريته على أساس ما حدث فى مناطق معينة من آسيا الصغرى حيث كان اسم الاغريق فى عصر أغسطس يطلق على كل السكان[٧٠] .

ولكن اذا أعملنا النظر فى القرارت بدا واضحا أنها تجاهلت تجاهلا تاما وجود أى شعب آخر غير الاغريق والرومان ، ولم تتضمن هذه القرارات أى اشارة الى امتيازات منحت لليبيين أو اليهود أسوة بالاغريق • ونكرر أن استرابون قد فطن الى أن التفرقة كانت واضحة تماما بين الاغريق واليهود بعد أن آلت برقة الى الرومان ، وكانت أقوى بكثير مما كانت عليه فى آسيا الصغرى • فضلا على أنه لم يكن من حق اليهود التمتع بحقوق المواطنة ، وذلك قياسا على وضعهم الدستورى فى الاسكندرية ، وأكثر من ذلك فان يهود برينيكى كانوا يشكلون الجالية التى تحدثنا عنها والتى كان لها كافة الامتيازات التى سمحت بها الادارة الرومانية لجاليات اليهود فى مصر وخاصة جالية الاسكندرية • ولما كان أول نقش يشير الى جالية يهود برينيكى موضع خلاف ، اذ يؤرخ بالفترة الواقعة بين عام ٣٠ ق•م• وعام ١٠٠ م• ، فان ديساو استغل هذا الخلاف وفضل الأخذ بالتاريخ الأقدم ليقول أن التفرقة العنصرية بين الاغريق واليهود كانت قد محيت فى فترة صدور القرارات التى تؤرخ بعام ٧ — ٦ ق•م•[٧١] ، ولكن هذا الرأى لا يلقى قبولا ، لأن الأدلة واضحة على وجود أراكنة وبيعة لليهود فى زمن الامبراطور نيرون ، ومن ناحية أخرى كان من غير المعقول ألا تكون الادارة الرومانية الواعية قد فطنت للفوارق الواضحة بين الاغريق واليهود والليبيين والا كانت تجهل طبيعة الاطار السياسى للمدن الاغريقية •

والغريب أن يوسف وهو الحريص على اثبات صفة المواطنة ليهود الاسكندرية ويهود أنطاكية قال ان اليهود فى الاسكندرية اسكندريون ، واليهود فى أنطاكية أنطاكيون • لم يحاول أن يصف يهود قورينى بأنهم قورينائيين • بل أنه نقل عن استرابون أن يهود قورينى على عهد أغسطس كانوا يكونون طبقة منفصلة تماما عن بقية طبقات سكان المدينة ، فلو أن يوسف كانت لديه أقل بادرة شك فى قول استرابون أو كان يعلم أن يهود قورينى تمتعوا بحقوق المواطنة على عهد البطالمة أو عهد الرومان ، لما نقل عن استرابون وبدا مسلما بأقواله على هذا النحو ، دون ما محاولة منه لتفسيرها أو على

الاقل ليظهر خطأه وليسوق الحجج ليقحم اليهود على طبقة مواطنى قورينى .
وقد أسلفنا أن البطالمة قد ساروا فى حكمهم لقورينى وغيرها من مدن برقة على نفس النهج الذى ساروا عليه فى مصر وان عدم منحهم حق المواطنة فى قورينى وغيرها من مدن برقة يدعم وجهة النظر القائلة أن يهود الاسكندرية لم يكونوا مواطنين لها وبالتالى لم يكن ليهود أنطاكية شرف الفوز بمواطنتها .

وقد يثار أمام هذا الرأى اعتراض مؤداه أنه ليس هناك مجال للمقارنة بين الاسكندرية وقورينى، لأن المدينة الاخيرة أعرق فى اغريقيتها وأقدم من الاسكندرية، وأن بناء المدينة السياسى كان قد استكمل شكله النهائى طوال ثلاثة قرون تقريبا قبل مجيىء البطالمة بحيث أصبح من المتعذر ادماج اليهود فى قبائلها ومنحهم حقوق المواطنة فى حين أن الاسكندرية مدينة حديثة الانشاء ، وقد وفد اليها اليهود ليعيشوا فيها جنبا الى جنب مع الاغريق منذ أول انشاء المدينة . ولكن فى رأينا أنه ليس من المعقول أن يكيل البطالمة لليهود بكيلين فيعترفون لهم بحقوق المواطنة فى الاسكندرية ، ويرفضون أن يسلموا بهذا الحق فى قورينى أو أى مدينة أخرى من مدن برقة . لذلك كان من الطبيعى أنه عندما آل حكم برقة الى روما ألا يحدث أى تغيير فى الأوضاع القانونية لليهود . وجاءت قرارات أغسطس ، فلم تخصهم بأى امتياز . وفى ضوء معرفتنا بسياسة أغسطس العامة فى مصر وازاء الاسكندرية بالذات، نستطيع أن نطمئن الى أنه لم يخص اليهود بأى امتيازات ترفعهم الى مرتبة المواطنين الاغريق . ونضيف أن أغسطس أصدر قراراته استجابة لشكوى الاغريق وتظلمهم من التفرقة فى المعاملة بينهم وبين الرومان ، وميل الادارة الرومانية لمحاباتهم . فاعترف فى قراراته تلك للاغريق بحقهم فى المساواة التامة مع الرومان أمام القانون ومنحهم حق الاستئناف أمام مجلس الشيوخ من الأحكام فى بعض القضايا المعينة ، وامعانا منه فى التزام قواعد العدالة والمساواة فرض على المواطنين الرومان المقيمين فى قورينى دفع الضرائب المحلية[٧٢] .

وقد وردت فى النقش المتعلق بترميم بيعة برينيكى عبارة (te synagoge ton en Berenikide Ioudaion) أى بيعة اليهود المقيمين فى برينيكى[٧٣] .

ولم يذكر فى العبارة اليهود البرينيكيين • وهذا يؤيد ما ذهبنا اليه من أن يهود برينيكى لم يكونوا مواطنين لها •

ومما يستلفت النظر أن أحـــد يهـــود برينيكى كان اسمه ديكيموس فاليريوس ديونيسيوس Decimus Valerius Dionysius [٧٤]، وأن أحد أراكنةالجاليةكان يحمل اسممارکوس ليليوس أوناسيون Marcus Lelius Onasion [٧٥]• وربما يكون هذان اليهوديان قد اكتسبا الحقوق الرومانية بعد عتقهما من الرق• ذلك لأن العتق من الرق كان أحد وسائل الحصول على تلك الحقوق • والمعروف أن اليهود المتأغرقين الذين منحوا الحقوق الرومانيـــة باذن خاص من الامبراطور كانوا يحولون اسمهم الاغريقى أو اليهـــودى الى لقب أو كنية مثلما حدث فى حالة المؤرخ اليهودى يوسف عندما تحول اسمه ، عند منحه الجنسية الرومانية الى فلافيوس يوسيفـــوس . واذا كـــان بعض الاغريق الذين منحوا حقوق المواطنة الرومانية لم يعفـــوا من الالتزامـــات المفروضة عليهم قبل جالياتهم وذلك طبقا لقرارات أغسطس ، فان اليهود الذين منحوا حقوق المواطنة الرومانية كان عليهم أيضا الوفاء بالتزاماتهم قبل جالياتهم[٧٦] .

وقد تضمنت قائمة منظمة الشباب ephehoi أسماء لبعض اليهـــود فى قورينى[٧٧] ، فهل ترتب على التحاق هؤلاء اليهود بمثل هذه المنظمة اكتسابهم لامتيازات المواطنة ؟ المعـــروف أن منظمـــات الشباب والجومنازيوم كانـــت مؤسسات يونانية صرفة • ولم يكن يسمح فى مصر للمصرى بالالتحاق بأى منها[٧٨] • وقد حذر الامبراطور كلاوديوس يهود الاسكندرية بكل صراحة وبكل حزم من الاشتراك فى نشاط الجومنازيوم ومبارياته[٧٩] • ومعنى ذلك أن الادارة الرومانية لم تعترف لليهود بالحق فى أن يكونوا أعضاء فى منظمات الشباب ، وبالتالى ليس لهم الحق فى الانتساب الى هيئة المواطنين . فاذا كان بعض اليهود المتأغرقين المتحمسين للثقافة الاغريقية قد أدخلـــوا أبناءهم فى منظمات الشباب فان ذلك لم يحدث بطريقة مشروعة ، وقد يكون نتيجة لتساهل القائمين على أمر هذه المنظمات ، ولا يمكن للاستثناء أن يكتسب صفة القاعدة •

وجملة القول أن يهود برقة عاشوا فى جالياتهم يتمتعـون بالامتيازات الكثيرة التى سمحت لهم بها السلطات الرومانية، ومن قبلها السلطات البطلمية ، ولم يرقوا الى مواطنة المدن التى عاشوا بها .

بقى أن نتحدث عن جالية يهود برينيكى من واقع النقوش التى وصلتنا منها ، ويتضمن النقش الاول[٨٠] ، قرارا أصدره أراكنة جالية اليهود بالمدينة (وعدوهم سبعة) والجالية، بتكريم ديكيموس فاليريوس ديونيسيوس لأنه لم يتوان فى اظهار أنه شخص يستحق التكريم ولأنه قام بكسوة أرضية المسرح الدائرى وتزيين حوائطه . وقرر الأراكنة والجالية اعفاءه من كل الالتزامات العامـة المفروضة عليه قبل الجالية وأن يقلد تاجا من ورق الزيتون فى كل اجتماع عام وأن ينقش هذا القرار على لوح من رخام باروس Paros ، وأن يوضـع اللوح فى مكان ظاهر من المسرح الدائرى ، ويلاحظ أن القرار وصف ما قام به ديكيموس هذا من أعمال التزيين فى المسرح أنه هدية للجالية epidoma politeumati . وقد أثيرت مناقشة حول المسرح الدائرى وعلاقة اليهود به، وهل هو مسرح المدينة العادى الذى تجرى فيه مباريات المصارعة وغيرها ؟ أم هو مبنى خاص لجالية اليهود ؟ فاذا كان المقصود به هو مسرح المدينـة فكيف يهتم به اليهود ، وهم بحكم تعاليم دينهم لا يستطيعون التردد عليـه بصفة علنية وجماعية ، بحيث تحتفل به الجالية وتعطيه هذه الأهمية ويتبرع واحد من أبنائها من أجل كسوة أرضيته وتزيين حوائطه على نفقته الخاصة ؟ وهل نستطيع أن نعتبر أن المسرح كان بمثابة المكان الذى تعقد فيه الاجتماعات العامة لكافة الهيئات ومنها اليهود ؟ ففى هذه الحالة كان يتعين عليهم النهوض ببعض نفقاته مادام يسمح لهم بعقد اجتماعات الجالية فيـه . وعلى هـذا الأساس يفسر عمل ديكيموس الكريم أنه هدية منه للجالية استحق عليهـا التكريم ، لأنه بهذا العمل أزاح عن كاهـل الجاليـة عبئا كانت تنـوء بـه خزانتها . فاذا كان الأمر كذلك فان هذا القرار يعتبر وثيقة فريدة وشـاهدا فريدا من نوعه على وجود نوع من التعاون بين الجاليات اليهودية والمـدن الوثنية . وتظهر أيضا وجود علاقات وثيقة بين الوثنيين واليهود بدرجة أكبر مما

يظن . واذا اخذنا بالتفسير الثانى وهو أن المقصود بالمسرح الدائرى مبنى خاص بالجاليات اليهودية ، فانه فى هذه الحالة يكون هذا القرار واحدا فى سلسلة القرارات العادية والتى تضفى آيات التكريم على واحد من أبنائهـا قام بتزيين مبنى خاص بالجالية على نفقته الخاصة . وكون الجالية تمتلـك مسرحا خاصا لتعقد فيه اجتماعاتها ينهض دليلا على رخائها وعلو شأنها . ولكن بم يفسر تزيين الحوائط بزخارف وصور ، وشريعة موسى تحـرم الصـور تحريما قاطعا ؟ ويرد بعض الكتاب على هذا التساؤل بأن بيعة دورا يوروبوس Doura Europos ، والتى أقامها يهود متأغرقون كانت مزينة بزخارف هندسية وصور لنباتات وحيوانات ، وكان لا يقصد بها الا الزينة . ولذلك فان جالية دورا يوروبوس كانت فى القرن الثالث على قدر كبير من التحرر والانطلاق[81].

وفى رأينا أن التفسير الأول هو أقرب الى القبول لأن هذه هى المرة الأولى التى نسمع فيها عن وجود مسرح دائرى خاص بجالية يهودية . ولا نسمع أيضا أن مدينة رومانية كانت تضم مسرحين ، واحد لمواطنيها والآخر لغير المواطنين ، ومن ناحية أخرى اذا قيل فى أحد النصوص amphitheatron فان هذه الكلمة تنصرف فورا الى المسرح الدائرى الخاص بالمدينـة . ونضيف أن يهـود الاسكندرية كانوا يستخدمون مسرحها لعقد اجتماعاتهم العامة .

أما القرار الثانى[82] فهو يؤرخ بعام ٢٥م ، وينص على أن أراكنة الجالية (وعددهم تسعة)، والجالية قرروا ثناء منهم على ماركوس تيتيوس سيكستوس Marcus Tittius Sextus الذى بذل كل ما فى وسعه منذ وصوله الى المدينة لادارتها ادارة حازمة خيرة ومعاملة مواطنيها معاملة طيبة، أن يلقى خطاب يمتدح فيه هذا الحاكم وأن يكلل اسمه بأكاليل من ورق الزيتون فى كل اجتماع عام ، وعند أول كل قمر جديد وأن ينقش القرار على لوح من المرمر يوضـع فى مكان بارز من المسرح الدائرى . وقد صدر القرار آبان احتفال الجالية بأحد أعيادها ولكن لا نعرف ما هى الأعمال الانسانية التى قام بها هـذا الحاكم الرومانى واستحق معه تكريم الجالية له . فى رأى البعض أنه قد حدث صدام

بين الطائفتين الاغريقية واليهودية ، وأن الحاكم الروماني وقف الى جانب الجالية اليهودية • ووقوع الصدام أمر محتمل وغير مستبعد •

وقد انتهى الينا أيضا من برينيكي نقش ثالث[٨٣] عثر عليه في عام ١٩٣٩ ، في شارع عمر المختار أثناء ارساء أساس أحد المباني • ويفهم من النقش أن طائفة من يهود المدينة قدموا في عام ٥٦م (أي في العام الثاني من حكم الامبراطور نيرون) هبات مالية للاسهام في ترميم بيعة اليهود بالمدينة • وتضم قائمة المتبرعين أسماء ستة عشر رجلا وسيدتين ، ويحمل العشرة الأوائل لقب أركون والحادي عشر لقب حبر ثم أسماء لثلاثة من الرجال لا يحملون لقبا معينا ولكن يبدو أنهم كانوا على درجة من الثراء تفوق ثراء الأراكنة • ذلك أن اثنين منهم تبرع كل واحد منهما بخمس وعشرين دراخمة وتبرع ثالثهم بثماني وعشرين دراخمة .

ومن هذه النقوش تتبين عدة حقائق عن جالية يهود برينيكي ، فهي تكشف عن طبيعة النظام الداخلي للجالية من ذلك أنه يرأسها عدد من الأراكنة• وهي توضح كذلك الامتيازات التي منحت لها وكان من أبرزها دون شك حقها في عقد الاجتماعات واصدار القرارات واعلانها في أبرز مكان في المدينة وهو المسرح الدائري • وتبين أيضا أنه كان ليهودها بيعة ولهم أحبار • ويفهم كذلك أنه كان مسموحا للجالية بتنظيم الحفلات الدينية . وكل ذلك يعني أنه كان لليهود كل الضمانات الكافية لأن يحيوا في نطاق جالياتهم متمتعين بحقهم كاملا في مباشرة شعائر دينهم وادارة شئونهم الخاصة طبقا لتعاليم شرائعهم ، وأنه كان في امكانهم أن يظلوا بمعزل عن المجتمع الوثني المحيط بهم • فهل فعلوا ذلك حقا ؟

تساعد دراسة أسماء يهود برقة على تبين حقيقة اتجاهات جالياتهم ، وتكشف النقوش التي خلفها اليهود في قوريني وأبوللونيا وتوخيرا وبرينيكي عن أنهم اتخذوا أنماطا من الأسماء نقسمها الى ما يأتي مع ضرب بعض الأمثلة على كل نوع منها .

أولا : أسماء يهودية :

أ ــ عند يهود قورينى[٨٤] : العازار ، وايسوس (عيسى) ويهوذا، وبارثوباس بن بارثوبرا .

ب ــ عند يهود أبوللونيا[٨٥] : ايسوس (عيسى) .

حـ ــ عند يهود توكرة : أريماس ، وربما كان أصله العبرى هو أحيرام أو يحورام أو ارميا[٨٦] ويهوذا[٨٧] ، ومارتا[٨٨] ، وتوبياس[٨٩] وساباثيس[٩٠] وايسوس (عيسى)[٩١] .

د ــ عند يهود برينيكى : يوناثاس (يوناثان)[٩٢] ، وماريون[٩٣] ، ويوسف[٩٤] .

ثانيا : أسماء يدخل فى تركيبها اسم الرب

أ ــ عند يهود قورينى : ثيودوتس[٩٥] وثيودوروس ؟[٩٦] .

ب ــ عند يهود توكرة : دوسيثيوس[٩٧] ودوسيثيا[٩٨] وثيودوروس[٩٩] ، وثيودورا[١٠٠] .

حـ ــ عند يهود برينيكى : ثيوفيليس ودوسيثيوس[١٠١] وثيودوتوس[١٠٢]

ثالثا : أسماء يدخل فى تركيبها اسم رب وثنى .

عند يهود برينيكى : ايسيدوروس وايسيدورا وأمونيوس وهيراكليدس وزينيون ويلاحظ أن هذه أسماء لأراكنة الجالية[١٠٣] .

رابعا أسماء اغريقية :

أ ــ عند يهود قورينى : أجاثوكليس[١٠٤] .

ب ــ عند يهود أبوللونيا : اسكندر[١٠٥] .

حـ ــ عند يهود توكرة : فيليبوس[١٠٦] وأريستوقراطيس[١٠٧] وبطلميوس[١٠٨] وتيمارخوس[١٠٩] .

د ـ عند يهود برينيكي : براتيس وكارنيداس وكارتيسثينيس وتاليارخوس ولوسانياس وبولون وسقراط وانتيجونوس وأندروماخوس وزينون ودوريون وبطلميوس واسكندر[110].

خامسا أسماء رومانية :

أ ـ يهود قوريني : يوليوس[111] .

ب ـ عند يهود توكرة : يوليا[112] وجنايوس[113] وكاسيوس[114]

حـ ـ عند يهود بيرينيكي: ديكيموس فاليريوس ديونسيوس وماركوس ليليوس أوناسيوس وكورنيليوس[115] .

سادسا أسماء وثنية : نجد اسم سارابيون ، وهو مشتق من اسم الاله السكندري سيرابيس ، الذي يتردد في أسماء يهود توكرة[116] وبرينيكي[117].

ومما تقدم يلاحظ أن الأسماء اليهودية الصريحة ضئيلة بالنسبة للأسماء غير اليهودية . وهذا غير مستغرب مادام الاتجاه نحو التأغرق أصبح واضحا منذ أن أقبل اليهود على الحياة في مجتمع وثني حضارته هيلينستية ولغته اغريقية . ولم يكن لهم فيما يبدو الخيرة في أمرهم لأن تمسكهم بتقاليدهم وأوضاعهم الاجتماعية المنبثقة عن دينهم وشريعتهم كفيل بأن يعزلهم عن المجتمع وهذا مالا يرضونه الا اذا أرادوا أن يعيشوا على هامشه ، ولذلك سرعان ما لجأوا الى تعلم لغته ونقلوا اليها توراتهم واستكملوا المظهر الاغريقي باتخاذهم الأسماء غير اليهودية التي يتقبلها المجتمع ، ليس فقط في برقة وانما في مصر وغيرها من أقطار العالم الهيلينستي . وبعض هذه الأسماء لا يمت لليهودية بصلة وما كان ليعرف أنها ليهود لولا أنها وردت في نقوش ثابت تماما أنها يهودية . وحتى الأسماء اليهودية الصرفة لا يكاد أبناء الجيل الحديث المتأغرق من اليهود يقبل على استعمالها الا لماما ، فهي في الغالب أسماء الآباء أو الأجداد ممن كانوا يحافظون على ربط أنفسهم بأصولهم اليهودية ، بيد أننا نجد اثنين فقط بين أراكنة يهود برينيكي يحملان اسماء يهودية . فضلا

عن ان أحد أحبار هذه الجالية كان يحمل اسما غير يهودى على الاطـلاق وهو كارتيسثينيس بن أرخياس[118] •

وقد أطلق يهود برقة ، وكذلك يهود مصر على أبنائهم أسماء يدخل اسم الرب theos فى تركيبها • ويبدو أن اليهود وهم يستخدمون هذه الأسماء، كانوا يحنون الى يهوديتهم فأحبوا أن يعبروا عن حبهم وفنائهم فى ربهـم يهوه ، ولذلك جاءت بعض الأسماء الجديدة ترجمة للأسماء العبرية مثـل ثيودوتوس وهو يقابل الاسم العبرى ناثانيا ، أويوناثان بمعنى « يهوه قـد أعطى» ، ودوسيثيوس وهو يقابل الاسم العبرى هاتاتيهوه أو ماثانيا بمعنى « عطية يهوه » وأقبلوا كذلك على استعمال أسماء يدخل فى تركيبها اسـم لرب من الآلهة الوثنية . وربما كان اليهود عند استخدامهم لها يجهلـون اتصالها بالوثنية بيد أن ذلك لا يعفيهم من مسئولية الابتعاد عن تقاليدهـم وسرعة تمثلهم للتقاليد والعادات الاغريقية • ومما هو جدير بالملاحظة أن أركنة يهود برينيكى أقبلوا على استعمال هذه الأسمـاء كما أسلفنـا[119] • وزاد اقتراب اليهود من المجتمع الاغريقى الوثنى عندما استخدموا أسماء وثنية صرفة مثل اسم سارابيون وهو مشتق من اسم سيرابيس كبير ثالوث آلهة الاسكندرية ، ويؤيد ذلك أيضا استخدامهم لأسماء اغريقية ورومانيـة صريحة .

وقد سبق أن ذكرنا أن قائمة بأسماء أعضاء منظمة الشبـاب بقورينى تضمنت بعض أسماء ليهود ، وأن ذلك يعد تسللا الى هذه المنظمة الاغريقية الصرفة التى تقتصر عضويتها على المواطنين • ومن ناحية أخرى فان حرص اليهود على الحاق أبنائهم بمنظمات الشباب ليدل بوضوح على اهتمامهـم بتزويدهم بأصول الثقافة الاغريقية . ولعل الذى ساعد اليهود على الدخول الى منظمات الشباب ، أنه مع مضى الوقت وبالرغم من القيود الدقيقة التى وضعت للحيلولة دون التحاق غير الاغريق بها ، أصبح فى وسع هؤلاء الالتحاق بهذه المنظمات بل وبالجومنازيوم نفسه حتى أن جمعيات رجال الجومنازيوم

فى مصر كانت فى عصر البطالمة مقصورة على الأشخاص الذين تلقوا تعليما اغريقيا وان لم يكونوا من أصل اغريقى[١٢٠] .

وبصفة عامة يمكن القول بأن العناصر المتأغرقة المتحررة من اليهـود كانت حريصة على أن يكون بينهم وبين المجتمع المحيط بهم نوع من الانسجام يساعد على أن يفيدوا من فرص الحياة الناجحة المتاحة لهم ، وكان من الطبيعى ألا ترحب الطوائف المتمسكة بالشريعة بهذا الاتجاه. ونفترض حدوث تنافر بين الطوائف المتحررة ونلمس ذلك فى فتنة عام ٧٠ م. عندما تولت الطبقة العليا المتأغرقة من اغريق قورينى ارشاد السلطات الرومانية الى طائفة الغلاة التى ثارت مع يوناثان[١٢١] .

على أى حال فان السلطات الرومانية ومن قبلها البطلميـة لم تضـق باليهود ولم تقم فى وجههم أى عقبة لمنعهم من ممارسة شعائر دينهم بحريـة تامة داخل جالياتهم وفى بيعهم ، وفتحت أمامهم أبواب العمل والحياة ولم تحاول أن تحملهم على اتجاه معين يتنافى مع عقيدتهم . وقد دفع ذلك أحد الباحثين الى القول بأن الحرية الدينية التى كفلتها السلطات الرومانية لليهود أغـرت هؤلاء بتهويد القبائل الليبية . ويؤيد قوله بضخامة عدد اليهود الذين اشتركوا فى ثورة اليهود ببرقة فى عام ١١٥م.[١٢٢] . وقال كاتب آخر ان قبائل برقـة أقبلت على ممارسة عادات اليهود وأن الليبيين كانوا يعطفون عليهم ويرحبون بهم فى مجتمعاتهم[١٢٣] .

وبذلك كانت كل الظروف مهيأة ليعيش اليهود مع جيرانهم من اغريق ورومان وليبيين بهدوء وسلام فهل مرت حياتهم على هـذا النحو فى العصر الرومانى كما حدث فى العصر البطلمى ؟ وقد يعين على استجلاء الحقيقـة التعرف الى تاريخ اليهود فى ضوء تاريخ برقة فى العصر الرومانى حتى عام ١١٥م حينما اندلعت ثورتهم العاتية الكبرى فشملت معظم أرجاء برقـة . ونقسم تاريخ برقة الى عدة فترات :

أولا الفترة الأولى وتبدأ بعام ٩٦ ق.م.، عندما آلت برقة الى الشعب الرومانى بمقتضى وصية بطلميوس أبيون وتستمر حتى عام ٦٧ ق.م. ، وقد

تميزت هذه الفترة ببعض الاستقرار . ذلك أن مجلس الشيوخ كان متحفظا فى تنفيذ الوصية ، فلم يهتم بتحويل برقة الى ولاية رومانية فور وفاة بطلميوس . بل اكتفى بوضع يده على الأراضى الملكية التى كانت مملوكة للبطالمة ، وأعلن أن المدن وما يلحقها أرض حرة على أساس أنها حليفة لروما . وقد ترتب على ذلك أن المدن الخمس تركت أمام عدد من المشاكل لم تكن مستعدة لمواجهتها . وقد أسفر الموقف فعلا عن فوضى شملتها ، وعانت مدينة قورينى بصفة خاصة من أعمال العنف والتسلط من جانب نفر من الطغاة الذين وثبوا الى حكمها[١٢٤] ، ويحدثنا بلوتارخوس[١٢٥] ، أن القائد الرومانى لوكوللوس **Lucullus** عندما قدم الى هذه المدينة موفدا من قبل الدكتاتور الرومانى سلا **Sulla** للبحث عن سفن يدعم بها قوته اضطر الى التدخل لاقرار الأمن والنظام ووضع حد للاضطرابات التى سادتها . وفى عام ٧٤ ق.م. ، ورغبة فى انقاذ برقة من هذه الفوضى نظمت شئونها لتكون ولاية تحت الحكم الرومانى المباشر[١٢٦] وفى عام ٦٧ ق.م. ، اقتضت الأوضاع الادارية ضمها مع كريت فى ولاية واحدة[١٢٧] . ولكن ذلك كله لم يساعد على تحسن الأحوال أو استقررها .

ولا تكاد مصادرنا تفصح عن موقف اليهود ابان هذه الفترة ، لولا أن يوسف نقل عن استرابون أن سلا عندما كان فى طريقه ليشن الحرب ضد مثرادتيس أرسل قائده لوكوللوس لاحباط ثورة قام بها اليهود فى قورينى[١٢٨] . والملاحظ أن بلوتارخوس لم يشر من قريب أو من بعيد عند حديثه عن قدوم لوكوللوس الى قورينى ، الى يهودها أو الى ثورة قاموا بها . والنص الأصلى لاسترابون مفقود . ومن غير المحتمل أن يكون استرابون ، ومصدره بلوتارخوس ، قد ضمن قوله الاشارة الى ثورة اليهود . مما يجعل من المرجح أن يكون يوسف قد أضاف هذه العبارة من عنده وبناء على معلوماته الشخصية[١٢٩] ، أو نقلا عن مصدر لم يذكره . واذا سلمنا مع يوسف بحدوث ثورة لليهود ، فهل يعنى ذلك أن اغريق قورينى انتهزوا فرصة الفراغ السياسى الذى حدث فى المدينة بعد وفاة بطلميوس أبيون ، وعودة مدينتهم الى استقلالها الذاتى فأرادوا حرمان اليهود من بعض امتيازاتهم أو كلها نتيجة لجرم ارتكبوه فى

حقهم فثاروا ثورتهم تلك ؟ أم هل نستطيع أن نفترض أن اليهود انحازوا فى الصراع الناشب فى المدينة الى جانب لم يرض عنه الحزب المنتصر ؟ وهذا أمر غير مستبعد فقد كان هذا هو شأن اليهود فى مصر عندما تدخلوا فى الصراع الأسرى فى البيت البطلمى وانحازوا الى جانب الذى كانت روما تؤثره بتأييدها • وقد تسبب هذا السخط فى وقوع مصادمات دموية رهيبة بين اغريق الاسكندرية ويهودها فى أكثر فترات الحكم الرومانى لمصر • وثمة فرض ثالث أن قورينى لم تكن راضية عن حكم البطالمة وكان اليهود أحد ركائزه ، وما أن زال هذا الحكم واستعادت المدينة استقلالها ، حتى بادر اغريقها الى الانتقام منهم • والفرض الرابع أن يكون اليهود قد قاموا بحركة معينة ليلفتوا نظر السلطات الرومانية الى مدى ما يتعرضون له من خطر لو تركوا تحت رحمة الاغريق •

على أى حال لا نستطيع أن نمضى أكثر من هذا فى طرح الفروض ومناقشتها اذ أن يوسف ومعلوماته موضع شك ، هو مصدرنا الوحيد عن هذه الثورة • وكل ما نستطيع قوله ان وضع اليهود لابد وأن يكون قد تأثر بالأوضاع الجديدة بعد استعادة قورينى لاستقلالها وتخلصها من الحكم الملكى البطلمى الذى كان اليهود يطمئنون اليه •

الفترة الثانية : وهى من عام ٦٧ ق•م• حتى عام ٣١ ق•م• وقد اتسمت هذه الفترة بعدم الاستقرار ولم تفلح فكرة اقامة ولاية رومانية مزدوجة من برقة ومن جزيرة كريت فى تخليص برقة نهائيا عن عوامل الفتن والاضطرابات • سيما وأن الادارة الرومانية كانت حريصة على استنقاذ الأراضى الملكية من الذين وضعوا أيديهم عليها ، وعلى تحصيل الضرائب المستحقة للخزانة الرومانية • ونقرن هذه الأوضاع بما صاحب هذه الفترة من صراع حزبى ، وحرب أهلية عنيفة بين رجال الحكومة الثلاثية ، وما أصاب برقة من آثار هذا الصراع • اذ عهد بها كولاية منفصلة أول الامر الى كاسيوس ثم الى أنطونيوس الذى أعلنها ملكا خاصا لابنته كليوباتره سيلينى فى عام ٣٦ ق•م•[١٣٠] •

وبالنسبة لليهود لا نظفر من مصادرنا بما يوضح مدى تأثير اليهود فى أحداث هذه الفترة أو مدى تأثرهم بهـــا .

الفترة الثالثة : من عام ٣٠ ق.م. حتى عام ٧٠ م. وقد شهدت برقة فى هذه الفترة استقرارا وازدهارا جلبه اليها الرخاء الذى كان طابع الامبراطورية الرومانية . وفى عهد الامبراطور أغسطس عادت برقة لتكون مع جزيرة كريت ولاية واحدة خاضعة لحكم مجلس الشيوخ وكان هدف السياسة الرومانية تهيئة الظروف المناسبة لتحسين الأحوال فى برقة . وكان من مصلحة اليهود قيام حكومة قوية . ولا شيء قادر على حمايتهم مثل هذه الحكومة التى تستطيع أن توفر لهم الأمن والطمأنينه لينصرفوا الى حياتهم الخاصة . ولينموا ثرواتهم وليزاولوا نشاطهم وخاصة فى المراكز التجارية والموانى البحرية سيما وأن أغسطس كان حريصا ، كما أسلفنا ، على تأكيد امتيازاتهم التى اكتسبوها منذ أيام البطالمة وكان من أهمها السماح لهم بمباشرة عاداتهم طبقا لشريعة آبائهم ، والسماح لهم بارسال الأموال التى فرضوها على أنفسهم الى أورشليم. وقد توعد الامبراطور كل من يسرق أموالهم وكتبهم المقدسة بالجلد ومصادرة أملاكه[١٣١] . وقد سبق أن أشرنا الى أن يهود توخيرا استعملوا اسم يوليا بين أسماء لاتينية أخرى ، أطلقوها على بناتهم فى هذه الفترة . وهذا يوحى ، فى رأى بعض المؤرخين ، بمدى ما كان يهود هذه المدينة يكنونه من ولاء لأسرة اليوليين[١٣٢] . وقد انتهى الينا نقش من برينيكى ، سبقت الاشارة اليه ، يفهم منه أن جالية يهود المدينة قامت فى عام ٢٥ م. ، بشكر البروقنصل سيكستوس M. Tuttius Sextus على اداراته الحازمة الخيرة للمدينة[١٣٣] . ولا نعرف على وجه التحديد ماذا فعل هذا البروقنصل ، من أعمال حتى استحق معها تقدير جالية اليهود وشكرها ، اللهم الا اذا سلمنا أنه قد حدث صدام بين اغريق المدينة ويهودها فعمل البروقنصل على حماية اليهود وأعاد الأمن الى نصابه .

والى هذه الفترة نفسها تنتمى مقبرة يهودا توخيرا . وموقعها من المدينة يدل على أن سكانها لم يضيقوا بجالية اليهود . وقد كانت شخصية اليهود

واضحة تماما فى قورينى اذ أفرد استرابون ، وهو معاصر لأغسطس ، لليهود مكانة خاصة بين عناصر سكان المدينة • ومن المحتمل أن ماقاله استرابون بالنسبة لقورينى كان ينطبق الى حد ما على بقية مدن برقة • وبصفة عامة يمكن القول ان اليهود قد أفادوا من فرص الرخاء التى وفرها الحكم الرومانى، والأمن الذى بسطه هذا الحكم على ربوع برقة •

ولكن هذه الطمأنينة التى نعم بها اليهود لم يقدر لها أن تستمر طويلا اذ تعرضوا لمحنة شديدة وذلك عندما اندلعت ثورة اليهود فى أورشليم عام ٦٦ م• ، وأخذت القوات الرومانية تشدد النكير على المدينة • وقد ذكر سلوش أن يهود قورينى أسهموا فى الدفاع عن أورشليم اذ كانت لهم كما سبق أن ذكرنا جالية فى أورشليم نفسها • وذكر يوسف أنه فى المراحل الأخيرة من حصارها الذى استمر حتى عام ٧٠ م• فر الى قورينى بعض زعماء اليهود ، وأنه كان من بينهم ثلاثة من أبناء الحبر الأعظم اسماعيل • ولدى وصولهم الى هذه المدينة لقوا مصرعهم شنقا[١٣٤] • وقد وفدت أيضا جماعة من غلاة اليهود الذين أطلق عليهم يوسف اسم Sicarii • وقد تزعمهم يوناثان النساج الذى وصفه يوسف بأنه زنيم أشر • وذكر أنه نجح فى استمالة عدد ليس بالقليل من يهود المدينة من الطبقات الفقيرة المعدمة، وقادهم الى الصحراء• وعم شرهم المناطق المحيطة بقورينى واستفحل مثل الوباء[١٣٥] • ولكن نفرا من يهود المدينـــة من الطبقة العليا فيما يبدو ، أبلغوا كاتوللوس Catullus الحاكم الرومانى بأمر هذا الثائر ، فبادر بارسال جماعة من الفرسان والمشاة جدت فى أثر الثوار حتى استطاعت التغلب عليهم وأفنت عددا كبيرا منهم ، وحملوا القلة الباقية منهم الى كاتوللوس ثم ساقوا اليه يوناثان بعد مطاردة عنيفة استمرت طويلا • وتخاذل يوناثان وأراد أن ينجو من العقاب • فزعم للحاكم أن نفرا من أغنى أغنياء يهود قورينى هم الذين رسموا له خطط الثورة• وقد أولى الحاكم الرومانى هذا الاتهام اهتماما كبيرا وبالغ فى اجراءاته لقمع حركة التمرد ، حتى أنه ظن أنه قد كسب حربا ضد اليهود وقد حمل يوسف على كاتوللوس ونعى عليه سرعة تصديقه لأقوال هذا الثائر الارهابى • وعلل

موقف كاتوللوس بأنه كان يحقد على اسكندر أحد أثرياء يهود قوريني ويريد التخلص منه • فأوعز الى يوناثان باتهام هذا اليهودى وزوجته بأن لهما ضلعا فى الثورة • وبدأ الحاكم بهما وكان هذان أولى ضحاياه • ثم أخذ ينكل بكل أغنياء قوريني • وذبحهم جميعا عن بكرة أبيهم وكان عددهم يبلغ ثلاثة آلاف شخص ظنا منه أنه بذلك سيصادر أملاكهم ويضمها الى الخزانة الامبراطورية • ورغبة من كاتوللوس فى أن يحول بين يهود الأقطار الاخرى ، واظهار حقيقة جرمه فى حق يهود برقة للامبراطور ، أوعز الى يوناثان بالقاء التهم باثارة الفتنة جزافا على أكثر الشخصيات تمتعا بالسمعة الحسنة فى كل من الاسكندرية وروما • وكان يوسف المؤرخ اليهودى نفسه ، من بين تلك الشخصيات التى لحقها هذا الاتهام[١٣٦] •

وقد ذكر يوسف أن يوناثان «أكد اننى قد زودته بالسلاح والمال» وعزا ذلك الى مكانته الممتازة التى أثارت غيرة اليهود وعرضته للخطر• ومن المعروف أن يوسف اكتسب حقوق المواطنة الرومانية • ويبدو أن الغلاة من يهود برقة ساءهم قبوله هذه الحقوق التى نقلتــه الى صفوف خصومهم الرومان[١٣٧] •

وعندما جاء كاتوللوس الى روما بيوناثان ورفاقــه وهم يرسفون فى أغلالهم ، شك ڤسباسيان فى جدية الاتهامات وكشف عن زيفها فأمر باطلاق سراح كل المعتقلين • وقصر العقوبة على يوناثان وحده وأمر بحرقه بعد أن يلقى ألوانا رهيبة من التعذيب[١٣٨] •

وواضح من أقوال يوسف أن الطبقة العليا من يهود قوريني ضاقوا بمقدم الغلاة من يهود يهوذا ، وأرشدوا عنهم السلطات الرومانية • وقد حدث أن جماعة من هؤلاء الغلاة ذهبوا الى مصر والاسكندرية فى نفس الوقت الذى جاءوافيه الى قوريني ، وأرشدت السلطات الرومانية عنهم الطبقات العليا من اليهود كذلك[١٣٩] • وقد كان العداء سافرا بين الطبقتين العليا والدنيا فى المجتمع اليهودى فى يهوذا • ولا نميل الى المبالغة فى تقدير موقف الطبقات العليا من اليهود من الغلاة ومجاراة يوسف فيما حاول من اظهار حرصها على

اثبات براءتها من الغلاة وأفعالهم • والواقع أن ثورة اليهود فى أورشليم انما قامت بها أول الامر العناصر المستضعفة منهم ضد الأرستقراطية اليهودية المكونة من طبقة كبار الملاك الذين كانوا سادة فى المناطق التى تقع فيها أملاكهم مثل يوسف نفسه • فضلا عن أنهم كانوا فى نفس الوقت رأسماليين تربطهم بالسلطات الرومانية وشائج وثيقة قعدت بهم عن مناصرة الحركات التى كانت تهدف للتخلص من السيادة الرومانية[١٤٠] • وما أن تطور الصراع الى صدام مع السلطات الرومانية نفسها ، حتى حوصرت أورشليم ونزلت أشد الضربات باليهود واستبيحت المدينة ودمر الهيكل • وترتب على ذلك نتائج بعيدة الأثر من حيث خطورتها بالنسبة لأوضاع الجاليات اليهودية فى شتى أرجاء الامبراطورية ، لعله كان من أهمها اجبار يهود الامبراطورية أينما وجدوا على أن يدفعوا ، ابتداء من سن الثالثة ، الى معبد الاله جوبيتر فى روما ضريبة عرفت باسم ضريبة اليهود • وكانت هذه الضريبة فى الأصل هى ضريبة نصف الشاقل التى كان يدفعها اليهود من الرجال الى هيكل أورشليم متى بلغوا سن العشرين• وكان تحويل هذه الضريبة التى كان اليهود يدفعونها استجابة لتعاليم شريعتهم ، الى ضريبة يدفعونها الى معبد وثنى ، اذلالا لهم أيما اذلال[١٤١] • وواضح من حديث يوسف وهو أحد أفراد الطبقة العليا ، أنه بالرغم من حقده على الغلاة لم يستطع أن يخفى الحقيقة الواقعة وهى أن يهود برقة جميعا ، أثرياؤهم وفقراؤهم ، لقوا أشد العنت على أيدى الحاكم الرومانى • اذ قتل من الأثرياء وحدهم زهاء ثلاثة آلاف يهودى ، وذلك بالرغم من محاولة يوسف تبرير ما حدث وتصويره على أن الحاكم الرومانى أوقع باليهود شفاء لما فى نفسه من حقد عليهم • واذا كانت الطبقات العليا من اليهود قد تنصلت من تبعة أعمال الغلاة وأبلغوا السلطات الرومانية بأمرهم ، فان ذلك يعلل بخوفها من بطش السلطات الرومانية بهم ، ويعلل أيضا بنقمة هذه الطبقات العليا على الطبقات الدنيا التى تسببت فى كل تلك الكوارث التى حلت بهم •

الفترة الرابعة : من عام ٧٠ م• حتى عام ١١٥ م• عندما نشبت ثورة

اليهود الكبرى • ونلمس مقدمات هذه الفترة فى أحداث الفترة السابقة بعد أن تأزمت العلاقات بين اليهود والسلطات الرومانية الحاكمة ليس فقط فى قورينى بل فى كافة أرجاء الامبراطورية اذ تأكد لليهود أن هـــذه السلطات كانت ماضية فى اذلالهم ومعاملتهم على أساس أنهم شعب مغلوب منهزم ، فأخضعهم لضريبة اليهود المذلة التى تؤدى الى جوبيتر الاله الرومانى الوثنى • ولم يقتصر التدهور على العلاقات بين اليهود والرومان ، بل أصاب العلاقات بين اليهود والاغريق كثير من الوهن • وبينما تكشف مصادرنا عن فتن ومصادمات تتابع وقوعها فى الاسكندرية بين الاغريق واليهود منذ سنـــة ٧٠ م• ، فانها على العكس من ذلك تصمت ولا تتحدث عن مثل المصادمات فى برقة حتى كانت ثورة اليهود الكبرى التى وقعت سنة ١١٥ م• ، والتى أشعل نارها يهود قورينى ثم مالبثت أن عمت برقة كلها[١٤٢] •

قام اليهود بثورتهم تلك فى الوقت الذى كان فيه الامبراطور تراجان يخوض غمار الحرب ضد مملكة بارثيا • وازاء عنف المقاومة التى أبداها أهلها ، اضطر الامبراطور الى سحب بعض الحاميات من الولايات الرومانية لتعزيز قواته فى آسيا ، وقد بدأت الثورة فى قورينى على شكل فتنة statis لاتخرج عن كونها صداما عاديا بين اليهود والاغريق سرعان ما تطور الى حرب polemos اتخذت طابع الصراع اليائس ضد الحكومة الرومانية نفسها • وقد نصب اليهود عليهم زعيما يدعى أندرياس أو لوكواس (لوقا) كما جاء فى رواية أخرى ، أولعله كان يحمل الاسمين معا واتخذ لقب ملك • وقد استطاع أن يستولى على المدينة وأن يسيطر عليها واستباحها أتباعه • وتجمع الروايات على وحشية اليهود فى مهاجمتهم للاغريق اذ أورد المؤرخ ديوكاسيوس وصفا مثيرا منفرا لوحشية اليهود فى مهاجمة الاغريق والرومان فنقرأ «أنهم كانوا يأكلون لحوم قتلاهم ويصنعون من أمعائهم أحزمة يتمنطقون بها ويلطخون أجسامهم بدمهم ويسلخون جلودهم ويتخذونها ملابس لهم ، وأنهم عمدوا الى كثيرين منهم فشطروهم شطرين من رأسهم الى أسفل ، وألقوا بآخرين الى الوحوش المفترسة ، وأرغموا الكثيرين على مصارعة بعضهم بعضا كما

يفعل المصارعون وقد بلغ عدد الذين أهلكهم اليهود اثنين وعشرين ألف نسمة»[١٣٤] •
ولما كان اليهود يتوقعون أن تأتى النجدات الرومانية عن طريق ميناء أبوللونيا فقد عملوا على اغلاق الطريق بينها وبين قورينى بدفع كتل الحجارة الضخمة من أعلى التل فى منطقة المقابر والاستعانة بأغطية التوابيت الحجرية الضخمة ليكمل سد الطريق[١٤٤] ، وأشاع اليهود التخريب والتدمير فى المدينة ، من ذلك ما لحق بطريق الوادى فى المدينة[١٤٥] ومعابد زيوس[١٤٦] وديميتر[١٤٧] وأبوللون[١٤٨] وأرتيميس[١٤٩] والتوأمين الديوسكورى Dioscuri [١٥٠] وهيكاتى[١٥١] وبلوتو[١٥٢] وايزيس[١٥٣] ومعبد صغير جنوب مذبح أبوللون[١٥٤] والقيصريوم[١٥٥] وبعض المبانى الواقعة الى الشمال من الحمامات ، ولا تزال آثار الحريق عالقة بها[١٥٦] ، والحمامات نفسها[١٥٧] والمسرح الواقع الى الغرب من مقصورة أبوللون[١٥٨] والقسم الشمالى من الأجورا (السوق)[١٥٩] والمبنى المعروف باسم قبر أونوماستيس Onymastes [١٦٠] والكابيتول[١٦١] وبوابة المدينة على طريق أبوللونيا[١٦٢] وخزان المياه خارج عين أبوللون[١٦٣] ومبنى البروتانيوم[١٦٤] والمسرح الواقع الى الغرب من القيصريوم[١٦٥] ، وقد ذكر أورسيوس أن الثورة عمت كل أنحاء ليبيا per totam Libyam [١٦٦] والمقصود بليبيا هنا برقة •
وهناك من الشواهد مايؤيد هذا القول بالنسبة لتوكرة ، اذ حل بها جند تراجان المسرحون[١٦٧] وأبوللونيا حيث عثر على نقش موجود فى متحف أبوللونيا يشير الى مستعمرة معينة • ولكن هذا النقش غير واضح • وكذلك عثر فى قورينى على نقش آخر غامض الا أننا نفهم منه أن أهل أبوللونيا أهدوه الى الامبراطور هادريان فى عام ١٢٩ م• ، أوما بعدها وخاطبوه بقولهم المؤسس princeps oikistes ومعنى ذلك أن هادريان أمر باحلال عناصر جديدة من السكان فى أبوللونيا بدل الذين هلكوا فى الثورة اليهودية[١٦٨] • والى الشرق من قورينى حل جند مسرحون بصفصافة والقبة[١٧٦] • ويبدو أن الثورة كانت فى طريقها الى بطوليميس التى عسكرت بها سرية رومانية ربما لتحول دون اشتراك يهودها فى التخريب والتدمير كما فعل يهود قورينى[١٧٠] ، وربما كانت برينيكى هى الاخرى قد تأثرت بهذه الثورة فقد عثر على مجموعة

كبيرة من النقود لاتتجاوز عصر تراجان ربما كانت قد خبئت خلال الرعب الذى اجتاح المدينة أثناء الثورة[١٧١] • ولعل الثوار ، وهم يشيعون اندمار والتخريب فى الريف ، كانوا قد بلغوا أبواب المدينة ، وربما كان التدمير قد امتد الى الطريق الساحلى بين توخيرا وبرينيكى ، وكذلك الطريق بين قورينى وبطوليميس[١٧٢] • وقد امتدت الثورة أيضا الى شرق برقة واجتاح الثوار اقليم مارمريكا • وجملة القول أن الثورة عمت كل المناطق الواقعة بين برينيكى فى الغرب والضبعة فى الشرق حيث يقوم الدليل على أن تدميرا لحق أحد المعابد فى صحراء مصر الغربية[١٧٣] •

وثورة اليهود هذه لم تقتصر على برقة بل تعدتها الى قبرص[١٧٤] والى مصر[١٧٥] ولا ندخل فى تفاصيل الثورة فى هذين الاقليمين الا ما كان منها متعلقا بثورتهم فى برقة •

كانت الفتنة بين اليهود والاغريق فى الاسكندرية قد بدأت تطل برأسها منذ ١٣ أكتوبر عام ١١٥ م• ثم هدأت مؤقتا لتعود وتنتشر فى داخلية البلاد ، وازاء شراسة اليهود فى مهاجمة الاغريق فر هؤلاء الى الاسكندرية حيث انضموا الى اغريقها وحملوا على اليهود حملة عنيفة • وفى شتاء عام ١١٦ م• زحف يهود برقة بزعامة ملكهم لوكواس وبلغوا مشارف الاسكندرية ، ولعلهم ابان ذلك أشاعوا الدمار فى بعض أنحاء الصحراء الغربية ، كما ذكرنا وعجزوا عن اقتحام الاسكندرية فانتشروا فى داخلية البلاد يشدون أزر بنى جلدتهم • وخاضت القوات الرومانية حربا حقيقية ضد اليهود • وكان تراجان قد انتصر فى حربه فى بارثيا فأرسل قائده الشهير ماركيوس توربو على عجل • ونجح هذا القائد فى اخماد الثورة فى مصر فى يوليو — أغسطس ١١٧ م•[١٧٦] • وشملت العمليات الحربية اقليم برقة • فاقتحم توربو أسوار قورينى وأنزل الهزيمة الساحقة باليهود[١٧٧] • واذا كان ديوكاسيوس قد قدر عدد من هلك من ضحايا اليهود فى قورينى وحدها بحوالى ٢٢٠,٠٠٠ نسمة فان ذلك يجعلنا نرجح أن اليهود تعرضوا فى قورينى وغير قورينى لحملة انتقامية استهدفت استئصال شأفتهم وأن الذين نجوا منهم بادروا بالفرار من المدن ، ولجأوا —

فى رأى البعض ـــ الى القبائل الليبية واحتموا بها وأسهموا فى النضال الطويل بين تلك القبائل والسلطات الرومانية فى برقة • ومن غير الواضح كيف كان مصير لوكواس ملك يهود برقـــة • غير أنه ذكر فى احدى برديات شـــهداء الاسكندرية ، وهى أعمال باولوس وأنطونينوس التى تتناول بعض الأحداث التى وقعت فى السنة الأولى من حكم هادريان أى بعد اخماد الثورة ، أن الوالى روتيليوس لوبوس ، وفقا لمزاعم أهل الاسكندرية ، أمر بتنظيم عرض مسرحى هزلى يمثل فيه ملك اليهود بطريقة مضحكة • وفى رأى فلكن أن الرومان أســروا هذا الملــك بالفعل وعرضـــوه على النحو الساخر فى ذلك العرض المسرحى[١٧٨] • وفى رأى آخر أن الملك اليهودى مثل بطريقة رمزية أو أن أحد اغريق الاسكندرية مثل شخصيته وذلك تعبيرا عن سخرية الاغريق من آمال اليهود فى الخلاص والتحرر[١٧٩] •

وقد اضطلع الامبراطور هادريان باصلاح ما أفسدته الثورة اليهودية ، وقد توفر كل من أبلباوم S. Applepaum وفريـــزر P. M. Fraser [١٨٠] ، على دراسة النقوش الكثيرة التى عثر عليها فى قورينى وبعض مدن برقة والمتعلقة بالاصلاحات التى قام بها هذا الامبراطور • ويمكن أن نقسم هذه الأعمال الى مرحلتين :ـــ

المرحلة الأولى : وفيها انصرف الامبراطور الى ترميم المعابد والمبانى والطرق التى لحقها الدمار ابان أحداث الثورة واقامة التماثيل التى هشمت أو أزيلت من مكانها •

المرحلة الثانية : تبين أن ما أصاب الولاية كان أخطر من مجرد مبانى دمرت • اذ أن نسبة كبيرة من القوة العامة النشطة من الاغريق قتلت ، فكان لابد من أن يصدر الامبراطور قراره باعادة تعمير قورينى بأن ينقل اليها عناصر اغريقية يكون فى امكانها الاندماج فى هيئة مواطنى المدينة وانشاء جومنازيوم جديد يمكن أن يمتزج فيه المواطنون القدامى بالمواطنين الجدد • وقد نشر مؤخرا نقش يفهم منه أن ثلاثة آلاف جندى مسرح من الفرقة الثالثة القورينائية Legio III Cirenaica قد أحضروا الى قورينى ، وأن الأمر تطلب تعيين

قائد معسكر يقوم بالاشراف على اسكان هؤلاء الجند المسرحين . وربما نزل بعض هؤلاء الجند فى هادريانوبوليس التى أسسها الامبراطور هادريان . وقد سبقت الاشارة الى أن جندا مسرحين نزلوا بأبوللونيا وصنصافة والقبة ، وقد نقشت على نقود هادريان عبارة «مصلح ليبيا» restitutor Libyae [182] . وعلى نقش على قاعدة لتمثال للامبراطور هادريان أهدى له فى فترة تالية لعام ١٢٩ م. وصف فيه بأنه المؤسس ومطعم المدينة من جوع ktistas kai tropheus ، ولفظ المؤسس ربما كان يعنى ، فى رأى فريزر ، أن ثمة مبان عامة كثيرة أقيمت بناء على اقتراح الامبراطور وعلى نفقته الخاصة . وكلمة tropheus تعنى أنه أمد المدينة بالمواد الغذائية[183] .

ولم يكف عصر هادريان لاتمام كل أعمال الترميم . اذ استمرت هذه الأعمال فى عهد خلفائه . ويبدو أيضا أن جهوده لم تفلح فى العودة بالمدينة الى ما كانت عليه من رخاء وازدهار لأنها وصفت فى عهد متأخر بأنها مدينة مهجورة. urbs deserta [184] .

وثورة اليهود هذه التى لم تقتصر على برقة بل امتدت الى كل من مصر وقبرص ، تستحق الاهتمام اذ كانت فى الواقع صداما مسلحا بين اليهود والرومان وخاض الجيش الرومانى معارك حقيقية ضد اليهود . وقد كان الثوار على درجة كبيرة من القسوة والشراسة وقد مر بنا وصف ديوكاسيوس لما فعلوه بضحاياهم ببرقة . وكشفت النقوش عن خطة بيتوها لتدمير الطرق وتخريب المزارع وهدم المعابد الوثنية وتحطيم التماثيل . ومن أجل ذلك وصفوا فى البرديات المصرية بأنهم ملحدون مارقون anosioi [185] . ولعلهم أرادوا بتدمير المعابد الانتقام لما لحق بهيكلهم من دمار على أيدى الرومان . ونتساءل ما الذى حدا باليهود أن يثوروا هذه الثورة العاتية كمن تخبطه الشيطان من المس ، وأن يتولى زعامتهم ثائر اتخذ لنفسه لقب ملك ؟ الواقع أن هذه ليست الثورة الأولى وليس لوكواس (لوقا) بأول من اتخذ لقب ملك . وربما وجدنا الجواب فى النظرية القائلة بأن اليهود لم يتخلوا عن فكرة ظهور واحد منهم يحكم العالم أجمع وأنه سيكون المسيح المنتظر . وهذه الفكرة هى

التى أوحت الى الملك أو المخلص لوكواس بأن يحض يهود برقة على الثورة لتحرير أنفسهم وبنى جلدتهم من حكم الرومان الوثنى فى برقة ومصر وقبرص وغيرها من ولايات الامبراطورية . ولعل برقة اتخذت مقرا ومهدا لحركة الخلاص لبعدها عن مراكز تجمع الجيوش الرومانية التى كانت تحارب تحت راية تراجان . وهذا يعنى أن يهود الامبراطورية تآمروا واختاروا برقة بالذات. وفى رأى بعض المؤرخين أن الثورة قامت فى قورينى من باب الصدقة فحسب وأخذت السلطات الرومانية على غرة فنجحت الثورة فى مراحلها الاولى. وأغرى هذا النجاح لوكواس بالزحف على مصر لنجدة يهودها . وقد أعمت فكرة الخلاص يهود برقة وزعيمهم عن تقدير الموقف حق قدره وأنهم كانوا يخوضون حربا يائسة ضد قوى تفوقهم فى كل شىء وسيطر على عقولهم شىء واحد وهو أنهم جند الرب ، الذى سيقودهم لامحالة الى نصر محقق ويعيد اليهم هيكل سليمان . فاندفعوا مسلوبى الارادة يدمرون ويقتلون ويبطشون بالاغريق والرومان .

واذا كانت الثورة التى قام بها الغلاة من اليهود فى عام ٧٠ م. لم تلق تأييدا من الطبقات العليا من اليهود ، بل ان أفرادا من هذه الطبقات أرشدوا السلطات الرومانية عن هؤلاء الغلاة فما الذى جعل اليهود جميعا يشتركون فيما يبدو فى عام ١١٥ م. فى هذه الثورة ؟ من المرجح ان كل محاولات اليهود للتقرب من مجتمع المدن الاغريقية قد باءت بالفشل وأن السلطات الرومانية كانت حريصة على أن تلزم اليهود موضعهم الحقيقى وأن تفرض عليهم بعد عام ٧٠ م. ضريبة اليهود التى كانت رمزا لذلتهم بعد أن دمر هيكلهم ، ولم يفلح ما حققته بعض طوائف اليهود الأغنياء من مكانة رفيعة تقترب من مكانة أثرياء الاغريق فى ازالة شعور المجتمع أن اليهود غرباء ودخلاء عليه بحكم انعزالهم فى جالياتهم وعدم مشاركتهم مشاركة فعالة فى الحفلات والأعياد الدينية التى كان الاغريق والرومان يقيمونها لآلهتهم .مما جعلهم موضع شك واتهام . سيما وأنهم كانوا يتصفون بصفات معينة مثل الجشع والحرص على المال والقدرة على الاثراء . ومن ناحية أخرى كان اليهود يحرصون على أن يكونوا

موضع عطف الأباطرة . وكان الاطمئنان الى حمايتهم هو السبيل الوحيد أمامهم ليعيشوا فى وسط وثنى غريب عليهم . ولعل ذلك كله كان الباعث الى ظهور ما يسمى بالعداء ضد اليهودية من جانب الاغريق ليس فى برقة فقط ولكن فى مصر أيضا حيث كان العداء أوضح وأشد فى حدته . واذا كان اغريق برقة قد صبروا على حكم البطالمة ، واليهود من دعاماته ، فلاشك أنهم ضاقوا بهم وازدادوا حقدا عليهم عندما رأوهم يسيرون فى ركب السلطات الرومانية ويبذلون لها من الطاعة ومن الولاء ما أثار ضغينة الاغريق وشكهم واتهامهم لهم بأنهم أداة فى يد هذا الحكم الرومانى الذى أضاع استقلال مدنهم . وبصفة عامة ان ثورة اليهود فى عام ١١٥ م. ، تعتبر بحق تعبيرا عما كان يحس به اليهود من يأس وقنوط لاحد لهما فأقدموا على هذه الأعمال التى لا يمكن أن تغتفر لهم فزلزل كيانهم وعصف بجالياتهم . ولا نكاد نشك فى أنهم انزووا بعيدا من المدن وعن أعين السلطات الرومانية .

ويبدو أن الكثيرين منهم قد آثروا الهجرة كلية من ليبيا اذ فقدوا كل أمل فى امكان استمرار حياتهم فى برقة فى أمن ودعة . وقد اتجهت طائفة منهم جنوبا عبر اير **Air** ، وحوض نهر النيجر الأوسط الى السنغال واقليم فوتا **Futa** فى غرب افريقيا . وهناك التقوا بطائفة أخرى جاءت من برقة عبر طريق يمر بجنوب المغرب ومدينة أدرار **Adrar** فى موريتانيا . ونتيجة لهذه الهجرات انتشر اليهود انتشارا واسعا فى داخلية القسم الشمالى من أفريقيا . وكان فى استطاعة اليهود المحافظة على شخصيتهم المتميزة طالما كانوا مقيمين فى الواحات . ولكنهم لما ذهبوا الى السودان ، ذابوا وسط الجموع الهائلة من الشعب المحلى . ومع ذلك فانــه من الممكن ملاحظة بعض الأثر للعنصـر اليهودى . ولكن أكثر الشعوب فى غرب السودان ، التى يظهر فيها الدم اليهودى بشكل واضح هى قبائل الفولانى **Pulani** الرعوية التى كانت تحتل اقليم فوتا عندما جاءتهم هجرة يهود برقة . وعندما انتشرت هــذه القبائل شرقا حملت معها الدم اليهودى الى شواطىء بحيرة تشاد التى ربما كانت قد بلغتها فى القرن الثالث عشر[١٨٦] .

الحواشي

١ – Josephus, C. Ap. ii., 44

٢ – Strabo, ap. Josephus, Ant. xix, 115 ff.

٣ – عن ظروف تدخل بطلميوس فى قورينى ونجاحه فى السيطرة عليها
Diodorus Siculus, xviii. 19 ff.
ابراهيم نصحى ، تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، الطبعة الثانية . القاهرة ١٩٦٠ حـ ١ ص ٥٦ وما يليهـا .
P. Jouguet, Macedonian Imperialism, London 1928, PP. 127 ff.

٤ – من المعروف أن بطلميوس غزا سوريا فى عام ٣٢٠ ق.م. واستولى على أورشليم فى عام ٣١٨ – ٣١٩ ق.م. واستقر له الأمر فى فلسطين وأرض يهوذا منذ عام ٣٠١ ق.م. أى بعد أن أعلن نفسه ملكا على مصر فى عام ٣٠٥ ق.م. ، وقد ظلت فلسطين تابعة لمصر لفترة امتدت عن عام ٣٠١ الى ١٩٨ ق.م.
راجع ابراهيم نصحى ، المرجع السابق حـ ١ ص ٦٦ وما يليها ص‌ص ٧٣ ، ٨٥ .
V.A. Tchericover, A. Fuks, Corpus Papyrorum Judaicarum, Harvard, vol. I, (1957) P. 2

٥ – P.S. Aristeas, 13, Josephus, Ant. xiv, 99, Josephus, B.J. I, 175.

٦ – Strabo, ap. Jos. Ant. XIV, 188.
The Kittel, D.G. Spadafora, Corpus Istriptionum Judaicarum, del Vaticano; Pontificio, Instute di Archeologia Cristiana Roma, vol. II, (1951) P. 352.
فى رأى سلوش N. Slousch ، أن برقة عند المؤرخ اليهودى يوسف كانت امتداد لفلسطين فيما وراء وادى النيل ، وأنها كانت فى كل وقت مركزا من مراكز انتشار اليهود ، وأنها لعبت فى تاريخ بنى اسرائيل دوراً لم تلعبه أى منطقة من مناطق تشتت اليهود Diaspora خارج يهوذا وذلك باستثناء ميزوبوتاميا . وزعم الكاتب ، وهذا ما لم يقم عليه الدليل ، أن استقرار اليهود فى برقة بدأ منذ عهد الفينيقيين . وقال ان برقة ذكرت فى التوراة باسم ليبيا ، وأن اسمها ورد فى سفر حزقيل ، الاصحاح الثلاثين . وذكر الكاتب أيضا أنه قد عثر على نقش مكتوب بالحروف الفينيقية ويحمل اسم رجل يهودى دون أن يحدد مكان النقش أو تاريخه .
N. Slousch, "Jewish and Judaism in Ancient Cyrenaica" Being an Appendix to the Report on the work of the Commission sent out by the Jewish Territorial Organization (=ITO)

for the purpose of a Jewish Settlement in Cyrenaica. ITO offices, London (1909)

٧ ـ المرجـع السـابق .

٨ ـ C.H. Kraeling, Ptolemais, City of the Libyan Pentapolis, Chicago (1960) PP. 17, 268.

Cyrenaican Expedition of the University of Manchester vol. I, (1952), comprising J. Gray, The Jewish Inscriptions in Greek and Hebrew at Tocra, Cyrene and Barce, Manchester University Press, (1956) P. 43 ff., P. 43 N. 1.

١٠ ـ المرجع السابق النقوش رقم ٣٦ ، ٣٨ ، ٣٩ .

١١ ـ المرجـع السابق ص ٥٥ .

١٢ ـ أمثلة على بعض يهود توكرة الطاعنين في السن . سار ابنة تليسستزاتوس المتوفاه عن ٩٨ عاما في عام ١١ ق.م. أي أنها ولدت في عام ١١٧ ق.م.

G. Oliverio, "Iscrizioni di Tocra," Documenti antichi dell'Africa Italiana, vol. II fasc. II, N. 383

يهوذا بن يوسف توفى عن مائة عام في عام ١١ ق.م. أي أنه ولد في عام ١١١ ق.م.

S.E.G. 704

اريستيبس بن يهوذا توفى عن سبعين عاما في عام ١٣ ق.م. أي أنه ولد في عام ٨٣ ق.م.

G. Oliverio, ip. cit. N. 380

راجع أيضا J. Gray المرجع السابق نقوش رقم ٨ ، ٢٢ ، ٣٠ ، ٣٧ ، ٣٨ .

١٣ ـ مثال ذلك النقش رقم ٩ في المرجع السابق وهو مؤرخ على النحو التالي «العام الأول ، ١٤ طوبة ....»

١٤ ـ J. et G. Roux, "Un décret du Politeuma des Juifs de Bérénikè en Cyrénaïque au Musée Lapidaire de Carpentras, *R.E.G.*, LXII, N. 291 - 293 Année (1949), PP. 281 - 296 P. 286 ff.

١٥ ـ J. Gray في المرجع السابق ص ٥٥ .

١٦ ـ ابراهيم نصحى ، المرجع السابق ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٤٦ ج ٢ ص ٤٩٢ .

١٧ ـ M.I. Rostovtzeff. Social and Economic History of the Hellenistic World, Oxford, (1960) P. 1389.

١٨ ـ M.I. Rostovtzeff في المرجع السابق ص ص ٣٣٣ ، ٩١٦ .

١٩ ـ راجـع على سبيل المثال

V. Tchericover, and A. Fuks.

في المرجع السابق ، الاستراكا من رقم ٤٨ ـ ١٢٤ والخاصة بعمل اليهود في الشئون المالية في مصر العليا .

٢٠ ـ C.H. Kraeling op. cit. P. 8

٢١ـ نفسه

٢٢ـ Philo, In Flacc. 57

٢٣ـ W.W. Tarn, Hellenistic Civilisation, Lond. (1952) 3rd P. 213

٢٤ـ P.S. Aristeas, 310

٢٥ـ ابرهيم نصحى ، المرجع السابق حـ ٢ القاهرة ١٩٤٦ ص ٧٢٧ وما يليها .

٢٦ـ انظر سفر نحميا اصحاح ١٠ ،آيات ٣٣ ـ ٣٤ ، سفر الخروج اصحاح ٢٣ آيـة ١٩ .

Josephus, Ant. XIV, 214; XVI, 164, 166 - 170; J. Juster, Les Juifs dans dans l'Empire Romain, Paris, 1914, P. 378

٢٧ـ V. Tchericover and A. Fuks, op. cit. P. 8.

٢٨ـ J. et G. Roux, op. cit.

٢٩ـ G. Caputo, La Sinagoga di Berenice in Cirenaca in una Iscrizione Greca Inedita, La Parola del Passato, Fasc. LIII Marzo - Aprile 1957, PP. 132 - 134

٣٠ـ H.I. Bell, Jews and Christians in Egypt, London (1924), P. 12 ff.; idem Juden und Greichen in Romischen Alexandria, Leipzig, (1927), P. 10 ff.

٣١ـ S.E.G. 1.

٣٢ـ Josephus, B.J. ii, 487 - 8; Ant. xix, 281 - 5.

٣٣ـ E. Bevan, Hellenistic Judaism, in "*Legacy of Israel*" Oxford, (1953), P. 30

٣٣ـ راجع ابراهيم نصحى ، المرجع السابق حـ ١ القاهرة ١٩٤٦ ص ٢٦٨ .

٣٤ـ V. Tchericover and A. Fuks, op. cit. P. 37 cf.
B.J. Bamberger, The Story of Judaism N.Y. (1957) P. 85

٣٥ـ Josephus, Ant. XIV, 7, 2; XVI, 6, 1, 5; B.J. VII. 11., II Mac. 2, 24. D.E. Schürer, Geshichte Des Jüdischen Volkes in Zeitalter Jesu Christi, Leipzig (1909) vol. iii P. 483, Th. Kittel, D.G. Spadafora, Corpus Inscriptionum Judaicarum. P. 352, E. Ehrlich, A. Concise History of Israel, London, (1962) P. 95

٣٦ـ V. Tchericover, A. Fuks, op. cit. P. 28

٣٧ـ رجع ص ١٩١ .

٣٨ـ A.H.M. Jones, The Greek City, Oxford, (1940) P. 35
راجع ابراهيم نصحى ، المرجع السابق ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٦٠ حـ ١ ، ص ص. ١٨٠ ، ١٨١ .

٣٩ـ ابراهيم نصحى ، المرجع السابق ص ١٦٩ .

٤٠ـ N. Slousch, op. cit.

٤١ـ ابراهيم نصحى ، المرجع السابق حـ ١ ص ٢٠٦ وما يليها .
V. Tchericover, A. Fuks, op. cit. P. 22

٤٢ـ S.E.G. 7

٤٣ـ M.I. Rostovtzeff, op. cit. P. 916 ff.

٤٤ـ عن وصيـة أبيـون .
Justin XXXIX, 5, Tacitus, Ann. XIV 18., Livy. Epit. L LXX

٤٥ـ P. Romanelli, La Cirenaica Romana (96 a.C. - 642 d.c.) Verbania (1953) P. 39

٤٦ـ A. Rowe, Cyrenaica Expedition of the University of Manchester 1955 - 57, Manchester, (1959) vol. II P. 31
على احد وجهى قطعة العملة نقش باللغة العبرية «العام الثانى» وعلى الوجه الآخر «خلاص صهيون» بنفس هذه اللغة .

٤٧ـ G. Oliverio, Iscrizioni Cirenaiche, Quaderni di Archeologia della Libia, Roma (1961) PP. 3 - 54) N. 7

٤٧ـ العمود (a) السطر ٤٨ العازار بن العازار ، السطر ٤٩ أجاثوكليس بن العازار، والسطر ٥٧ ايوليوس بن ايسوس (عيسى) وربما كانثيودوروس، سطر ١٩ ، ثيودتوس بين ثيودوتوس سطر ٤٥ يهوديين كذلك .

٤٨ـ Strabo, ap. Jos. Ant. XIV, 115

٤٩ـ Act. 6, 9; 11, 20. E. Schürer, op. cit. vol. iii. P. 79, N. Slousch, op. cit.

٥٠ـ C.H. Kraeling, op. cit. PP. 17, 215 Inscription N. 51

٥١ـ S.E.G. IX, 399, C.I.G, iii, 5328 cf. S Applebaum, The Jewish Revolt in Cyrene 115 - 117 and the Subsequent Recolonisation, *J.N.L. of Jewish Studies* vol. II N. 4 (1959) PP. 177 - 186, P. 183.

٥٢ـ C.H. Kraeling, op. cit. P. 17

٥٣ـ J. Gray in Cyrenaica Expedition of the University of Manchester vol. I (1956) P. 55.
عن يهود توكرة نشرت النقوش المتضمنة لأسماء موتاهم فى هذه المدينة فى عدة مجموعات من بينها .
G. Oliverio, Iscrizioni di Tocra, Documenti antichi dellAfrica Italiana II. fasc. II PP.164
وفى مجموعة S.E.G. الجزء التاسع وفى تقرير جامعة مانشستر عن اعمالها فى موسم عام ١٩٥٢ ، راجع حاشية ٩ أعلاه ، وقد اعترض كل من J. Reynolds, R.G. Goodchild على قراءة J. Gray لبعض النقوش فى *J.R.S.*, 47 (1957) P. 273 قارن .
J. Robert and L. Robert, Bulletin Epigraphique, *R.E.G.* LXXII, 1952, P. 275

انظر ايضا .
G.R.H. Wright, Excavations at Tocra Incorporating, Archeological Evidence of a community of the Diaspora, Jerusalem (1960)

٥٤ — G.R.H. Wright op. cit. PP. 27, 28, 54

٥٥ — راجع حاشية ٥٣ .

٥٦ — G. Oliverio, G. Pugliese Carratelli, D. Morelli, Supplemento Epigrafico Cirenaico, Annario Della Scuola Archeologica di Atena vol. XXXIX - XL Ns.
XXIII - XXIV (1961) - 1962) PP.
219 - 375. P. 50 N. 95 cf. S.E.G. XVII, 818, S. Applebaum, Zion, XIX, (1954) P. 44

٥٧ — انظر حاشية ١٤ .

٥٨ — انظر حاشية ٢٩ .

٥٩ — Procopius, Edif. V, ii, 21; R.G. Goodchild, Boreum of Cyrenaica, *J.R.S.* XLI (1951) Parts I, II PP. 11 - 16, idem, Medina Sultan, *Libya Antiqua*, vol. I (1964) P. 101.

٦٠ — R.G. Goodchild, op. cit.

٦١ — N. Slousch, op. cit.

٦٢ — Josephus, B.J. VII, 443

٦٣ — انظر حاشية ٢٩ .

٦٤ — Josephus, Ant. XVI, VI; 162 - 164

٦٥ — انظر حاشية ١٥ .

٦٦ — انظر حاشية ٢٩ .

٦٧ — راجع خطاب كلاوديوس الى حاكم مصر خاصاً بيهود الاسكندرية ، كما اورده المؤرخ يوسف .
Josephus Ant. XIX, 281 - 5

٦٨ — انظر حاشية ٤٨ وراجع .
M.I. Rostovtzeff. Social and Economic History of the Roman World 2nd ed. Lond. (1957) P. 309

٦٩ — F. de Visscher, Les Edits d'Auguste Découverts a Cyrene Osnabrück, 1965

٧٠ — عن مناقشة هذه الآراء ، راجع المرجع السابق ص ٤٧ ومايليها .

٧١ — الحاشية السابقة .

٧٢ — راجع القرارات وتعليقات F. de Visscher انظر حاشية ٦٩ .

٧٣ — انظر حاشية ٢٩ .

٧٤ — J. et G. Roux, op. cit. P. 287

٧٥- idem P. 284

٧٦- idem P. 289 ff.

٧٧- انظر حاشية ٤٧ .

٧٨- R. Taubenschlag, The Law of Graeco - Roman Egypt in the Light of the Papyri 2nd ed. Warszawa (1955) P. 606

٧٩- P. London 1912

٨٠- انظر حاشية ٧٤ .

٨١- J. et G Roux, op. cit. P. 290 ff.

٨٢- انظر حاشية ٧٥ .

٨٣- انظر حاشية ٢٩ .

٨٤- انظر حاشية ٤٧ .

٨٥- انظر حاشية ٥٦ .

٨٦- J. Gray, op. cit. Inscription N. 3, 23.

٨٧- idem Iscription N. 21

٨٨- idem Iscription N. 16

٨٩- idem Iscription N. 24

٩١- S.E.G. 700

٩٠- J. Gray, op. cit. Inscription N. 28

٩٢- انظر حاشية ٢٩ .

٩٣- الحاشية السابقة .

٩٤- انظر حاشية ٧٥ .

٩٥- انظر حاشية ٤٧ العمود b السطر (٣) .

٩٦- انظر الحاشية العمود (a) السطر (٤٥) .

٩٧- J. Gray, op. cit. Inscription N. 35, 38

٩٨- idem, N. 5

٩٩- idem, N. 44

١٠٠- idem, N. 12

١٠١- انظر حاشية ٢٩ .

١٠٢- انظر حاشية ٧٥ .

١٠٣- انظر حاشية ٢٩ .

١٠٤- انظر حاشية ٤٧ العمود السطر (٤٩).

١٠٥- انظر حاشية ٥٦ .

١٠٦- J. Gray op. cit. N. 19

١٠٧- idem, N. 22

١٠٨- idem, N. 36

١٠٩- idem, N. 42

١١٠ ـ راجــع حاشيتى ٢٩ ، ٧٥ .
١١١ ـ راجع حاشيــة ٤٧ العمود (a) السطر (٥٧) .
١١٢ ـ J. Gray op. cit. N. 1, 25
١١٣ ـ idem, N. 7
١١٤ ـ idem, N. 8
١١٥ ـ راجع حاشيتى ٢٩ ، ٧٥ .
١١٦ ـ J. Gray op. cit. N. 44
١١٧ ـ انظر حاشيــة ٢٩ .
١١٨ ـ الحاشيــة السابقــة .
١١٩ ـ V. Tchericover and A Fuks op. cit. P. 28 ff.
١٢٠ ـ ابراهيم نصحى ، المرجع السابق ص ٧٣٠ .
١٢١ ـ عن هذه الثورة انظر ص
١٢٢ ـ O. Bates, The Eastern Lybians, Lond. (1914) P. 208
ولكن هذا الكاتب تحفظ وقال انه كان ينبغى أن تمر ثلاثة أجيال قبل أن يقبل اليهود فى مجتمعهم أولئك الذين تهودوا حديثا .
١٢٣ ـ N. Slousch, op. cit.
١٢٤ ـ M.I. Rostovtzeff. op. cit. P. 308; E.H. Kraeling op. cit. P. 11
١٢٥ ـ Plutarchus, Lucullus 2. 3 - 4
١٢٦ ـ انظر حاشيــة ١٢٤ .
١٢٧ ـ E.H. Kraeling op. cit. P. 11 N. 56
١٢٨ ـ Strabo ap. Jos. Ant. XIV, 115
١٢٩ ـ راجــع تعليق الناشــر **R. Marcus** علــى نص يوسف فى الحاشيــة السابعة ، والنص منشور فى مجموعة L.C.L.
١٣٠ ـ E.H. Kraeling op. cit. P. 11, 12
١٣١ ـ انظر حاشيــة ٦٢ .
١٣٢ ـ J. Gray, op. cit. P. 55
١٣٣ ـ انظر حاشيــة ٧٥ .
١٣٤ ـ Josephus B.J. VI, 114
١٣٥ ـ عن تفاصيل هذه الثورة راجع . Josephus B.J. VII, 437 - 442
١٣٦ ـ idem, Vita § 424 ff.
١٣٧ ـ G. Ricciottti, The History of Israel, Milwauke)1955) vol. II P. 422
١٣٨ ـ انظر حاشيــة ١٣٥ .
١٣٩ ـ Jos. B.J. VII, 409

١٤٠ – M.I. Rostovtzeff, op. cit. P. 270, P. 664 N. 32; C.A.H. vol. X. P. 650, 662, 850, G. Ricciotti. op. cit. P. 393

١٤١ – عرفت هذه الضريبـــة باسم

denarii duo Judaeorum loudaion Telesma

V. Tchericover and A. Fuks op. cit. P. 81 ff.

١٤٢ – A. Fucks "The Jewish Revolt in Egypt (A.D. 115 - 117) in the Light of the Papyri" *Aegyptus* 33 (1955)

وعبد اللطيف أحمد على ، مصر والامبراطورية الرومانية ، القاهرة ١٩٦٠. ص ١٨٥ وما يليها .

١٤٣ – Dio Cassius LXVIII, 32, 2

وقارن P. Giss. 24 = W. Chrest. 15 = C.P. Jud. II N. 437

عن ما تردد من ان اليهود فى مصر كانوا يشوون ضحاياهم .

١٤٤ – R.G. Goodchild, Roman Miles in Cyrenaica, Papers of the British School at Rome vol. XVIII (New Series) vol. V. (1950) P. 89.

١٤٥ – idem, Cyrene and Apollonia, Department of Antiquity, (Eastern Region), United Kingdom of Libya, 2nd ed. 1963; P. 67

١٤٦ – idem, P. 71, idem, The Temple of Zeus at Cyrene, Papers of the British School at Rome vol. XXVI (New Series vol. XIII) PP. 30 - 62, P. 33

لا يعتبر جود تشيلد اليهود مسئولين عن كل التدمير الذى لحق بمعبد زيوس ، ويشرك المسيحين فى هذه المسئولية ، راجع . S.EG. IX, 189

١٤٧ – S. Applebaum, The Jewish Revolt in Cyrene P. 179

١٤٨ – بدء فى اعادة تشييد معبد أبوللون ، ولـكنه أكمل فى عهد الامبراطور كمودوس .

S.E.G IV, 189; S. Applebaum, Hadrian and Cyrene J.R.S. vol. XL. Parts I, II PP. 77 - 90. P. 88; R. Goodchild, Cyrene and Appollonia P. 58

١٤٩ – S. Applebaum, The Jewish Revolt. P. 178

١٥٠ – S.E.G. IX, 121, S. Applebaum op. cit. P. 178

١٥١ – S.E.G. IX, 168 = Africa Italiana II 118 - 9 N. 3; S. Applebaum, Hadrian and Cyrene P. 89

اعيد بناء هذا المعبد فى عهد هادريان .

١٥٢ – S.E.G. IX, 186, S. Applebaum, The Jewish Revolt. P. 180

١٥٣ – S.E.G. IX 174; R. Goodchild. op. cit. P. 61

١٥٤ – S.E.G. IX, 172, S. Applebaum, op. cit. P. 180

١٥٥ – سجل فى نقش من القيصريوم أن الامبراطور هادريان ، أمر بترميم هذا

المبنى الذى لحقه الدمار أثناء أعمال التخريب التى صحبت ثورة اليهود . ولما كان النقش مؤرخا بعام ١١٨ م. ، فان ذلك يدل على السرعة التى تم بها ترميم المبنى من ناحية ، وعلى أهميته فى نظر الادارة الرومانية من ناحية أخرى . راجع .

J.B. Perkins, H. Ballance, J.M. Reynolds, The Caesareum at Cyrene and the Basilica at Cremna, Papers of the British School at Rome, vol. XXI (New Ser. vol. XIII) (1958) PP. 137 - 194. P. 161

وقد نشر فى هذا المقال ثلاثة نقوش بداخل القيصريوم وكلها تكريم لهادريان (ص ١٦٣) ، ونشر ايضا نقش يشير الى اصلاح البازيليكا الخاصة بالقيصريوم فى أول يناير عام ١١٩ م. (ص ١٦١) . راجع ايضا .

S. Applebaum, Hadrian and Cyrene, JRS, P. 89

حيث نشر النقش نفسه بطريقة غير صحيحة تماما ، راجع ايضا .

S.E.G. IX, 54

١٥٦ – S. Applebaum, The Jewish Revolution P. 178

١٥٧ – أمر الامبراطور فى عام ١١٩ باعادة بناء حمامات المدينة والمبانى الملحقة بالحمامات راجع .

Africa Italiana I, 321

S. Applebaum, Hadrian and Cyrene P. 89

١٥٨ – idem, The Jewish Revolution, P. 178 ff.,

S. Stucchi, L'agora di Cirene, Roma, 1965, P. 241 ff.

١٥٩ – idem P. 179

١٦٠ – نفسه .

١٦١ – فى عام ١٢٨ م. كان جانب من العمل فى ترميم المبنى (الذى يظن أنه الكابيتوليوم) قد انجز ، فقام اغريق المدينة باعادة اهداء البناء مع لوحة الى هادريان الذى وصف بأنه .. Ktistes Kai Autokrator

Idem, Hadrian and Cyrene P. 88

١٦٢ – idem, The Jewish Revolution P. 180

١٦٣ – نفسه .

١٦٤ – نفسه .

١٦٥ – نفسه .

١٦٦ – Orosius, vii, 126. cf. S. Applebaum op. cit. P. 180

١٦٧ – S. Applebaum, idem P. 182

١٦٨ – idem P. 181, idem Hadrian and Cyrene P. 87

١٦٩ – نفسه .

١٧٠ – C.H. Kracling, op. cit. P. 17

١٧١ – S. Applebaum, idem P. 182

۱۷۲ – idem P. 184

۱۷۳ – Idem, P. 186, G.W. Murray, "A Small Temple in the Western Desert", *J.E.A.* XVII, (1931) PP. 81 - 84, P. 83 f.

۱۷٤ – عن ثورة اليهود في قبرص .
G. Hill, A History of Cyprus vol. I Cambridge (1949) P. 242 ff.
بلغ عدد ضحايا اليهود ۲٤۰,۰۰۰ نسمة ، وحرم أهل قبرص على اليهود المجيء الى جزيرتهم .

۱۷٥ – عن ثورة اليهود في مصر ، راجع .
A. Fuchs, "The Jewish Revolt in Egypt (A.D. 115 - 117) in the Light of the Papyri" *Aegyptus* 33 (1953)
وعبد اللطيف أحمد علي المرجع السابق ص ۱۸٥ وما يليها .

۱۷٦ – الحاشية السابقة .

۱۷۷ – R. Goodchild, Cyrene and Appollonia P. 21

۱۷۸ – U. Wilcken, "Zum alexandrinischen Antisemitismus", Abh. Kon. Sachs. Ges. Wiss, Phil. - hist., *Klio*, 27 (1909) PP. 783 - 839 P. 815

۱۷۹ – A. Fucks op. cit. P. 139

۱۸۰ – P.M. Fraser, "Hadrian and Cyrene with a Note by S. Applee-baum," *JRS* vol. XL (1950 Parts I, II PP. 77 - 90, S. Apple-baum, "The Jewish Revolution".

۱۸۱ – P.M. Fraser, op. cit. P. 84 ff.

۱۸۲ – S. Applebaum, Hadrian and Cyrene P. 87

۱۸۳ – P.M. Fraser, op. cit. P. 84

۱۸٤ – idem, P. 84

۱۸٥ – انظر على سبيل المثال . P. Giss. 41, P. Brem. 1

۱۸٦ – E.W. Bovill, The Golden Trade of the Moors, Oxford, 1963 P. 53 ff.

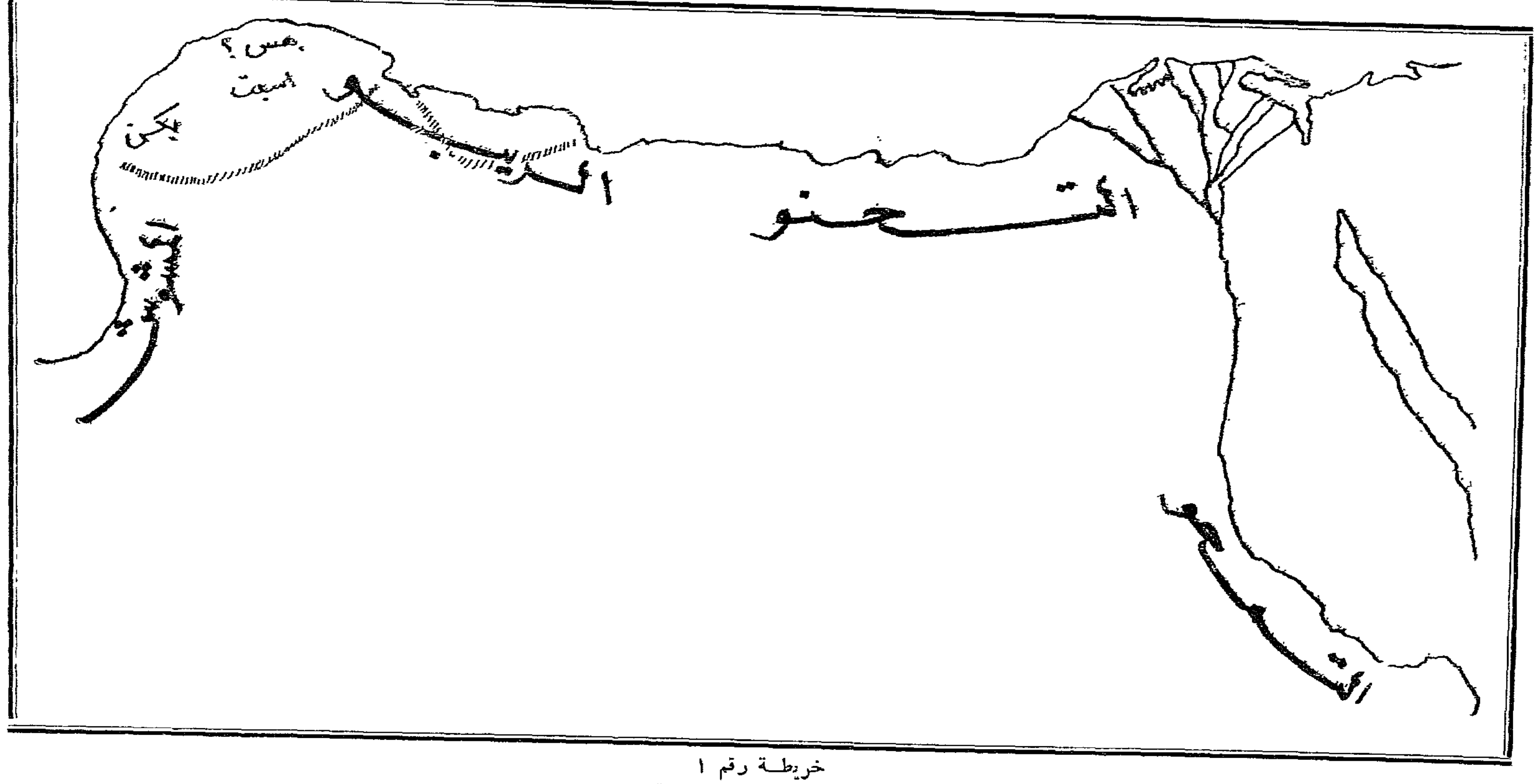


تصويب

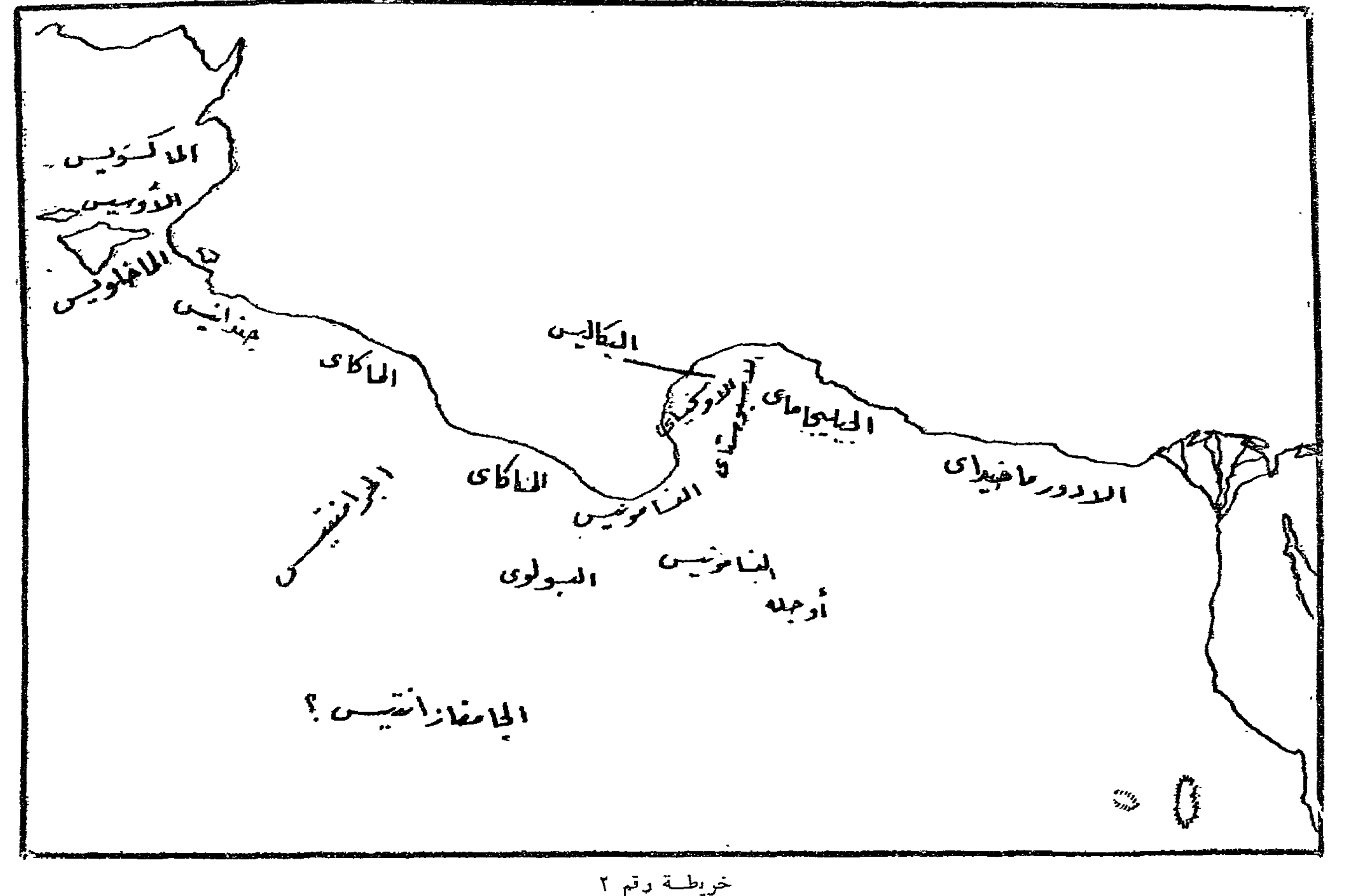
الصفحة	السطر	خطأ	صواب
١	١٠	حدث	حدت
٤	٥	المعرب	المغرب
٧	١٧	تشاهد	نشاهد
٩	٢١	العجلية	أوجلة
١٢	١٦	عجا	عحا
١٤	١٧	نيبت	نيت
	١٧	تحتمس	تحتمس الثالث
١٦	٢١	بلنوبة	بالنوبة
		الثناى	الثانى
٢٤	٧	Saylax	Scylax
٢٥	٢٠	(مربى بن دد)	(مريى بن دد)
٢٨	١٥	كرين	كربن
٣٢	٦	مسيس	رمسيس
	١٦	بنزل	ينزل
٣٣	١٦	الحناة	الجناة
	٢٤	بوسينس	بسوسينس
	٢٦	الثاية	الثانية
٣٥	٢٥ ، ٢٦		كل من السطرين يحل محل الآخر
٤١	٢	يحتتن	يختتن
٤٦	٤	الصرى	المصرى
	٨	Shamoux	Chamoux
٥٣	١٠	الماعر	الماعز
٦٧	١٣	الفيلينى	الفيلاينى
٧٩	١٨	الجامفادانتيس	الجرامنتيس
٨٦	١٩	سبقو	سبقوا
٨٨	١٦	القاثلين	القائلين
٩٠	١٢	Coput	Caput
٩٢	١٣	TCsis	Tecasis
٩٤	١٩	اشليديما	الشليظيمة
٩٩	١١	كلودبوس جوتركوس	كلاوديوس جوتيكوس
	٢١	Provancia	Provincia
١٢٨	٢	الدين	الذين
١٥١	٢١	Prolemaio	Ptolemaio
١٨٠	٨	بيعه	بيعة
١٨٥	١	القرارت	القرارات
١٨٧	١٦	ephehoi	epheboi
٢٠٧	٢٣	Pulani	Fulani
٢٠٨	٢٣	امتداد	امتدادا

خرائط

فهرس الخرائط



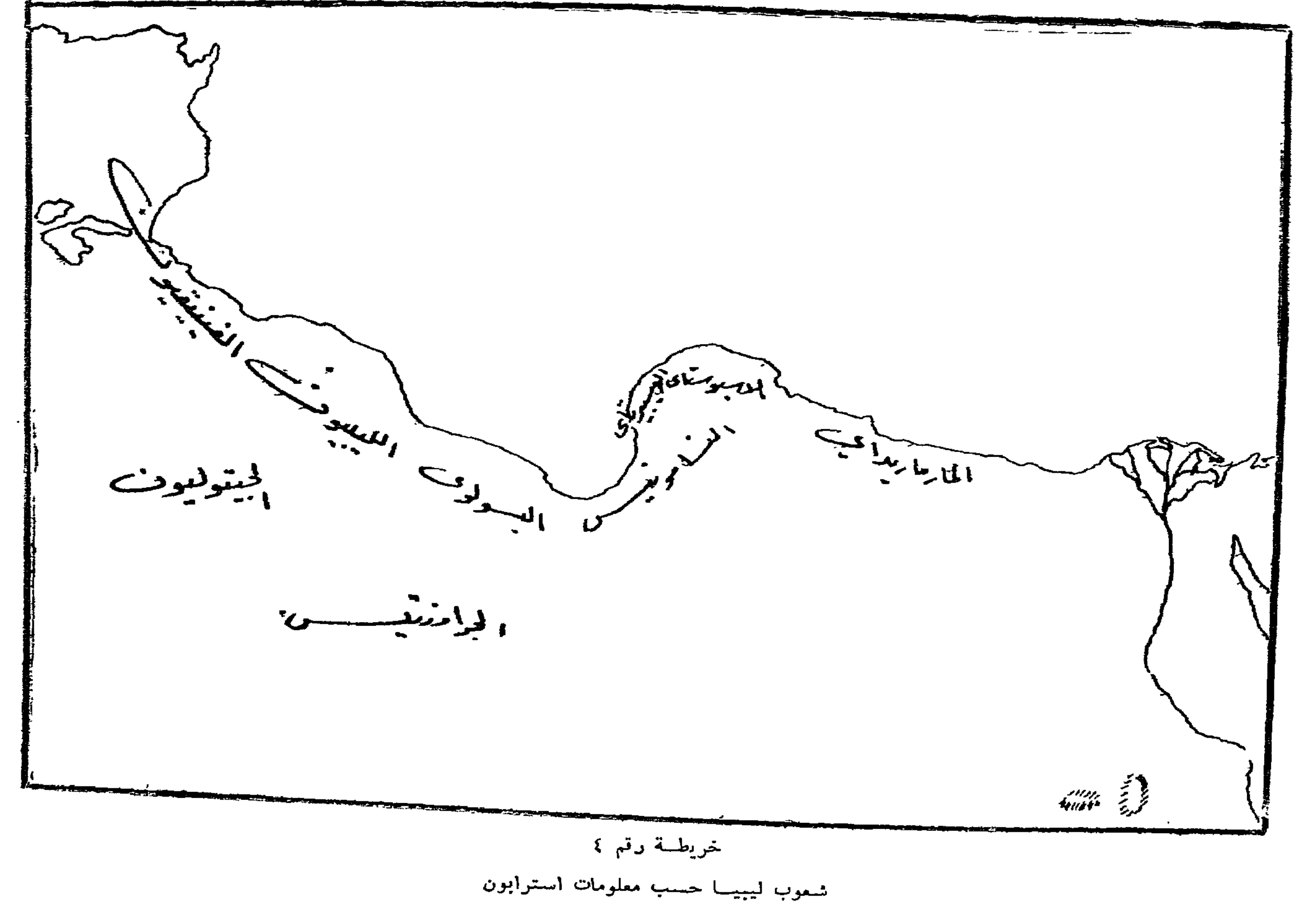
خريطة رقم ١
شعوب ليبيا حوالى عام ١٢٠٠ ق.م.



خريطة رقم ٢
شعوب ليبيا حسب معلومات هيرودوت

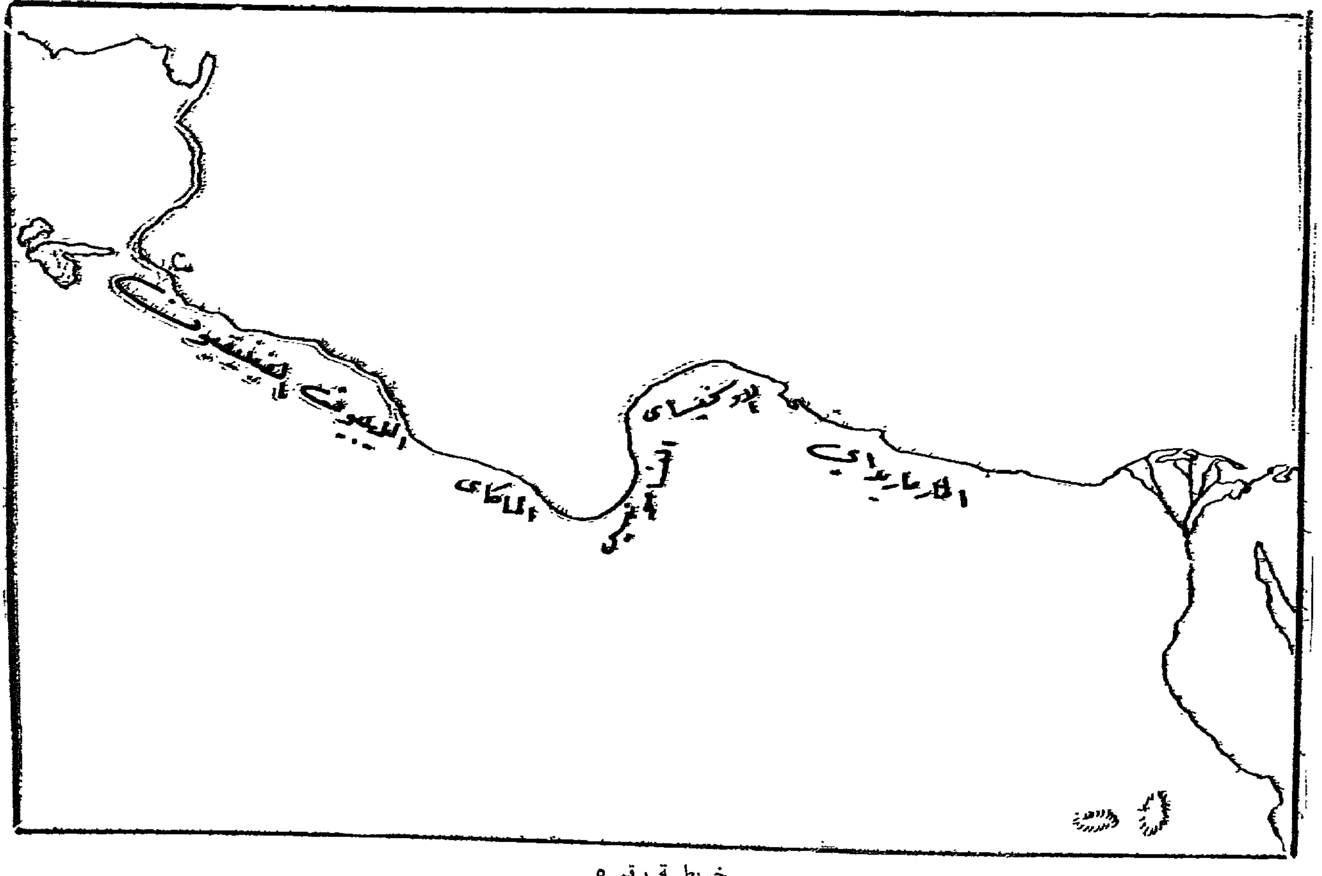
خريطة رقم ٣

شعوب ليبيا حسب معلومات سكيلاكس



خريطة رقم ٤

شعوب ليبيا حسب معلومات استرابون



خريطة رقم ٥

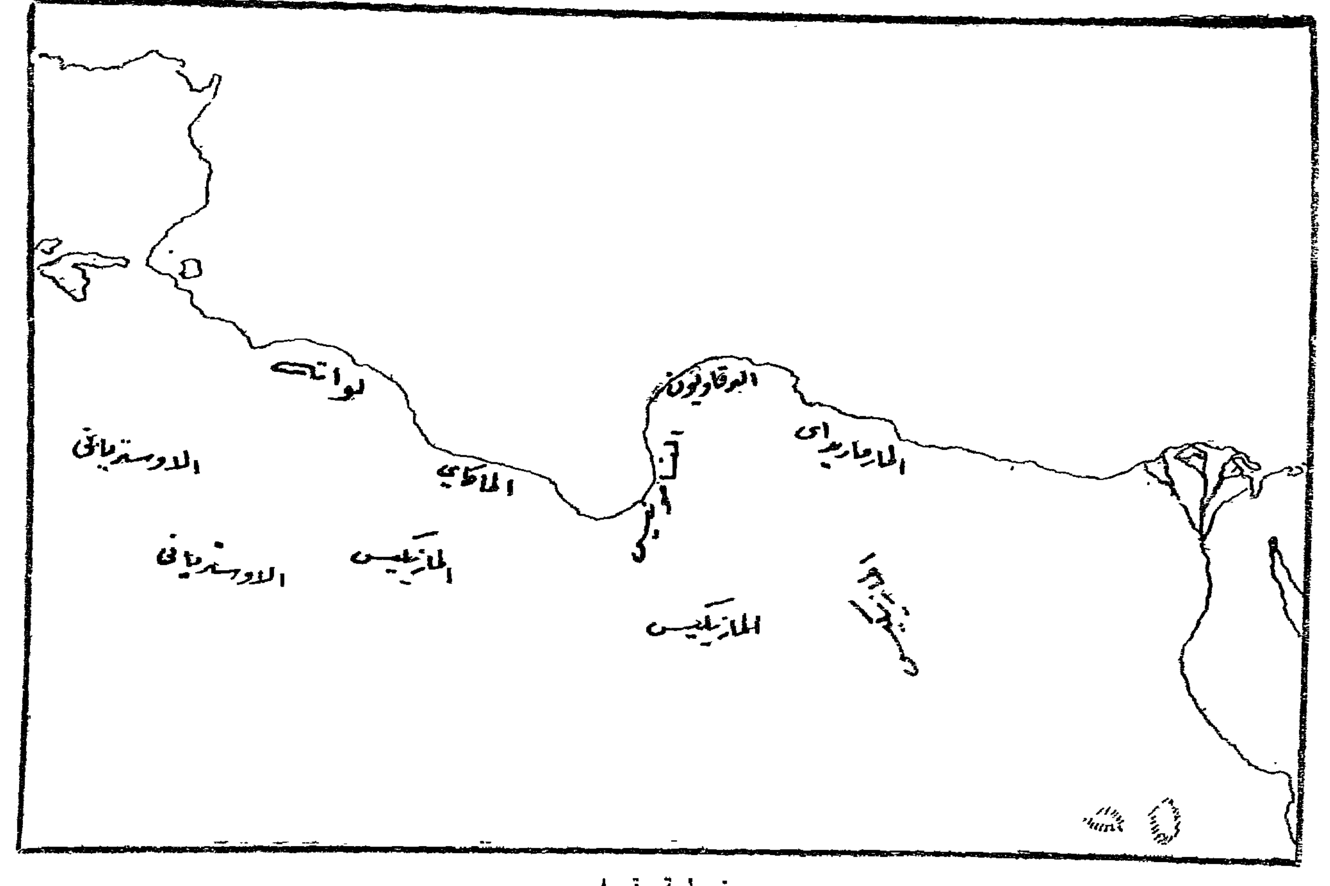
شعوب ليبيا حسب معلومات ديودورس الصقلى

خريطة رقم ٦

شعوب ليبيا حسب معلومات بليني

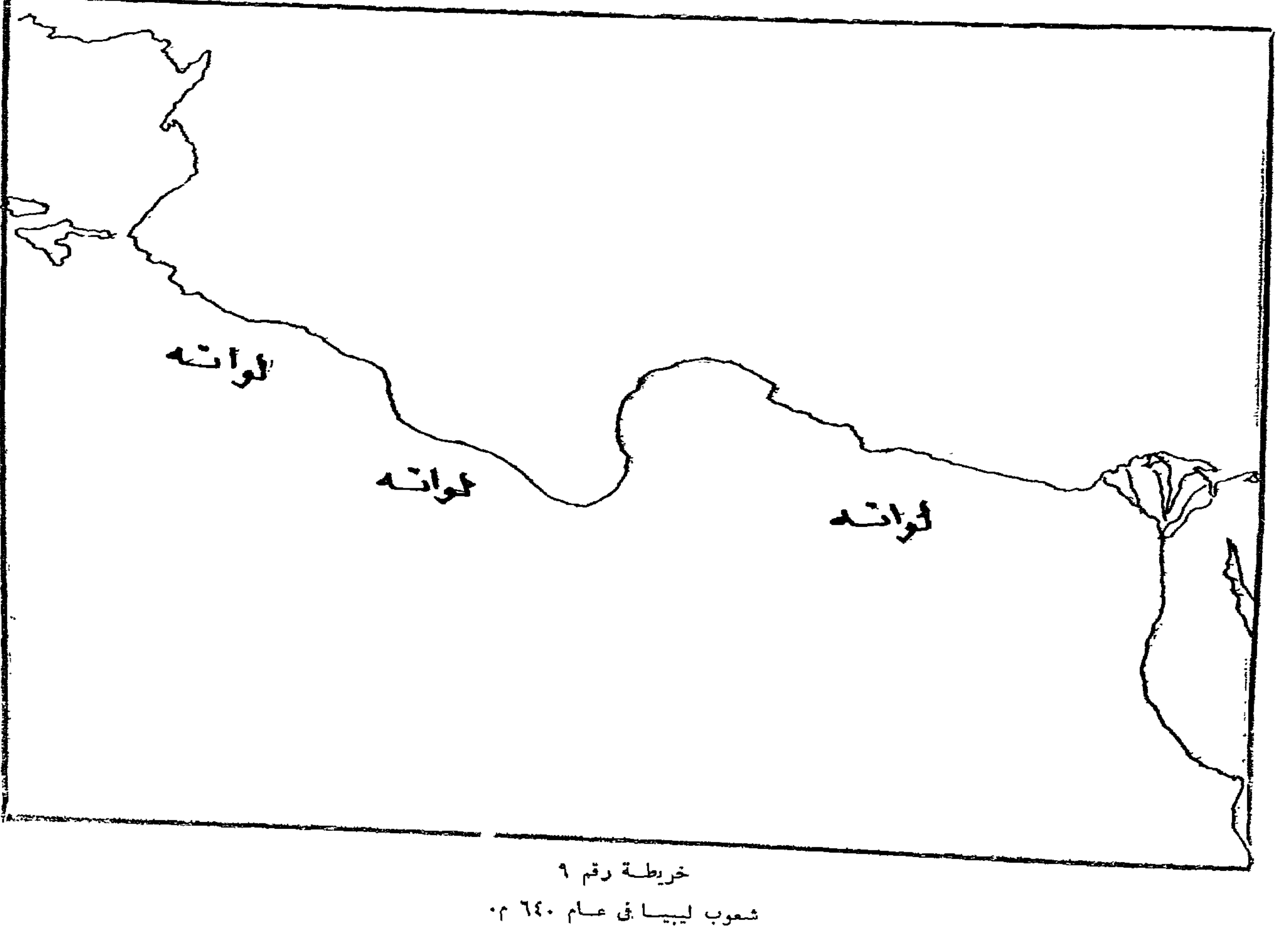
خريطة رقم ٧

شعوب ليبيا حسب معلومات بطلميوس



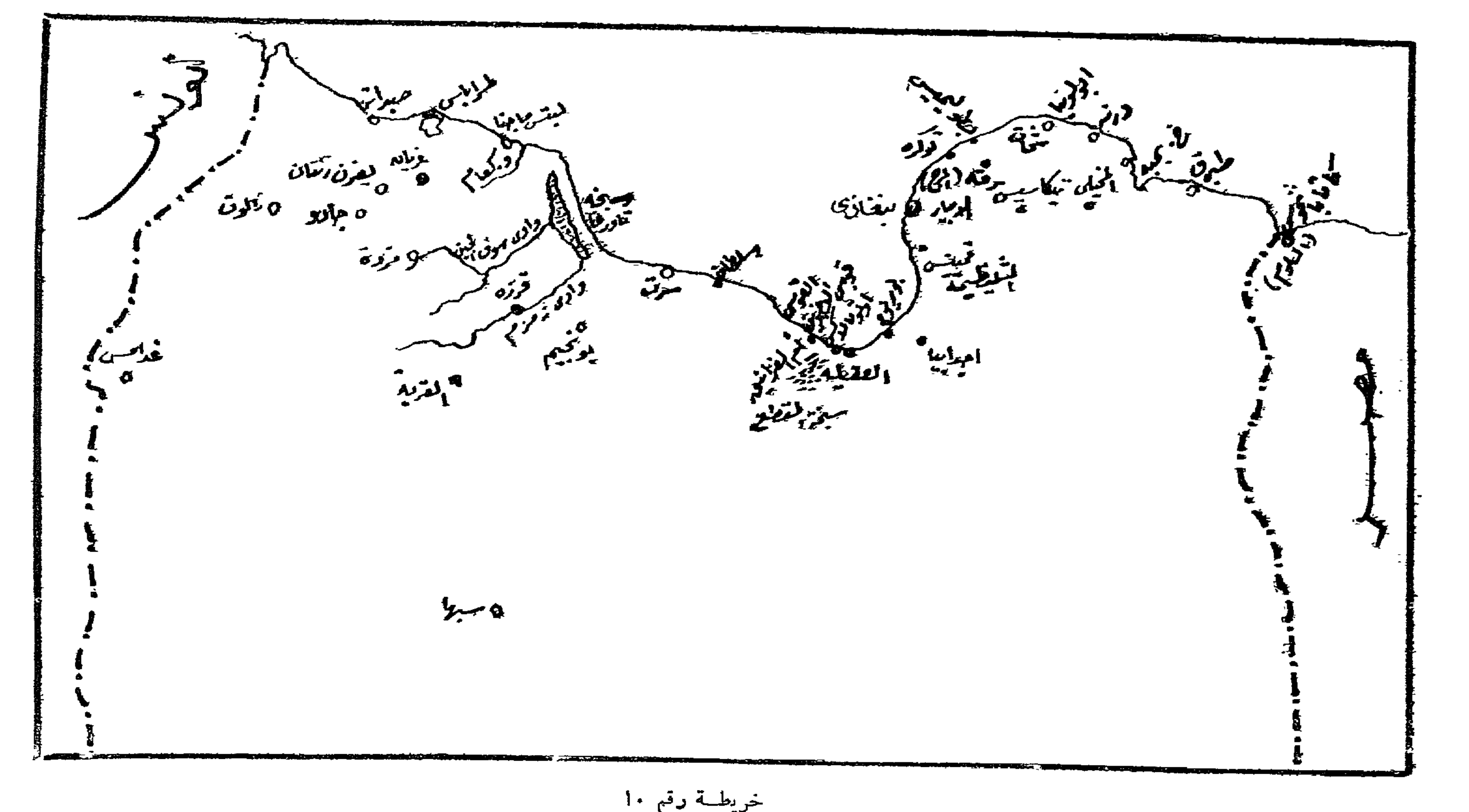
خريطة رقم ٨

شعوب ليبيا فى العصر البيزنطى



خريطة رقم ٩

شعوب ليبيا في عام ٦٤٠ م



خريطة رقم ١٠

المواقع الأثرية الهامة فى ليبيا

منشورات الجامعة الليبية

دراسات في تاريخ ليبيا القديم

تأليف

الدكتور مصطفى كمال عبد العليم

كلية الآداب - جامعة عين شمس - القاهرة
كلية الآداب والتربية - الجامعة الليبية

يناير ١٩٦٦

المطبعة الأهلية - بنغازي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وبعد ، فقد بدأ اهتمامي بتاريخ ليبيا القديم ، منذ أن قمت بتدريس مادة «تاريخ ليبيا القديم وآثارها» لطلاب قسم التاريخ ، بكلية الآداب والتربية ، بالجامعة الليبية ، عندما تقررت عليهم دراسته فى العام الجامعى ٦١ – ١٩٦٢ .

ويضم هذا الكتاب ثلاث دراسات . وقد خصصت الأولى منها للحديث عن «الليبيين القدماء» . وقد دفعنى الى ذلك ما يلاحظه المهتم بدراسة تاريخ ليبيا القديم ، من أن غالبية مصادره ، تتحدث عن الاغريق والرومان فى برقة ، والفينيقيين والرومان فى طرابلس . ودراسة تاريخ هؤلاء الأقوام الأجنبية فى ليبيا ، دراسة هامة فى حد ذاتها ، اذ أنها حملت معها حضارتها ومدنيتها ، وكافة مظاهر حياتها . ولكن كل ذلك ينبغى ألا ينسينا الاهتمام بدراسة تاريخ الليبيين ، اهل هذا البلد ، الذين عاشوا فى أرضه التجربة الانسانية كلها ، منذ عصور ما قبل التاريخ . وكان من الضرورى أن نعرف كيف كانت حياتهم ، قبل أن تحل بأرضهم هذه الأقوام الأجنبية ، وماذا كانت علاقتهم بها وموقفهم منها . وقد حاولت جهدى أن أضع أمام القارىء صورة متكاملة لليبيين عبر العصور القديمة ، حتى يمكنه أن يقرر بنفسه طبيعة هذا الشعب ومقدرته على البقاء والاستمرار ، فى بيئة زاحمه فيها أولئك الدخلاء الأجانب . وقد أحال الليبيون حياتهم ، باغاراتهم وهجماتهم ، الى حياة طابعها الحذر والخوف والترقب . حتى أن العرب عند مجيئهم الى ليبيا ، وجدوا البيزنطيين محاصرين فى مدن الساحل ، والمزارع المحصنة ، فى حين كانت قبيلة لواتة الليبية قد غلبت على معظم أرجاء ليبيا .

وتدور الدراسة الثانية حول الأوضاع الدستورية فى برقة ، وذلك عبر فترة امتدت من عصر أسرة باتوس (٦٣١ – ٤٤٠ ق.م. تقريبا) حتى عصر

الامبراطور أغسطس . ولهذا الموضوع أهميته ، اذ يتصل بالتاريخ السياسى والدستورى لهذا الاقليم من ليبيا ، الذى توالت عليه أشكال مختلفة من نظم الحكم ، وذلك تبعا للقوى السياسية الحاكمة التى غلبت عليه . ومن الأهمية بمكان أن نتبين أن قورينى كانت مدينـة اغريقية بحق ، وأنها مرت بالتجربـة السياسية التى مرت بها المدن الاغريقية الأخرى فى بلاد اليونان الأصلية . اذ عرفت قورينى النظام الملكى أول ما عرفت من نظم الحـكم ، ثم مرت بمرحلة الصراع بين الملكية والأرستقراطية . ولم تنج بعد ذلك من نتائج الصراع بين الأوليجاركية والديموقراطية . ولم تكد هذه المدينة أن تفيق من ذلك الصراع ، حتى خضعت مع بقية برقـة لحكم البطالمة الذين ضاقوا فى مصر بنظام المدينة الاغريقية الحرة . ولذلك كان من المهم بالنسبة لنا أن نعرف موقف قورينى ، وهى المدينة الاغريقية العريقة ، من هذا الحكم الجديد. وعندماانتهى حكم برقة الى الرومان ، تغيرت الأوضـاع السياسيـة ونظم الحكم بها فى ظل النظام الامبراطورى ، الذى وضع اسسه ، الامبراطور أغسطس .

أما الدراسـة الثالثة من هذه الدراسات ، فهى عن ((اليهود فى برقـة فى العصرين الهيلينستى والرومانى)) . وقد استرعى اهتمامى تلك الثورة العنيفة المدمرة التى قام بها يهود برقـة وقبرص ومصر فى وقت واحد فى عام ١١٥ م. وكان يهود برقة هم الذين بدأوها . فتوفرت على دراسة حياتهم منذ أن حلوا ببرقـة فى عصر البطالمـة ، حتى بطش بهم الرومان اثر ثورتهم تلك . وقد حاولت أن أرسم صورة واضحة لأوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية والدستورية . وكان هدفى أن أصل مع القارىء الى تبين حقيقة العوامل التى دفعتهم الى الثورة على الحكم الرومانى .

وانى لأدعو الله أن أكون قد وفقت فى محاولتى الكتابة فى تاريخ ليبيـا القديم ، وان يرضى عن عملى المتواضع هذا ، المهتمون من أبناء ليبيا بتاريخ بلدهم ، والمشتغلون من أبناء الوطن العربى بتاريخه القديم ، فيكون من حظه أن يضيف جديداً الى ما أثروا به المكتبة العربية من دراسات وبحوث .

وانى لا أجد خيرا من هذا الكتاب أهديه الى الجامعة الليبية ، والى طلاب قسم التاريخ بكلية الآداب والتربية بهذه الجامعة ، عسى أن يكون ذلك باعثا لهم على بذل مزيد من الجهد فى دراسة تاريخ بلدهم ، وحافزا لهم على الاهتمام به .

وانه ليسعدنى أن أسجل ، بكل صدق واخلاص ، شكرى للأستاذ مصطفى عبد الله بعيو ، مدير الجامعة الليبية ، وهو من أوائل المشتغلين بتاريخ ليبيا ،

والأستاذ محمد مصطفى السعداوية ، وكيلها ، اذ لولا ما بذلاه لى مشكورين من مساعدات ذللت كل صعب ، ما خرج هذا الكتاب الى حيز الوجود .

وانه ليسرنى أيضا أن أسجل شكرى وتقديرى لكل معاونة صادقة لقيتها من السادة القائمين على ادارة كلية الآداب والتربية بالجامعة الليبية ، وخاصة الأستاذ عبد المولى دغمان عميد الكلية الذى رحب بنشر هذا الكتاب ، والأستاذ ابراهيم الرفاعى وكيلها ، الذى أعاننى ، بفضل تمكنـه من اللغة الايطالية على الاطلاع على بعض ما كتب فى تاريخ ليبيا القديم بهذه اللغة .

وأزجى شكرى للسيد أسعد المسعودى مراقب الشئون العامة بالجامعة الليبية لتفضله بتصميم غلاف هذا الكتاب ورسم خرائطه .

ولا يفوتنى أن أقدم شكرى للأستاذ مصطفى عبد الله بن عامر ، صاحب المطبعة الأهليـة ببنغـازى ، والقائمين بالعمل بها ، اذ لمست منهم جميعا كل اخلاص على أن يظهر الكتاب على هذا النحو الجميل المتقن .

والله ولى التوفيق ؟

مصطفى كمال عبد العليم

بنغـازى فى رمضـان ١٣٨٥ هـ .

ينـايـر ١٩٦٦ م .

فهرس الكتاب

صفحة